

مجلة

المجمع العلمي العربي

٦ رمضان سنة ١٣٦٨

١ تموز سنة ١٩٤٩

الألفاظ السريانية في المعاجم العربية

- ٦ -

حرف العين

عاشوراء : اليوم العاشر من تشري اليهود (البيروني ٢٣٠) قيل انه عبراني
معناه عاشوراء وفي السريانية لفظ مثله : *حشوراء* *Eciroio* وتاسوعاء *أعشوراء*
Tchioio ومعناها : العاشر والتاسع .
عاقور قرها : كلمة مركبة سريانية *أعشوراء* *Eqorkarho* ومدلولها :
الجذر العريان نبات من فصيلة المركبات يستعمل جذره في الطب (معجم
الشهابي ٥٢٧) وفي دليل الراغبين ٥٦٢ انه نبت بكثرة بأفريقية وقيل عكروب .
عاب : حزن ، غيب ، خليج . جاء في التاج مع ١ ق ٣ : ١٨٠ العب بالضم
الردن ، قال شيخنا « ابو عبد الله محمد القاسمي المتوفى سنة ١١٧٠ هـ » هي لغة عامية
لا تعرفها العرب ، قلت : كيف يكون ذلك وقد نقله الصاغاني « ١ هـ » .
قول أخطأ الصاغاني وغيره من اللغويين وأصاب القاسمي فاللفظة سريانية
أعشوراء *Oubo* (يرون ٢١٧)

عَجَلَة : مركبة : في سفر صموئيل الأول ٦ : ٧ « اعملوا عجلة واحدة جديدة » ،
وعدها دوفال في جملة الألفاظ السريانية والعبرية النجاش (معجم ابن ييهول
٣ : ١٥١) *ܥܠܝܬܐ / Ogallho* . ومعجم يرون ٤٢٢
عَدَن : اخرج ابن جرير عن ابن عباس انه سأل كعباً عن جنات عدن :
قال جنات الكروم واعتاب بالسريانية ، ومن تفسير جوير انه بالرومية (الاتقان
ص ١٤٠ وما بعدها) صوابه : عدن : أرض الفردوس محل النعيم ، وفي سفر
التكوين ٣ : ١٠ « يخرج من عدن ليسقي الجنة » . قال ابن سروشويه الكلمة
عبرية معناها ، نعيم ، أو خصب بالاشجار الطيبة ، ومثلها السريانية *ܥܕܢ Eden*
موطن النعيم . ولا تعني « جنات اقامة لمكان الخلود » كما توسع فيها بعض
اصحاب المعاجم (أقرب الموارد ٣ : ٧٥٤ والمصباح ٣ : ٦٠٦) ولا كما زعم
الراغب في المفردات ص ٣٢٨ بقوله « جنات عدن اي استقرار وثبات وعدن
بمكان كذا استقرار » والفعل *ܥܕܢ* Adene ومعناه : نعيم ، رقة ، أخصب .
عَدَّان : جاء في القاموس وأقرب الموارد : عَدَّان كسحاب « بتخفيف الدال »
من الزمان سبع سنين ١ هـ ، وبالسريانية *ܥܕܢܐ Edono* : الوقت على الإطلاق .
قال ابن سيده ٩ : ١٦ « كان ذلك على عَدَّان فلان اي على عهده » وبالتشديد
يلفظها بعض عامة بلاد الشام ، واللفظة تتوافق فيها السريانية والعبرية (يرون : ٤٢٥)
عَرَب : عَرَبَة والجمع 'عروب : رحي ، عربية ، طاحون بديرها الماء ، لفظه
سريانية *ܥܪܒܐ Arbo* وقال فيها ابن ييهول : دولاب ، الطاحون المدار ، وأيضاً
العروب التي يطحن بها الدقيق وتكون في الماء (عمود ١٤٥٩ و ١٤٦٠) وعن
ابن السني في الترجمان : عَرَبَة ، أداة طحن ، وأيضاً : العربية من أدوات الطحان .
ويقال فيها أيضاً *ܥܪܒܐ Arbouno* وفي شفاء الغليل ص ١٢٧ « عربية
بلقة أهل الجزيرة ، سفينة يعمل فيها رحي في وسط الماء الجاري مثل دجلة بديرها
شدة جريده ، وهي مولدة في ما أحسب ، قاله في المعجم وأنا لا أدري هل المركب
المسمى عربية أخذ من هذا أو هو غير عربي وهو الظاهر » ١ هـ ، وفي التاج :

« من معاني العربية النهر الشديد الجري ، والعربات سفن رواكد كانت في دجلة واحدها عربية » .

عَرَاب : كلمة مسيحية سريانية **ܚܕܐܐܪܐ** ، **ܚܕܐܐܪܐ** , Arabo , Oroubo
معناها : كفيل المعتمد بناء المعمودية ، والفعل **ܚܕܐܐܪܐ** Erab ، وعَرَّب : كان
عَرَّاباً وهي مرادفة كلمة اشبين .

العُرَبَان : والعُرَبُونَ ، والعَرَبُونَ : وقد تبدل عينهن همزة : هو ما عُقد به الميابة
من الثمن ، او هو ان يشتري الرجل شيئاً او يستأجره ويعطي بعض الثمن
او الاجرة ، ثم يقول ان تم العقد احسبنا والا فهو لك ولا آخذه منك ،
(اقرب الموارد ، والتاج ، ويقرب معنا المصباح) قال الأصمعي العربون أعجمي
مغرب (اقرب الموارد ٧٥٩) وكذا التاج . وصرَّح الكمال الدميري في شرح
المنهاج بانه لفظ مغرب ليس بعربي . وفي شفاء الغليل ص ١٣٤ « عربون
وعربان : مغرب ، والعرب تسميه مسكان وجمعه ماكين . وصرَّح الفراء
أيضاً بمعجمته كما ورد في الجواليقي ص ٢٣٢ وقال هذا ويجمع العربان على « الرايين »
واللغة العالية : العربون . وتقل عن بعض شروح الفصيح انه مشتق من التعريب
اندي هو البيان لانه يان للبيع !

قلنا انه سرياني بحت وفيه ثلاث لغات : **ܚܕܐܐܪܐ** ، **ܚܕܐܐܪܐ** ،
ܚܕܐܐܪܐ Rahbouno , Ourbono , Aarbouno : رهن . وفي سفر
صموئيل ١٧ : ١٨ « وخذ منهم عربوناً » .

عرزال : مظلة ناطور الكرم ، عريش . وهو في الأصل موضع يتخذ
الناطور في أطراف التخل خوفاً من الأسد (الدليل ص ٢٤٤) وفي نبوة اشعيا
٢٤ : ٢٠ « تدللت كالعرزال » كلمة سريانية **ܚܕܐܐܪܐ** ، **ܚܕܐܐܪܐ** , Ourzolo ,
Arzolo . قال أبو الخير فخر بن جابر المشكال بن عمار الطائي المتوفى سنة ٢٣٥ هـ
في كتابه « المروج في درج الكمال والخروج من درك الضلال » المعون في

أحدى خزائن كتب القسطنطينية « وقد شاهدت صوامع وعرازيل وكهوقا على الجبل ونواحيه ٠٠٠ يسكنها أقوام قوام وصلحاء صوام يشهد لهم بالقربات والطاعات » [المجلة البطريركية السريانية ميج ٣ ص ٦٨ : مطبعة دير مارمرقس بالقدس سنة ١٩٣٠] عرش : مرير ، وفي نبوة دانيال ٧ : ١٩ « وعرشه لخب نار » سريانية **ܥܪܫܐ** Aarso بالسین المهملة ^(١) . وكذا بالعربية (يرون ٤٦٣ ودوقال ١٥٧) **عُرْمَة** ، وعُرْمَة : الكدس من الزرع الذي جمع وديس ليندري : وفي نبوة حجي ٢ : ١٦ « كان أحدكم يأتي الى عرمة » لفظة سريانية **ܥܪܡܐ** ، **ܥܪܡܐ** Eramtho ، Eramtho والفعل **ܥܪܡ** Eram أرُم ، تكوم و**ܥܪܡܐ** Arème : كوم ، جمع .

عروبة : يوم عروبة يوم الجمعة . قال في الجهرة ١ : ٢٦٧ « يوم عروبة يوم الجمعة ، معرفة لا تدخلها الألف واللام في اللغة الفصيحة . وقد جاء في الشعر الفصيح بالألف واللام أيضاً قال الخطابي :

« نسي الفداء لأقوام هم خلطوا يوم العروبة أوراداً باوراد »

وقال صاحب التاج ١ : ٣٠٠ الجمعة صفة اليوم أول من سماه بيا كعب بن لؤي وكانت يقال لها العروبة . وقال ابن سيده ٢ : ١١٧ « العروبة الجمعة للإشعار بمكانها والافصاح عن حقها وإشادة الشرع بقدرها لان موضوع هذه الكلمة الاظهار » اهـ ، قلنا لا معنى لهذا التعليق والتعليل ، اذ اللفظة سريانية **ܥܪܘܒܬܐ** Eroubtho (عروبتا) ولا تحمل لغوياً هذا المعنى بل عكسه ، لأن فعل **ܥܪܒ** Erab (عرب) معناه غرب ، غاب ، أقل ، وليس : بان وظهر . وفي اسم احد أيام الأسبوع في الجامعة . بل ان الحسن بن يهلول ذكر سبب تسميته به قال « كان هذا اليوم يسمى السادس ، ولم تقف في موضع على

(١) **ܥܪܬܢܐ** : **ܥܪܬܢܐ** Artonitho : شجرة مريم : بخور مريم وأصلها آرابية (معجم الشاهان ص ٢٠٩) وقال فيا : جنس نباتات عشية مسرة من ضبة الريمات ، لها زهر جلد النع .

تسميته بالعروبة حتى عهد السيد المسيح . فأطلق عليه هذا الاسم ، لغروب الشمس والشرع والعبادة (الموسوية) فيه « عمود ١٤٦٢ » وفي مختصر الدول لابن العبري ص ٥ « آدم ابو البشر خلق يوم العروبة » وجاء في أقرب الموارد ٢ : ٧٥٩ « عروبة والعروبة ويوم العروبة : يوم الجمعة وهو من اسمائهم القديمة وهو تعريب (أرُبا) النبطية ، او عروبرت السريانية . قال ابو الممالي اللغوي « عروبة يوم الجمعة » وهي معرفة قلنا تدخلها الألف واللام . وقال سيبويه « العروبة يوم الجمعة ومن قال « عروبة » أي بدون (ال) فقد أخطأ . وبلغ ذلك يونس بن حبيب فقال أصاب سيبويه » اهـ . وفي المغرب للجواليقي ص ٢٣٤ « قال ابو حاتم ، قال الأصمعي « العروبة » الجمعة وهي بالنبطية « ازينا » كذا . قلنا واللفظة النبطية تصحيف صوابه « أرُبا » كما مر بك آنفاً . وعلى هذا التصحيف بنى شارح المغرب رأيه منكرآ عجمة الاسم وإهما .

عسكر : جاء في الجمهرة ٣ : ٥٠٢ « والعسكر فارسي معرب وانما هو لشكر وهو اتفاق في اللفظين . قال ابن الأعرابي : العسكر الكثير من الشيء يقال عسكر من رجال وخيل وكلاب » وقال الجواليقي ص ٢٣٠ « قال ابن قتيبة « والعسكر فارسي معرب . قال ابن دريد وانما هو لشكر بالفارسية وهو مجتمع الجيش » وزاد في شفاء الغليل ص ١٢٤ « ويسمى به الجيش نفسه » . قلنا ورد بالسريانية بلفظه العربي حَصَصْهُ لـ وجمعه حَصَصَاتُ . Ascaltho , Ascaltho ومعناه عسكر ، جيش فاما هو سرياني معرب واما توافقه بين السريانية والعربية ، ان لم يكن بابلي الأصل Vsquaru ; Askaru ومعناه السلاح سمي به الجيش من تسمية الشيء باسم آله ^(١)

عقر : العقر : ظاهر اقتراب باسكان الفاء وفتحها (ابن سيده والتاج ٣ : ٤١٠) قال المسعودي في التنبية ص ٢٣ « فان كانت الرمل حمرًا فوحشها عقر »

ويقال ما على عقر الأرض مثله أي وجهها . حرف سرياني **ܐܦܪܐ** Afro : في نبوة اشعيا ٣٤ : ٩ «وعقرها الى كبريت» و **ܐܦܪܐ** Onfro بمعنى . والفعل **ܐܦܪܐ** و **ܐܦܪܐ** Afar , Efar : عقر ، تراب . احواله ترابا . توافقت فيه اللغات السامية الثلاث : السريانية والعبرية والعربية في رأي بروك ٤٥٤ واستثنى دوفال الثالثة : ١٥٥

عقص : قال الجوهرى : العقص الذي يتخذ منه الحبر مولد وليس في كلام أهل البادية (المزهر ١ : ١٧٩ وشفاء الغليل ١٣٤) وزاد هذا « وقيل انه عربي وأورد كلاماً لابن تيمية قال فيه : ومنه طعام عقص ، وعقاص القارورة ما يشد به فمها » وجاء في التاج : عقص مولد وليس من كلام أهل البادية ، وكذا في أقرب الموارد . وأردف التاج : « وقال ابن يري وليس من نبات أرض العرب أو كلام عربي ، قاله أبو حنيفة » . قلنا هو سرياني **ܐܦܪܐ** ، **ܐܦܪܐ** Afso , Afso .

عقار : جاء في الصحاح : « العقاقير أصول الأدوية واحدها عقار » (أقرب الموارد ٢ : ٨٠٩) وحكى أبو زيد : العقار ما يتداوى به من نبات وشجر ، وفي القاموس ٢ : ٩٤ ما يتداوى به من النبات أو اصولها . كلمة سريانية **ܐܦܪܐ** Eqoro مدلولها : أصل كل شيء ، جرثومة عقار واحد العقاقير . وثرناها في معجم ابن بهلول منسوبة الى زهاء خمسة وعشرين نوعاً من النباتات كعقار آدم ، والعقار الخصب ، وأصل المازريون وعافر قرحا وغيرها ، ويقرب من هذا المعنى في دليل الراغبين ص ٥٦٣

عقل : في شفاء الغليل ص ١٣٦ «عقل معروف وما يمسك البطن من الاسهال عقول واما كه عقل وقبض بمناه ليس استعمال العرب : قال القالي : عقل الطعام بطنه بعقله عقلاً اذا شده ، ويقال اعطني عقولاً أشربه فيعطيه دواء يمسك بطنه » اهـ . وفي النصحي : عقال كرممان . قلنا المادة سريانية : **ܐܦܪܐ** Equal ومعناها

- عقل ، شد ، حبس ، مقص ، أصابه مقص مع التواء واقتباس البطن .
- المصدر حَصْلًا Eqolo واسم الفاعل حَصَّهْلًا Oqoulo .
- عَكْرُوب : نبات بري يُطبخ ويقلّ تلفظه عامة العراق مقلوباً (كعروب) وهو المعروف عند أهل الجزيرة بالخرشف ، وعند أهل الشام به وبالسلبين ، قال الشيخ داود الانطاكي في تذكرته ص ١١٧ « الخرشف هو العكروب والسلبين وهو نبات ذو أصناف » حرف سرياني حَصَّهْلًا Aqoubo ^(١) .
- عمّ : قوم ، أمة ، جماعة . قال السبوتي ٢ : ٢١٨ جاء من باب المشترك .
- وفي الجهرة العم : أخو الأب ، والعمّ : الجمع الكثير قال الرازي :
يا عامر ابن مالك يا عمّا أفتيت عمّا وجبرت عمّا
- فالعم الأول أراد به يا عمّاه ، والعم الثاني أراد به أفتيت قومًا وجبرت آخرين
- وهي لفظة توافقت فيها السريانية والعبرية وعُربت حَصْلًا Amo .
- (معجم يرون ٤٤٧)

... عمّد : هذه مادة سريانية تختص بأول أسرار النصرانية ، تقول : عمّد القيسُ الطفل فهو 'معمّد' ، واعتد الطفل فهو معتمد أي صُنع بناء المعمودية أو غُسل فيه ، وفي انجيل متى ١٨ : ١٩ « وعمدوم باسم الأب والابن والروح القدس »

(١) ورد في خطبة نسبت الى الامام علي في نهج البلاغة « وكل خوف عقق الاخوف الله فانه ملول » وفي خطبة أخرى « وكل قائم في سواه ملول » فقالوا ان (ملول) غالبة لقواعد اللغة والفصح منها ، ولكن المصباح قال ص ٦٥٢ « واعلاه الله فهو ملول ، وقيل في النوادر التي جاءت على غير قياس وليس كذلك فانه من تداخل اللتين ، والأصل أعلاه الله فله فهو ملول ، أو من (علاه) فيكون على القياس ، وجاء مُلّ على القياس لكه قليل الاستعمال » . قلنا هو من توافقت السريانية والعربية والعبرية מָלַל ، מָלַל Ethalal , Éthélél على ، مرض . و אַלִּיל Alilo : من قد دخل في السن وأصابه المرض . ومن هذا التوافق أيضاً «علّية» غرفة في الطابق الثاني . עֲלִיתָ Elitho وردت في سفر القضاة ٣ : ٢ « وهو جالس في علّية » (يرون ٤٤٢ ، و ٤٣٩ ، ودرقال ٣ : ١٥٣) .

أَحْمَدُ Aamedh و حَعْمُ و أَحْمَدُ Ethemedh , Emadh والمصدر
 حَعْمُ / Emodho : عماد و حَعْمُ / Maamouditho : معمودية ،
 وفي انجيل متى ٢١ : ٢٥ « معمودية يوحنا » وعلقى الشارح على هامش القاموس
 ٢١٧ : ١ قال : « قال الصولي في شرح ديوان ابي نؤاس ان لفظ معمودية
 معرب (معمذيت) بالتدال المعجمة ومعناها الطهارة » و حَعْمُ / Emidho :
 المعمد والمعمد . ومنه اسم الفاعل .

الْمَعْمَدَان : بفتح الميم واسكان العين وفتح الميم الثانية لا « المَعْمَدَان » كما
 اعربها الشرطوني ٢ : ٨٢٨ حَعْمُ / Maemdhono لقب القديس يوحنا
 الحضور لعميده ، وفي انجيل متى ٣ : ١ « وفي تلك الأيام جاء يوحنا المعمدان »
 وفي الآثار الباقية للبيروني ص ٢٩٤ « وفي الرابع والعشرين (من شباط)
 ذكران وجود رأس المعمدان وهو يحيى بن زكرياء » .

العُمر : الدير جمع اعمار . قال اغايوس المتبحر في كتابه العنوان ص ٢٧٧
 « وبدأ بنجوم الراهب المصري يبني الأعمار والديارات بارض مصر » وقال القس
 يعقوب المازديني السرياني في احدى خمرياته :

أَوْطَعْنَ سَنَاهَا اَلْخَمَّ طَالَ بِهَا الْعُمَرُ فَمَا صَانَهَا إِلَّا لَارْبَاهَا الْعُمَرُ

وقال الحسن بن هاني وقيل انه للحسين ابن الضحاك :

أَذْنُكَ النَّافُوسُ بِالْفَجْرِ وَغُرْدُ الرَّاهِبِ بِالْعُمَرِ

(الديارات للشاذلي ١١٢ : ١١٣) ويقال لصاحبه عمار ، وفي ديوان ابي نؤاس

(باريس رقم ٤٨٣ ص ٤٢٥) :

اِذَا النَّدَامَى أَرَادُوا مَا بَاعَهُمْ خُمَارُ

حَمْرَاءُ فِيهَا أَصْفَرَارُ وَعِنْدَهُمْ عُمَارُ

قال ياقوت في معجم البلدان ٦ : ٢٢١ « أما المعروف الدير للنصارى ، وذكر
 ابو حنيفة الدهنوري في كتاب النبات : ان العُمر الذي للنصارى انما سمي بذلك

لان العمر في لغة العرب نوع من النخل وهو المعروف بالسكري خاصة .
 وكان النصارى بالعراق يبنون ديرتهم عنده فسي الدير به ، وهذا قول لا ارتضيه
 لأن العمر قد يكون في مواضع لا نخل بها البتة كنعو نصيبين والجزيرة
 وغيرهما ، والذي عندي فيه انه من قولهم : عمرت ربي اي عبدته ، فيجوز ان
 يكون الموضع الذي يُعبد فيه يسمى العمر ، ويجوز ان يكون مأخوذاً من
 الاعتناء والعمره وهي الزيارة ويجوز ان يكون العمر الموضع الذي يُخدم
 فيه الرب ويجوز ان يكون من العمر الذي هو الحياة ، كأنهم سموه بما
 يؤول اليه لأن النصراني يُفني عمره فيه « وفي مراسد الاطلاع ١ : ٤٢١ ان
 الدير يسمى عمراً اذا كان مجاوراً للاماكن المعمورة وهو قوله ، « ما كان من
 مواضع المتعبدات التي فيها مساكن الرهبان بقرب العمران فانه يسمى العمر » .
 وقال صاحب التاج ٣ : ٣٢٠ انه سمي بالمصدر لأنه يُعمر . وفي القاموس
 ٢ : ٩٥ العمر بالضم ، المسجد والبيعة والكنيسة .

قلنا لا ينبغي على الفطن ما انطوى عليه هذا التأويل من تعملي فارغ محاولة
 لادخال الكلمة الأعجمية ، العربية قسراً ، ولو قصد اللغويون ومن نصبوا أنفسهم
 لهذا الفن لدراسة أصول الألفاظ سبيلاً سويّاً ، وعدلوا عن جادة التكلف
 المُعل ، كن ذلك بهم أولى وبالله أجمل . فان الكلمة سريانية خالصة وفي
 مبدئ مسيحي نشأت **ܐܡܪܘܢ** Ooumro ومعناها : دار ، مسكن ، مقام ، دير .
 عمروس : خروف صغير ، حرف سرياني **ܐܡܪܘܢ** Emrouço .
 عمودي : العمودي يُراد به في العرف المسيحي ، الناسك الذي يتعبد لله
 في صومعة على رأس عمود أخذاً من طريقة مار سمعان الناسك صاحب العمود
 المتوفى سنة ٤٥٩ م وثاير السريانيون على طريقته حتى منسلخ المئة الخامسة عشرة .
 وسموا الاسطوانة صومعة وصاحبها يسمى عندنا **ܐܡܪܘܢܐ** Estounoro وهذا
 الحرف يوناني . وأما العمودي الذي هو لفظ عربي أوردناه لادخاله المعاجم العربية .

عيد: العيد، الموسم، قال امرؤ القيس :

فَأَنْتُ سَرِيًّا مِنْ بَعِيدٍ كَأَنْتُ رَوَابِ عِيدٍ فِي مَلَأَ هَدَبٍ

وفي سفر الخروج ٢٣ : ١٥ « تحفظ عيد الفطير » والجمع اعياد . كلمة سريانية
وعبرية **חֲלוּ** Ido . ومنه اشتقوا اسم يعة بتقديم **בֶּת** beth عليها .

*
*
*

حرف النين

'غَبِيرَاء : في معجم الشهابي ص ٥٨٤ « جنس أشجار من فصيلة الورديات »
وفي الجواليقي ص ٢٣٦ « والغبيراء هذا الثمر المعروف دخيل في كلام العرب ،
لفظ الواحد والجمع فيه سواء » وفي الجهرة ١ : ٢٦٨ « والغبراء والغبيراء بنت
تأكله النعم ، فاما هذا الثمر الذي يسمى الغبيراء ، فدخيل في كلامهم » وفي
اللسان « والغبراء والغبيراء نبات سهلي . . . واما هذا الثمر الذي يقال له
الغبيراء فدخيل في كلام العرب ، قال ابو حنيفة : شجرة معروفة سميت غبيراء
للون ورقها وثمرتها اذا بدت ثم تحمر حمرة شديدة ، قال وليس هذا الاشتقاق
بمروف » هو بالسريانية : **ܕܥܒܝܪܐ** و **ܕܥܒܝܪܐ** Gbaïro , Goubaïro .
غدير : بركة وفيه لثتان **ܕܥܒܝܪܐ** ، **ܕܥܒܝܪܐ** Gdoro , Godiro .
غُرّ : طائر مائي **ܕܥܒܝܪܐ** Ouro .
غراء : ما طلي به : **ܕܥܒܝܪܐ** Guïro .
غِرارة : جوالتي منسوج كالشبكة ، في شفاء الغليل ١٤٢ « غِرارة جمعه غِرائر
وهي معروفة ، قال الجوهري أظنها معربة » **ܕܥܒܝܪܐ** Gourgtho .
غَرَب : خلاف ، منصف ، ووردت اللفظة السريانية في المزمور ١٣٦ : ٢
ولكن الترجمات العربية قالت فيها المنصف « على المنصف في وسطها عاقنا »
ܕܥܒܝܪܐ Arbo ويقال **ܕܥܒܝܪܐ** Arbtho غَرَبَة ، منصافة .
غَنارة : وشاح الكهنة في المبكل ، ويقال أيضاً مَقَنَر : لفظة مسيحية سريانية

حرف الفاء

فائور : الفائور في اتاج ٣ : ٣٢ وأساس البلاغة ٢ : ١٨٦ والمزهر ٣ : ٨٢
والنهاية لابن الأثير وأقرب الموارد ٣ : ٩٠٣ الطست او هو الطشتخان^(١)
ونسبه الزمخشري الى العامة . اخوان من رخام وقيل من فضة او ذهب وعم به
بعضهم جميع الأخوة^(٢) وخص الأزهرى فقال « وأهل الشام يتخذونه من
رخام يسمونه الفائور ، وقال الاسكافي ص ٨٥ الفائور اخوان بلا طعام من
صفر وغيره . وقال ابو حاتم في اخوان الذي يتخذ من الفضة :

وتحراً كفائور اللجين يزينه توقد ياقوت وشذراً منظماً

وفي مجلة المجمع العلمي ١٩ : ٣٦٣ « قالت طائفة من علماء اللغة ان الجام هو
الفائور » وفي اللسان : الفائور ، المائدة بلغة اهل الجزيرة . يقال هم على فائور
واحد اي مائدة واحدة . وقال صاحب العين ، أي بساط واحد (المخصص
١٢ : ١٦٢) ومثله قال الليث عن أهل الشام والجزيرة . وفي حديث سويد بن
غفلة انه دخل على علي فاذا بين يديه فائور عليه خبز السمر وهو الخشكار (التاج)
وفي الاساس : فلان واسع الفائور .

قلنا الفائور كـه سريانية ܦܘܬܗܘܪ Pothouro معناها ، مائدة ، خوان ،
طبق ، والغالب عليه الرخام والفعل ܦܬܗܘܪ Aphar : أولم ، أدب ، اكل ،
وعم استعمالها في الشام والجزيرة وكانت لثما السريانية . وأخطأ صاحب الروض
الانف بقوله فيها « سبكة الفضة والسبكة لا حروف لها ، او ايريق من فضة »
وقول ابن سيده وغيره ان المراد بقولهم هم على فائور واحد اي المتزلة والبساط

(١) الطشتخان او الطشتخان ، قصعة كبيرة يتناول عليها الطعام ، لفظة دخية ، والطست
لغة في الطست أو الطست : اناه من غلس لنسل البدعرب تست ، الفارسية ، وبالسريانية ܦܬܘܨܬܐ
Taço : اناه لنسل الأيدي .

(٢) في أقرب الموارد جمع اخوة وخون . وفي كتاب الأثرية : خوان جمع اخوان .

أما هو مجاز . وافصح دوقال بنجار الكلمة السرياني وتوافقها والمبراني ص ١٦٦
 خلافا لمن زعم أنه فارسي ، فضلاً عن وجود الكلمة في اللغة البابلية Passuru
 (پشورو) بلفظ الشاء شيئاً «الدبابة الآثورية البابلية لدورم ص ٢٦٨» .
 فاشرشتين : ܦܫܪܫܬܝܢ Fasharshtine ذكره الحسن بن يهلول في
 معجمه السرياني العربي عمود ١٨١ و ١٨٣ و ٤٢٢ و ٤٢٣ و ١٦٤٦ قال : ^(١)
 الفاشرشتين وسماء «مينح» ^(٢) أيضاً شتيدان ، وقال عبدوس بن يزيد بناء
 وابن سراقبون ، ان الفشر معناه الكرمة البيضاء . وقال الطيبات جبرائيل
 آل بختيشوع وشلي ^(٣) ، انه الكرمة السوداء التي هي البروانيا البرية Bryonia ،
 وارتأى المطران توما اودو في معجمه «كثر اللغة الآرامية» مج ٢ ص ٣٥٠
 انه كرم أبيض وسماء فاشرستين . وقال الشرتوني ص ٩٥٦ انه الكرمة السوداء
 الشتر ^(٤) ، وهو كما عرفه الأمير الشهابي في معجمه ص ١١٥ و ٦٠٢ «نبت معترش
 ينبت في الحراج له ثمرة عنبية حمراء أو سوداء ، وجذور غلاظ شديدة الاسهال
 تستعمل في الطب» وصرح بسريانيته ، ولكن وقع تصحيف في اسمه «فاشرستين»
 كما أخطأ الشرتوني بتسميته «الفاشرشير» والعواب ما ذكرناه في أعلاه .
 وهو عندنا لفظ سرياني مركب أو لفظ فارسي سرياني معناه : شراب الكرمة
 البرية ، أو الشراب الهاضم ، لان «فاشرا» اما أن تعني : الكرمة البرية واما من
 لفظة ܦܫܪ السريانية Fshar ومدلولها هضم الطعام . وشتين من فعل ܫܬܐ
 السرياني Shto ومعناته : شرب .

فجبل : قال الجواليقي ص ٢٤٢ «الفجبل والفجبل (بسكون الجيم وضمها)

(١) جاء به المنصوري وهو كتاب لابي بكر بن محمد بن زكريا الرازي

(٢) هو ابو سهل عيسى بن يحيى المسيحي الجرجاني .

(٣) كان شلي طبيباً ازهر في القرن التاسع لليلاد .

(٤) دعى ابن يهلول الكرم الأبيض بالفارسية (سندابار) والأسود (هزارسكان)
 وقيل (ازهركتان) .

أرومة نبات ، قال ابن دريد وليس بعربي صحيح ، قال وأحسب ان اشتقاقه من
(فَجَل الشيءُ بفَجَلٍ فجلاً ، اذا استرخى وغلظ) « اد ، ومثله في شفاء الغليل
ص ١٤٦ . هو سرياني *Fouglo* وصرح بهذا دوفال ص ١٥٨ .
فَجَح : جاء في شفاء الغليل ص ١٤٩ « فَجَح ، الذي يصاد به الطير معرَّب
وليس بعربي ، واسمه بالعربية (طرق) وهو اسم وادٍ عربي كذا في المعجم »
وقال الخليل في من كلام المعجم ج نَخَاح ونَخَوخ ، وتسميه العرب الطرق
(الشرتوني ٢ : ٩٠٦) هو سرياني *Fabo* .

قَدَن : القَدَن محرَّكة ، صَبغ احمر والقصر المشيد (الفيروزبادي ٤ : ٢٥٥
والشرتوني ٢ : ٩٠٨) . وأوردها الزمخشري في الأساس ٢ : ١٩٠ ووقفت في
معلقة عنترة قال :

فوقفتُ فيها ناتي وكأُنها قَدَن لا قضي حاجة المتلوم
واللفظة بالسريانية *ofadno* و *afadno* ومعناها قصر ،
صرح ، جوسق ، مقصورة (ابن يهلل ١ : ٢٤٨) ووقفت في بعض أشعار
مار يعقوب السروجي المتوفى سنة ٥٢١ م واعتبرها دوفال سريانية التجار (٨٣ : ٣)
فاما ان تكون معربة من السريانية على ما ترى ، واما من توافق اللغتين .
قَدَن : آلة الحرث . قال الجواليقي ص ٢٤٥ « قال ابو بكر (القَدَن)
نبطي معرَّب ، فان شئت فشدِّده وان شئت فخفِّفه » وعلق عليه الشارح قال
« هذا الذي ذكر ابن دريد انما هو في القدان مراداً به » الذي يجمع أداة
الثورين في القران للحرث . وقيل الثور ، وقيل : القدان واحد القدادين وفي
البقر التي يُحرث بها ، كما في اللسان . وفيه « قال ابن الأعرابي هو القَدَن
بتخفيف الدال . وقال ابو حاتم : تقول العامة القَدَن والصواب القَدَن بالتخفيف ،
وأما القدان بمعنى المزرعة أو بمعنى المقدار المعروف من الأرض بمصر ، فلم أجد
نصاً صريحاً فيه . ولكن ذكر في اللسان بمعنى المزرعة وُضبط بالقلم بالتشديد ،

والظاهر انه معرب أيضاً» ١٥٠ . وفي شفاء الغليل ١٤٧ « وجمه فدن وأفدنة وقال بعضهم ، المشدد مقدار معلوم ، وانحرف آلة للزراعة » قلنا الكلمة سريانية **فَدُونَا** Fadono ومعناها : ثوران يقرنان لحث الأرض ، وآلة للحث ، ومسافة أربعمئة او ثلاثمئة وثلاثين قصبة مربعة . (دليل الراغبين ص ٥٧٦ / ٥٧٧) وفي سفر الملوك الأول ١٩ : ١٩ « فانطلق ايليا من ثم ، فوجد البشاع بن شافاط بحرث ، واثننا عشر فدانا قدامه » (١) .

تفرج : جاء في تحرير التنييه للنووي : التفرج لفظة مولدة لعلينا من اقتراح الهم وهو انكشافه (المزمع ١ : ١٧٩) وفي شفاء الغليل ص ١٥٣ فرجة ، الذهاب للتنزه قال الارجاني :

رباض لمن الناظر المتفرج

وعندنا أنها معربة من السريانية **فَرَج** Farèg : تفرج ، تلذذ و **أَفَرَج** Afrèg فرج ، أبيع ، تَزَمَّ شرح خاطره و **فَوْرَجُو** Fourgoio فارج ، انشراح ، فرجة .

فِرْدُوس : في الأساس ٢ : ١٩٣ البستان الواسع الحسن ، وفي التاج ٤ : ٢٠٦ قيل عريية وهو قول الفراء او رومية نقله ابن الزجاج وابن سيده . او سريانية نقله الزجاج . وفي الاتقان ص ١٤٠ اخرج ابن ابي حاتم عن مجاهد قال « الفردوس » بستان بالرومية ، واخرج عن السدي قال الكرم بالنبطية واصله (فرداسا) وعدّها دوقال من الألفاظ التي توافقت فيها السريانية والعبرية وصوابه انها يونانية الأصل Paradeisos اتخذها السريان **فَرْدَايُصَا** Pardaiço وعندهم أخذها العرب . **فِرْزَل** : الفِرْزَل كزبرج : القيد والمقراض يقطع به الحداد ، والحديد .

(١) ذكر (دوقال) ان **فِرْث** Pertho : بر ، سرجين وفِرْجُون : **فَرْغُونَا** Fargouno عجمة ، من الألفاظ التي توافقت فيها السريانية والعبرية (ص ١٦٠ و ١٦٣) .

وقرّز له : قيد . لفظة سريانية كنه الأ Farzlo : حديد ، قيد ، مجزر ، مكين .
و كنه الكمل و كنه الكمل Farzloio . Farzlonoio فرزلي ، حديدي ،
والفعل كنه أ farzēl فرزل ، قيد .

فرزوم : ستر (اثياب) مشرّ وهو السراويل ، نوع من اثياب يقال له
المشط أو المشرّ . وفي أقرب الموارد : الفرزوم نوع من الثياب يقال له المشط
أو المشرّ . وفي الجواليقي ص ٢٦٦ « قال أبو بكر : وتسمي عبد القيس المشط
والمشرّ : فرزوماً ، بالفاء وأحبه معرباً » وفي الهامش : قال ابن دريد أيضاً
٣ : ٣٣٧ فأما الفرزوم بالفاء فإزار تأتزر به المرأة في لغة عبد القيس وأحبه
معرباً » والمادة بهذا المعنى لم تذكر في اللسان ولا في القاموس . قلنا هي
سريانية كنه أ frozoumo والفعل أ كنه أ Ethfarzam : تآزر لبس
سراويل . فاللفظ معرب من السريانية (١) .

فرصة : وسيلة ، واسطة ، وفي أقرب الموارد والمصباح ، التوبة وفي السريانية
كهن وصال ، كهن وصال fourso , fourço والفعل أ كنه أ Ethfarace :
انتهر فرصة . وذهب الأستاذ بندلي أنها يونانية الأصل Peros ومن السريانية
أخذها العرب . (مجلة مجمع اللغة العربية ٣ : ٣٤٤) .

فرط : فرد ، حبّ الرمان . وفي شفاء الغليل (١) « فرط » العامة تقول
لتبديد حيات القعد والرمان ونحوه ، تفريط ، وهو مجاز قريب مولد . اهـ ،
وبالسريانية كهن و farēd .

فرطوسة ، وفرطيسة الخنزير : الله وكذلك فتطيسة الخنزير : خطئه :

(١) فرشان : أورد ابن جرير التكريني هذه اللفظة في كتابه المرشد ، الباب ٤ . قال
« إن يؤخذ من البركة أولاً وهي الفرشان المقصود على المذبح الذي قد يورثه له ، وهي معرب
كهن وصال ويقال غيا (برشان) وقد مرت بك . م (٢) .

فَرْشُهُم بِالسِّنِ الْمُجَمَّةِ fartousho والفعل فَشَّهَ fartesh : فرض ،
مدَّ فرضوته ^(١) .

فَرْفَخَ : في اقرب الموارد ٢ : ٩٢٠ « الفرفخ البقلة الحمقاء التي يقال لها الفرفير
وفي الرحلة ٤ ، معرب ، وفي معجم الشيباني ٥١٦ « رجلة ، بقلة حمقاء ، بقلة
مباركة ، فَرْفَحِين ، وفَرْفَحِينَة في لبنان . وهما من السريانية ، بقلة عشبة لحمية
تزرع ، وكثيراً ما تنبت في الزروع » فَشَّهَمَلْ farfhiné .

فاروق : جاء في المصباح ص ٧٢٢ « الفاروق الرجل الذي يفرق بين الامور
اي يفصلها » . وزاد الشرتوني : ولقب عمر بن الخطاب . وفي معجم البلدان
٢ : ٢٩٨ « قال علي بن ابي طالب في مسجد الكوفة . . . وهو الفاروق » .
والفاروق في 'عرفنا المسيحي هو المخلص والنقذ وهو سيدنا المسيح : جاء في
معجم التاموس للروم في فصل « حقوق الله » (هكذا يقول سيدنا المسيح
ووسيطنا وفاروقنا) وورد الفاروق أيضاً بمعنى الواقي والمنجي من الهلاك ومنه في
كتاب العنوان للمطران اغايوس المنجي الرومي ص ١٨ طبعة بيروت قال
« وكان شيخه (شيخ جالينوس) في الطب طيب اسمه اليانوس ، وهو الذي
توجه الى مدينة انطاكية في السنة التي وقع الموت باهلها ومعه ترياق (الفاروق)
فن شرب منه قبل ان يمرض فجاء ، والذين شربوه بعد المرض منهم نجوا ومنهم هلك »
وقال البيروني ص ٣١١ و كالفاروقه وتفسيرها : النجاة .

والكلمة سريانية فَرْشُهَا forougo وهي اسم فاعل من فعل فَشَّهَ fraq
الذي يعني : فرق ، فصل وخلص ونجى . وبهذا المعنى جاء الفاروق في عرفنا .
أما فعل فرق العربي فلا يتناول معنى خلص ونجى ونحوهما . والمصدر من فَشَّهَ

(١) قال ابن دريد ٣ : ٢٦ « الفطيس المطرقة الضيقة هي اما سريانية ولما رومية
الا ان العرب قالت فطية لختير يزيدون بها الله (ابن سيده ١٢ : ٢٥٨) وفي الجواليقي
ص ٢٤٥ عن ابن دريد « ليست بحرية محنة لما رومية ولما سريانية » .

فرقان : كُوهْمُونْدُ fourqono ومعناه خلاص ، نجاة ، نصر ، فدية ، حق ، ملك . وبهذا المعنى وردت في القرآن في سورة الأتقال « ان تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً » فشرحه ابن سعيد بقوله : الفرقان ، النصر على الأعداء . وكذلك شرح ابن دريد قول القرآن « يوم الفرقان » يوم النصر . أخذاً من السريانية . هذا ومعناه استعمالوه للقرآن فقالوا دعي القرآن « بالفرقات » لأنه يفرق الحق من الباطل ، وفدوه أيضاً في قوله في سورة البقرة « آتينا موسى الكتاب والفرقان » بمعنى التوراة ^(١) .

فرنة المرأة : حسن تدبيرها وهي مفرنة والنون زائدة . (أقرب الموارد) ولا فعل عربي هذه اللفظة . وهي سريانية كُوهْمُونْدُ founoço مصدر فعل كُوهْمُونْدُ farnèce ومعناه : ماس ، ودبر ، اعتنى ، رتب .

قريسة : يرشانة التقديس : مسيحية سريانية كُوهْمُونْدُ / fristo اقتصر على ارادها ايليا ابن السني في ترجمانه .

فُتَقُ : الفتق وتؤه مضومة ومفتوحة ، جنس اشجار مثمرة وحرارية من فصيلة البطحيات (النهائي ٥٠١) وفي المصباح بتصرف (ص ٧٢٤) نُقُل معروف وهو معرب والتعريب حمل الاسم الأعجمي على نظائره من الأوزان العريضة ، وفي البارع وتقول العامة فُتَدَقُ وفُتَقُ بالفتح والصواب الضم ، ثقله الاصمعي وثوب فُتَقِي بالضم ٥٠١ . وفي شفاء الغليل ص ١٤٨ « فتق معروف معرب » والذي عندنا انه ورد في السريانية والعبرية ، ومنه في سفر التكوين ٤٣ : ١١

(١) فرن : قال الجواليقي ص ٢٤٤ وكذلك « الفُرن الذي يُخبز فيه » ليس بهري محض ، ومنه اشتقاق اسم (الفُرنية) وفي الجوهرة ٢ : ٤٠٢ « والفُرن هي » يُخبز فيه ولا أحبه عربياً محضاً ، وفي المجمل : الفرن : ليست عربية محضة (أقرب الموارد ٣ : ٩٢٢) وفي حجة جمع الفتة ١ : ٤٢ (الفرن الخبز معرب والفرنارة الحجازة) . فقا هو لفظ لاتيني للتجار من fornax ومنه أخذت الفرنية : fourneau « قاموس ميخائيل Thiel ص ٦٠٦ » ومن اللاتينية أخذه السرمان بلفظة كُوهْمُونْدُ founo .

«ولاذنًا وفستقًا ولوزًا» **ܩܚܫܬܐ** Pestho وأثبتته دوفال في عداد ألفاظ اللتين ١٦٢:٣ واستعملته اللغات اليونانية واللاتينية والعلمانية والفرنسية والانكليزية والفارسية (انظر معجم Chambers في اللغة الانكليزية ص ٥٩٦) والتركية (معجم كلبيان ص ٨٩٨) .

فَشَر الطيب فَشَرًا وتفسيره : نظر الى بول المريض ليستدل به على شيء من أمره . والتفسير مصدر او في البول يستدل به أو القارورة التي فيها بول المريض ليمرض على الطيب . وفي القاموس ١١٠:٢ او هي مودة . ووردت في جميع الكتب الطبية .

فلنا اننا لفظة سريانية الاصل **ܦܫܪܬܐ** Tafshourtho و **ܦܫܪܐ** fashro و **ܦܫܪܬܐ** fshartho بمعنى . والفعل **ܦܫܪܐ** Tafshar : بال المريض خاصة . وليست كما زعم الراغب في مفرداته بقوله فيها ص ٣٨٩ «الفـ ر اظهار المعنى المقبول ومنه قيل لما بُني عنه لبول : تفسيره» (١) .

فَشَّ : جاء في المصباح ٧٢٦:٢ فَشَّ الرجل الباب فهو فَشَّاش ، اذا فتح القفل بآلة غير مفتاحه حيلةً ومكرًا ، وفي شفاء الغليل ص ١٥٣ «فَشَّ القفل اذا فتحه بخير مفتاح» فهي لفظة دخيلة في العربية وأراها معربة من السريانية **ܦܫܐ** fash فَشَّ ، ارخى ، حلَّ ، ومشتقاتها بمعنى .

فَشَّار : قال صاحب شفاء الغليل ص ١٤٦ «الفشار للهذيان ليس من كلام العرب كما في القاموس» وفي التاج «الفشار كغراب ، الذي تستعمله العامة بمعنى الهذيان وكذا التفسير ليس من كلام العرب وانما هو من استعمال العامة» فلنا الفعل **ܦܫܪܐ** fshar سرياني معناه هذى ، بذى ، فشر ، والمصدر **ܦܫܪܬܐ** fashro

(١) فنيّة : «جمع الماء جمه فاتي انتهر في الاستعمال وعبارات الفقهاء ولا أدري له أصل» (شفاء الغليل ص ١٥٢) فلنا اللفظة لاتينية النجار Piscina وصرّح به الترتوني ١٢٥:٢ ومن اللاتينية أخذتها السريانية **ܦܫܟܝܢܐ** Peskine : قناة ، بركة ، صريج ، وبوساطتها أخذتها العربية . ومن اللاتينية سرت الى الفرنسية Piscine والانكليزية Piscina .

fshoro : كُصَحْدُنْا foushrono والفاعل من كُصَحْدُنْا المتعدي fashar
كُصَحْدُنْا fashoro : فُشَارْ ، هَذَا ، كَذَابٌ .

فِصْح : لفظة عبرية الأصل (Pésach بيساخ) أُخِثَتْ بِهَا الْف بِحَسَبِ الطَّرِيقَةِ
الْأَرَامِيَّةِ فَصَارَتْ كُصَحْدُنْا Pascha بالسین المهملَة وعربوها ولا سيما اليهود :
فِصْح . وأوردوها ابن يهول في معجمه عمود ١٥٨٩ و ١٥٩٦ كُصَحْدُنْا ، كُصَحْدُنْا
و كُصَحْدُنْا : الفِصْح أو الفِصْح . وهو عند اليهود عيد تذكار خروجهم من مصر
بعبور البحر الأحمر ودخولهم أرض الميعاد بعد ذبحهم خروف الفصح . وعند
المسيحيين عيد اقربان الأولي المعروف بالفصح الجديد ويكون في الخميس السابق
عيد القيامة ويسميه السريان خميس الفصح ، ويطلق أيضاً على عيد القيامة نفسه ،
ومن العبرية أخذ السريان هذه اللفظة فأبدلوا السين بالصاد وقالوا فيها كُصَحْدُنْا
Pes - ho فصح وبلغتهم هذا تقلباً عنهم العرب ولم ترد عندهم إلا في فصح
النصارى ، قال الأعشى يمدح هوزة بن علي النصراني الذي أطلق امرئ بني تميم
يوم عيد الفصح :

يهم تقرب يوم الفصح ضاحيةً يرجوا الآلة بما أسدى وما صنما^(١)
وانتقت اللتان العبرية والسريانية على معنى الفصح اللغوي وهو العبور والاجتياز
أما الأولى ففي الفعل الثلاثي Pésach وأما الثانية ففي المزيد أَهْصَمَ Afsah
ودليله في السريانية ما ورد في سفر الخروج بحسب الترجمة السريانية البسيطة
١٢ : ١٣ «ويكون الدم علامة لكم على البيوت التي انتم فيها فأرى الدم واجوز
عنكم» وبالسريانية أَهْصَمَ كُصَحْدُنْا Efsah claicoun والفعل أَهْصَمَ
بمعنى جاز وعبر ، وأيضاً عيد وأكل الفصح «كثر اللغة السريانية ص ٢١٣
ودليل الراغبين ص ٦٠٠^(٢) و أَهْصَمَ Ethfasah للمعنى الثاني فقط . وجمع

(١) النصرانية وآدابها لشيخو ١ : ٢١٦

(٢) ضلّا عن ضل كُصَحْدُنْا Fsaa وسماه عبر ، جاز ، جاوز وكذا في العبرية

الفصح فصح قال البيروني ص ٣٢٣ « ثم نستخرج من هذه الفصوص المصححة
 فطر الصابئين » والفعل أفصح يقال أفصح النصارى واليهود : حان فصيحهم .
 ودخلت لفظة الفصح في كثير اللغات بوضعها كاليونانية Paska واللاتينية Pascha^(١)
 والنسبة إليها Pasckalis و Paskalios فصحي ، ومن اليونانية انتقلت الى الحبشية
 Päska . Päsche والفرنسية Pâque^(٢) والانكليزية Pasch^(٣) وغيرهما من
 اللغات الغربية والأرمنية Passèk والتركية : پاسقاليه^(٤) أخذاً من اليونانية بلفظها
 المنسوب إليه . ولا يزال الأقباط يلفظونها بحسب الوضع العبري فيقولون جمعة البسخة
 أفصي : تنفسي : تخلص من خير أو شر ، وانفصي من الشيء تخلص وخرج منه .
 وفي أساس البلاغة ٢ : ٢٠٣ « وقع في ، ألا بقدر على التنفسي منه ، ولبني أتفسي
 من فلان أي أتخلص منه وإياه » وتورد ياقوت في خبر مدينة البصرة ، « قال
 نافع بن الخارث ان اخته لما أخذت الأرز توقد تحته ، نادت ألا انه (يتفسي)
 من حبيبة حمراء » معجم البلدان ٢ : ١٩٤ والقصة : المرأة واسم بمعنى اتخلص
 تقول قفى الله لي بالقصة من هذا الأمر . هذه المادة تتفق فيها اللغتان السريانية
 التي تكثر استعمالها ونظن اصل الكلمة منها ، والعربية التي يندر فيها استعمالها .
 ففي السريانية فسا / fso و فسا / faci : فصى ، فصى ، خلاص ، استنقذ
 و فسا / Ethfaci : تنفسي و فسا / fsoito : نجا ، فمية . وتوافقها
 العبرية في الثلاثي Pso بمعنى (المعجم السرياني اللاتيني للاب يرون ص ٥٠٤) .

(يتبع) مار اغناطيوس افرام الاول برصوم

بطريرك انطاكية وسائر المشرق للسريان الارثوذكس

✠✠✠✠✠

(١) قاموس Thiel ص ١١٢٣ (٢) فيه

(٣) معجم اللغة الانكليزية تأليف Chambers ص ٥٧٤

(٤) قاموس كلبيان ص ٣١٣

كنوز الأجداد

- ١٢ -

أبو الفرج الأصفهاني

علي بن الحسين

(٣٥٦)

قيل انه من ولد هشام بن عبد الملك وصاق ياقوت نبه هكذا : علي بن الحسين ابن عبد الرحمن بن مروان بن عبد الله بن مروان بن محمد بن مروان بن الحكم بن ابي العاص بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف ، ولد في اصفهان وأخذ العلم في بغداد عن ابن دريد وابن الأنباري والجمحي والأخفش وتقطوبه وكتب عليه أن ينتقل في البلاد وانتفى الى أن أصبح من ندماء الوزير المهلي ووصل الى سيف الدولة ابن حمدان . وصفه ياقوت بالعلامة النسابة الاخباري الحفظ الجامع بين سعة الرواية والحذق في الدراسة لأعلام لأحد أحسن من تصانيفه في فنها وحسن استيعاب ما يتعدى لجمعه وكان مع ذلك شاعراً مجيداً .

وقال التنوخي كان يحفظ من الشعر والأغاني والأخبار والآثار والأحاديث المسندة والنسب ما لم يحفظ مثله أحد ويحفظ دون ذلك من علوم آخر منها اللغة والنحو والخرافات والسير والمغازي ، ومن آلة المنادمة شيئاً كثيراً مثل علم الجوارح والبيطرة وتنف من الطب والنجوم والأشربة وغير ذلك وله شعر يجمع اتقان العلماء واحسان الظرفاء والشعراء .

كتب المؤلف مصنفات كثيرة أجاد فيها وأجلها كتاب الأغاني جمع فيه الأصوات القديمة وما قيل فيها وتراجم الأدياء والشعراء وأخبار الحضارة والعلم

بما لم يكتب الكثيرين ان يجيدوا فيه ، فالأغاني كتب كثيرة في كتاب ،
انتفع به كل مؤلف وكل أديب وكل شاعر وكل تأثر على اختلاف العصور
ولو قد كتب له الضياع لفقد الآدب العربي بفقدته أعظم جزء مهم . ومن عظمة
هذا الكتاب ان فيه أخباراً اقتبسها من كتب لم تصل إلينا وقد حمله أشعاراً
وقصصاً من الآدب المكشوف لا تروق الا فرنج طريقتها وتلاهم العرب لعهدنا
في الاشتزاز من كتبها وتلاوتها وانشادها .

وقد استغرب من ترجموا لأبي الفرج بأنه كان على نزعة شيعية مع أنه أموي
من صميم بني أمية والغالب ان يئسوا اوحث اليه ذلك وكانت بعض الكتب التي
اعتمد عليها من مؤلفات الشيعة . وقيل انه كان يؤلف بعض الكتب ويرسلها الى ذوي
قرباه من الأمويين في الأندلس ويميزونه عليها سرّاً . وهذا كتابه الأغاني اهداه
لسيف الدولة بن حمدان وهو شيعي فأجازه عليه بألف دينار وبلغه صاحب بن
عباد فقال : لقد قصر سيف الدولة وانه يستاهل أضعافنا ووصف الكتاب فأضرب
ثم قال : ولقد اشتملت خزائني على مائتين ومئة آلاف مجلد ما منها ما هو سميري
غيره ولا راقني منها سواء . قال ابو محمد المهلبى سألت أبا الفرج في كم جمعت
هذا الكتاب فقال في خمسين سنة . قال يافوت : « وامرني ان هذا الكتاب
لجليل القدر ، شائع الذكر ، جمّ الفوائد ، عظيم العلم ، جامع بين الجد البحت ،
والهزل النحت » .

جمع الاصفهاني كتابه من كتب من سبقوه الى خوض هذه الموضوعات ومن
دواوين الشعر والخطب والأخبار ما عرّف على غيره استيفاء مثله . جمعه بذوق
عالٍ شفاف حتى لينسى قارئه ان ابا الفرج جماعة قلّ ان يأتي بشيء من عنده
واذا أتى به كان من الجيد المتمتع لا يخرج كتابه عن منهاجه ولا يجيد عن
ترتيبه . وأسلوبه الداهل المتمتع في الكتابة وربما كانت كاتباً أكثر منه شاعراً
وان نسب المؤلفون اليه الشعر ووصفوه بالجودة . فالأغاني مفخرة لغة العرب

لو اقصر متأدب عليه لجاء منه أول أديب لأنه يظهر فيه بأدق الشعر وأجزل الخطب إلى ما هناك من أخبار وطرف وسير ومجالس وبدائع كتبها بحرية ظاهرة وما عمد إلى شيء من التقيّة في تقييدها وتدوينها .

ورموا أبا الفرج بأنه كان مستهتراً في سيرته شأن بعض التدماء في العصر العباسي وكيف يتتبع التديم عن أشياء حظرها العرف والشرع وهي معروضة عليه كل ساعة وبها قد بنفق على مخدومه . وكما كانت يثبته الأصلية أوصلته إلى القول بالتشيع لأهل البيت وهو من أسرة منافقة لم ساقته الندامة إلى ارتكاب أمور كان يعف عنها لو لم يصل إلى تلك المجالس والملاهي . ومن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه .

ثم إن من الطبيعي أن يرجع من يكتب كتاب «مقاتل الطالبين» إلى معادهم ويرشح فكره من أفكارهم ، وكما أن من يتوسع في الترجمة لأبي نواس وينقل شعره العاهر بدون حرج يحكم على المؤلف أنه كان في كتاب «مقاتل الطالبين» شيعياً جلدأً^(١) وفي الشعر النواصي خليعاً ماجناً . وكتاب الأغاني على أي حال هو معلمة أدب أو أكبر معلمة في أدب العرب لا يستغني عنه كاتب ولا مؤلف ولا تلميذ ولا أستاذ . كتبه مؤلفه في السنين الطويلة ولم يدخر وسعاً في تجويده فجاء كما أراد هو وأراد الأدب وحاول بعض المتزمتين اختصاره فما أتوا بكبير أمر وبقيت قلوب الدارسين والمثلهين لا تعلق لها بغير قراءة الأصل والاعتماد عليه .

ألف كتاب الأغاني في عصر فضجت فيه الآداب نفجاً لم يتيسر لها في القرون التالية أن وقفت إلى أكثر منه فهو بلغته السامية ومادته الواسعة من النحط

(١) يقول صديقي الأستاذ المحقق شفيق جبري أنه أمين النظر كثيراً في كتاب الأغاني فرآه ينقل ما يرميه بالتشيع وما كتب به براءته منه فهو بريء من التشيع إذا اعتبرنا مجموع كلامه . وإذا صح رأي الأستاذ الحبيب يخرج أبو الفرج من تهمة ألصقت به زمناً طويلاً لأنني ما رأيت مؤلفاً من القدماء إلا وقال بشيعة .

العالي ، وفي جودة تأليفه المثل السائر بين المؤلفات ، صرف مؤلفه في تصنيفه
تقد عمره فخلد اسمه تخليداً لم يلبثه من ألفوا مجلدات أكثر من مجلداته ، ذلك
لأن هؤلاء كتبوا برؤوس أناملهم من حاضر الوقت وكتاب أبي الفرج كتبه
بتحقيقه وجمال ذوقه وخلع على ما جمع حلة شائقة من ظرفه ، ومجموع هذا دل
على نبوغ تفرّد به في هذا الباب من دون أكثر المؤلفين ، ومثل هذا التأليف
إذا أرادت أمة عظيمة من أمم الحضارة الحديثة أن تخرجه للناس لا يعمل فيه
أقل من خمسين عالماً اختصاصياً في فنه وأبو الفرج عمل وحده وكن نسيج وحده ،
فالأغاني كنز من كنوز الأجداد ومفخرة الآباء والأبناء والأحفاد .

ومما روي من شعره ما قاله في هجو المهلب :

أبعين مفقّر إليك رأيتي بعد الضافرميت بي من حالي
لست الملوّم أنا الملوّم لأنني أملت للأحسان غير الخالق

ومنه :

حضرتكم دهرآ وفي الكم تحفة فما أذن البواب لي في لقائكم
إذا كان هذا حالكم يوم اخذكم فما حالكم تالله يوم عطائكم
وذكروا ان صاحب الأغاني كان كاتباً لركن الدولة خطيباً عنده محشياً له
وكان يتوقع من الرئيس أبي الفضل بن العميد ان يكرمه ويجهله ويتوفر عليه
في دخوله وخروجه وعدم ذلك منه فقال :

مالك موفور فما باله اكبك اليه على المعدم
ولم اذا جئت نهضنا وان جئنا تطاولت ولم تتم
وان خرجنا لم تقل مثل ما تقول « قدم طرفة قدم »
ان كنت ذا علم فمن ذا الذي مثل الذي تعلم لم يعلم
ولست في الغارب من دولة ونحن من دونك في المنعم
وقد ولينا وعزلنا كما انت فلم نصغر ولم نعظم
تكافأت أحوالنا كلها فصل على الانصاف او فاصرم

وقد روى ابوحيان في كتاب الوزيرين من تصنيفه من خبر هذه الآيات غير هذا
ومن قوله في المهلي :

ولما انتجعنا عثدين بظله أمان وما عني ومن وما منّا
وردنا عليه مقتدين فراشنا وردنا نداه مجدين فأخصبنا

وله من قصيدة يستمحه :

رهنت ثيابي وحالي القضاء دون القضاء وصد القدر
وهذا الشقاء كما قد ترى عوف عليّ قبيح الأثر
نعادي بصرة من العاصفا ت أودمقي مثل وخز الاير
وسكان داري ممن اعو ل يلتقن من يوده كل شر
فهذي تحن وهذي تنن وأدمع هاتيك تجري دزر
إذا ما تملحن تحت الظلام يملن منك بحسن النظر
ولاحظن ربك كالمحلقين شاموا البروق رجاء المطر
يؤملن عودي بما ينتظرون كما يرتجى آيب من سفر

شعر لطيف ولكنه بعيد عن عزة النفس ما كان يليق صدوره من مثله .

عماد الدين الكاتب الاصفهاني

محمد بن محمد

(٥٩٧)

قالوا خرج من اصبهان من العلماء والأئمة في كل فن ما لم يخرج من مدينة
من المدن وعلى الخصوص علم الاسناد فان أعمار أهلها تطول ولم مع ذلك
عناية وافرة بسماع الحديث وبها من الحفاظ خلق لا يحصون ولها عدة تواريخ .
والعماد الكاتب هو من هذه المدينة الجميلة نشأ بها وجاء بغداد شاباً فانتظم في
سلك طلبة المدرسة النظامية وتفقّه بأجلة فقهاؤها ومحدثيها واجازوا له ثم رجع

الى اصفهان ففقه بها أيضاً على الخجندي والوركاني وعاد الى بغداد واشتغل بصناعة الكتابة فبرع فيها ونفع واتصل بالوزير يحيى بن هبيرة فولاه النظر في البصرة ثم بواسط ولما توفي ابن هبيرة أقام العباد ببغداد مدة منكدة العيش ثم انتقل الى دمشق فأنزله قاضي القضاة كمال الدين الشهرزوري بالمدرسة الشوبية وكان للعباد معرفة بنجم الدين أيوب والد السلطان صلاح الدين ، عرفه بكربت حين كان نجم الدين والياً عليها ، فلما سمع نجم الدين بوصوله بادر للسلام عليه في منزله ومدحه العبادة بقصيدة جاء في مطلعها :

يوم النوى ليس من عمري يحسب ولا الفراق الى عيشي بمنسوب
ما اخترت بعدك لكن الزمان أتى كرها بما ليس يا محبوب محبوبني
وكان القاضي الشهرزوري يذكر العبادة عند السلطان نور الدين وذكر له تقدمه في العلم والكتابة وأنه لكتابة الانشاء فتردد العبادة في الدخول فيما لم يتقدم له اشتغال طويل به ، مع توفر مواد هذه الصناعة عنده ، خوفاً من التقصير فيما لم يمارسه ثم أقدم بعد الاحجام فباشرها وأجاد فيها حتى زاحم القاضي الفاضل بمنكب ضخمة . وكان ينشي الرسائل بالفارسية أيضاً فيجيد فيها اجادته بالعربية .

وعلى منزله عند نور الدين وصار صاحب مبره وفوض اليه تدريس المدرسة العمادية وولاه الاشراف على ديوان الانشاء . ولما توفي نور الدين وولي ابنه الملك الصالح اسماعيل اغراه بالعبادة جماعة كانوا يحسدونه ويكرهونه فخاف على نفسه وخرج من دمشق قاصداً بغداد فوصل الى الموصل ومرض بها ولما أبل من مرضه بلغه خروج السلطان صلاح الدين من مصر قاصداً دمشق ليستولي عليها فعزم على الرجوع الى الشام وخرج من الموصل فوصل الى دمشق وصار منها الى حلب فلزم بابه ينزل بنزول السلطان ويرحل يرحله .

هذا ما قلناه ياقوت قال ولم يزل ينشئ بحاله ملازماً لخدمته حتى قربه واستكتبه واعتمد عليه في تصدير وزايم الوزراء وأعيان الدولة وعلا قدره وطار صيته .

قالوا ولما دخل القاضي الفاضل على صلاح الدين لما أدخل عليه العماد الكاتب قال له غداً يأتيك تراجع الأعاجم وما يحملها مثل العماد . فقال له السلطان مالي عنك مندوحة أنت كاتب وزير ورايت على وجهك البركة فاذا استكثبت غيرك تحدث الناس . فقال : العماد محل التراجع ولربما أغيب أنا فاذا غبت قام مقامي . وكان اذا انقطع القاضي الفاضل عن الديوان ناب عنه في النظر عليه وألقى اليه السلطان مقاليد وركن اليه بأسراره فتقدم الأعيان وأشير اليه بالبنان . وكان عماد الدين محل ثقة القاضي الفاضل آمناً من توثبه عليه ولهذا كان يطحن اليه اذا غاب عن السلطان . وكان شديد الحرص على تحصيل الدنيا وكان الفاضل يلومه ويعتبه ويعذله ويؤنبه على ذلك فلا يرعوي وله في هذا حكايات منها أن رجلاً من أهل حمص جاءه بطبق كيزان وتفصيلة كتان قيمة ذلك كله نحو خمسين درهماً وسأل حاجة فأخذ قصته وقراها على السلطان وكان قد بلغه الخبر فلم يجبه ، فأعاد العماد عرض القصة وقراءتها مرات في مجالس عدة والسلطان لا يأمر فيها ولا ينهي ففطن العماد وعلم أن الخبر قد اتصل بالسلطان فأعاد عرض القصة فلم يجبه عنها . قال : يا مولانا الطبق الذي أحضره صاحب هذه القصة باق الى الآن لم أتصرف فيه فان كان ما ينقضي شغله أعدت عليه طبقه فضحك السلطان وعجب من دناءة نفسه وأمر بقضاء شغل الرجل .

وكان شديد التهاوت على أخذ الختم الذهب التي تجبي على كتب الفرنج ، فوصل منهم كتاب بغير حضوره ففتحه السلطان يده وأخذ بعض الحاشية الختم فلما جاء العماد قيل له اكتب جواب هذا الكتاب ، فقال يكتب جوابه من أخذ الختم فمزقوله على السلطان وقال له : قم اخرج ، الوقت ما هو محتاج اليك . فأتى الى الفاضل وعرفه ما كان فقال له رُح الى اخوانك واقعد بها مع الفقراء والبس زبيهم ، فاذا طلبك السلطان قل انا دخلت في أمر لا أخرج منه ثم لا تخرج حتى يأتيك السلطان بنفسه مترضياً . وكان من هذا التدبير ان جاء السلطان وترضاه . ومن شعره :

هي كتي فليس تصلح من به دي لغبر العطار والاسكاف
 هي اما مزاول للعقايب ر واما بطائن للخفاف
 ولما توفي صلاح الدين اختلت أحوال العباد ولزم بيته وأقبل على التمسيف
 والافادة حتى توفي سنة ٥٩٧ هـ . وله من المصنفات خريدة القصر وجريدة المعصر
 تراجم شعراء الشام والعراق ومصر والجزيرة والمغرب وفارس ممن كان بعد
 المائة الخامسة الى ما بعد سنة سبعين وخمسمائة وله البرق الشامي والفتح القسي
 في الفتح القدسي وهذا مطبوع وله غير ذلك من الكتب والدواوين .
 أما انشاؤه فجمع وفي الفتح القسي منه مثال يأتي على حلم الحليم ، لما أكثر
 فيه من الجناس وأتى من أنواع البديع وقد شهد القاضي الفاضل بأنه كالزناد
 ظاهره بارد وباطنه فيه نار . ونحن نقول ان شهرته أعظم من حقيقته . لا جرم
 انه يتمكن من اللغة يصرفها كما يشاء بقلمه وتكلفه لا يخفى على صاحب هذا
 الفن . وفي الفصل الذي عقده في الفتح القسي لوصف نساء الافرنج اللاتي فدين
 أنفسهن في الحروب الصليبية للترفيه عن بني قومهن في فلسطين مثال بين من ذلك .
 وما قيل في ثره يقال في شعره فانه يكثر فيه الجناس أيضاً حتى يفقد سلاسته
 ولنا ان نقول انه شاعر أرقى من الوسط وناثر كذلك ، هيأت له الايام شهرة
 طالما تحطت من بذوه وما ساواهم في أدبيهم وأخلاقهم . ومن قصائده الطوال
 في مدح السلطان صلاح الدين ضمنها فتح القدس وفلسطين قال في مطلعها :
 أطيب بأنتاس تطيب لكم تقاسا وتعتاض من ذكراكم وحشني أنا
 وأسأل عنكم عافيات دوارس غدت بلسان الحال ناطقة خرسا
 معاهدكم ما بالها كعهدكم وقد كررت من درس آثارها درسا
 وقد كان في جدس لكم كل طارف وما جئتم من هجركم خالف الحدسا
 أرى حدثان الدهر ينسى حديثه وأما حديث العذر منكم فلا ينسى
 تزول الجبال الراسيات وثابت رميس غرام في فؤادي لكم أرمى

حببت حبيبي قاسي القلب وحده وقلب الذي يهوى بجمل الهوى أقسى
ومنها :

رأيت صلاح الدين أفضل من غدا وأشرف من أضحى وأكرم من أمس
وقيل لنا في الأرض مبعة أبحر ولنا نرى إلا أنامله الخما
سجيته الحسنى وشيمته الرضى وبطشته الكبرى وعزته القما
فلا عدت أيامنا منه مشرقاً بنير بنا يولي ليالينا الدما
جنودك أملاك السماء وظنهم أعادبك جنا في المعارك أو انسا
ومن غزلياته قوله :

أفدي الذي خلب قلبي لواحظه وخلفت لدعات الوجد في كبدي
صفات ناظره سقم بلا ألم سكر بلا قدح جرح بلا قود
على عياه من نار الصيا شعل وورد خديه من ماء الجمال ندي
ومن حكمياته :

اقنع ولا تطمع فان الفنى كذا في غرة النفس
فانما ينقص بدر الدجى لأخذه الضوء من الشمس
وقال : وما هذه الأيام إلا صحائف يؤرخ فيها ثم يمحي ويمحق
ولم أر في دهري كدائرة المنى توسمها الآمال والعمر ضيق

ابن القلانسي

همزة بن اسد بن علي ابو يعلى النخعي

(٥٥٥)

ترجم له ابن عساكر فوصفه بالمعبد وأنه كانت له عناية بالحديث وكان
أديباً له خط حسن وثر ونظم . وكان فيه تخصص ومنع تاريخاً للحوادث بعد
سنة أربعين وأربعمائة إلى حين وفاته ، وتولى رئاسة دمشق مرتين ، وكان يكتب

له في سمائه ابرائيل الملقب بن اثناسي فذكر انه هو وانه كذلك كان يسمى
وفي تاريخ الاسلام انه كان كاتباً أديباً وجمع بين كتابة الانشاء وكتابة
الحساب وحدث ولايته توفي في عشر التسعين . وفي طبقات الأدباء انه الأديب
الكاتب الشاعر المؤرخ كان من اعيان دمشق ومن أفاضلها المبرزين ولي رئاسة
ديوانها مرتين . وقالوا فيه أيضاً انه كان كاتباً مترسلاً أي مثبثاً ومعنى انه
كان فيه تخصص انه يعرف علوماً اختص بها لا يعرفها غيره او فاق فيها غيره
وكل ذلك لا يفي بالغرض في الترجمة له وكان السياسة غالت أدبه ، والرياسات
تقتضي صرف أوقات . ولم يصرح من ترجوا لابن القلانسي هل كانت ملكة
السياسة فيه أم ملكة العلم والأدب ؟ وعندي ان كل واحد منهما اعلن الشق
الآخر على النحو ، ولولا أدبه ما وصل الى هذه المرتبة ، ولولا سياسته ما انتفعت
به بلده وعذ من حسناته ، ولولا جميل اخلاقه ما حمدت ولايته . والأرجح
أن ابن القلانسي حصر جهوده في مدينته وما ينفعها ولم يتعد اجتهاده الى بحث
غيرها فأنقص ذلك من شهرته ، ولو رحل الى عواصم أخرى وأطال الرحلة
لذكرته تواريخ هذا الشرق القريب ولعرفنا أموراً نجهلها عنه مما شغل به في خدمة وطنه
الف ابن القلانسي تاريخه ذيل لابن عساكر وكان فيه قسم لاواخر عهد
الفاطميين وقد ذكر من ظلمهم وتقلقل سياستهم ما كان فيه حجة لأنه دمشق
يكتب في دولة ظالمة تحكم امة يخالف سوادها الأعظم في مذهبهم . وهو من
سياسة البلدة في صميمها ومن بعد النظر وسعة العقل بالمكان الأسمى .

وصف بعض رجال القواطم وبعض ملوكهم أجمل وصف كما أحسن الاحسان
كله في الترجمة لمن ترجم لم من الطائرين على النصحاء من العلماء ومنهم من رثاهم
على قرب عهده بصدقاتهم . وما أجمل قوله في وصف الحاكم بأمر الله : وقال
المغالون في المذهب انه غائب في سره (?) ولا بد ان يؤوب ، ومستتر في غيبه
ولا بد ان يرجع الى منصبه ويثوب ، ووصف ولاية علي بن حيدرة بن متزو

على دمشق وقد وليها قهراً وغلبة وقسراً من غير تقليد ، ولم يلق أهل البلد من التعجرف والظلم والعسف بعد جيش بن الصمصامة ما لقوه في ولايته . وفي أيام الفاطميين تغلب على دمشق قسام الحارثي من أهل تلمبينا في جبل سنير وكان تراباً ينقل التراب على ظهور الدواب .

ومن ذكاه ابن القلانسي انه كان يلتزم الكتان في بعض الأحوال ، بخاصة هو يعرف ان الدول في عصره متقلقة متحولة ، فمن فاطمية الى سلجوقية الى نورية وهو لا يعرف لمن تتم الغلبة الأخيرة ولهذا كان يجمع أحياناً وهو على صواب في جميعته ويتقي وهو غير آثم في تقيته . قال ولما اضطربت المسالك والأعمال ، وانطلقت أيدي التركان والحرامية في الفساد في الأطراف ، واستولى نور الدين محمود على دمشق قال قصيدة مطولة وقال انها نظمت (للمجهول) في صفة هذه الحال آيات شعر تنطق بذكرها بانها له لأنه سبق له أن نظم في الحكم كثيراً . جاء في آخرها :

ومن ذا الذي ينجو من الدهر سالماً	إذا ما أتاه الأمر والله حاتم (؟)
ومن رام صفواً في الحياة فما يرى	له صفو عيش والحمام يحاومه
فأباك لا تغبط مليكاً بملكه	ودعه فان الدهر لا شك قاصمه
فان كان ذاعداً وأمن خائف	فلا شك ان الله بالعدل راحمه
وقل للذي يبني الحصون لحفظه	رويدك ما تبني فدمرك هادمه
فكم ملك قد شاد قصرًا مزخرفاً	وفارق ما قد شاده وهو عادمه
وأصبح ذاك القصر من بعد بهجة	وقد درست آثاره ومعالمه
وفي مثل هذا عبرة ومواعظ	يبا يتناسى المرء ما هو عازمه

ومن شعره :

يا من تملك قلبي طرفه فغدا
مذبذباً بين أشواق وأشجائب
أمن بوصل ليلي أستجير به
من مطرة البين في صد وجيران

مالي منيت بمنوع بمني ولا يزيد فؤادي غير احزان
لا يرا الله قلبي من تحوفه ان ثبت حي له يوماً بسلوان
إذا ترنم قمرى على فنن في ليلة زاد في حزني وأشجاني
وكم أسر غرامي ثم أظنه وليس يخفى لكم سري وأعلاني
لا يرد الله شوقي ان نوبت لكم تغيراً لي بمال أو بسلوان
وله أيضاً :

باتفس لا تجزعي من شدة عظمت وأبقي من إله الخلق بالفرج
كم شدة عرضت ثم انجحت ومضت من بعد تأثيرها في المال والمهج
وله أيضاً :

اياك تقنط عند كل شديدة فشدائد الأيام سوف تهون
وانظر أرائك كل أمر حادث أبداً فما هو كائن سيكون

وبعد فليس ذيل تاريخ دمشق وهو تاريخ مختصر جمل على السنين ومزجت
فيه السياسة بوفيات الرجال هو كل ما يجب ان يخلفه ابن القلانسي المقتن البارغ ،
والغالب ان مشاغل البلد وسياستها شغلته عن وضع تأليف ، وقد طال عمره ؛
اذا لم يؤلفها أمثاله فمن يؤلفها يد انه لم يفعل . والرياسات معها كانت اعداؤها
خفيفة تستغرق الوقت ، وهو ما قصد من تاريخه الا الوفاء بغرض ان لم يتم
هو به ضاعت حوادث كثيرة من تاريخ الاسلام ولا سيما تاريخ بلده وهو يحبه
ويتفانى في محبته خصوصاً ما كان منها متعلقاً باخبار الفاطميين الذين شهد ظلمهم
الظلم وتقصيرهم التميم لا يدون بعضها أشياهم وأتباعهم .

محمد كرد علي

تحقيقات معجمية

- ٤ -

ح: ثَغَرَ وَالثَّغَر

العربية :

ثَغَرَ : كسر أسنانه . ثَغِرَ : دُقَ فيه ؛ و - الغلامُ : سقطت أسنانه .
 اَثَغَرَ وَاثْغَرَ وَادْثَغَرَ : نبتت أسنانه (بعد سقوطها) . الاثْغَار يكون في النبات
 والسقوط . اذا وقع . قدَّم النعم من الصبي ، قيل : اَثَغَرَ . فاذا قلع من الرجل
 بعد ما يُسِن ، قيل : قد ثَغِرَ . أصل الثَّغَر الكسر والهدم . ثَغَرَت الجدار :
 اذا هدمته . الثَّغَر والثُّغرة : كل فرجة في جبل أو بطن وادٍ ، أو طريق مسلوك .
 و - كل جوية منفتحة ، أو عورة . والثُّغرة : الثلثة . ثَغَرْنَاهُمْ : سدَدْنَا عليهم
 ثَلَمَ الجبل . والثَّغَر : موضع اخفاة من فروج البلدان ، و - النعم ؛ أو اسم
 الأسنان كلها ما دامت في منابتها قبل ان تسقط . هي الأسنان كلها كُنْ في
 منابتها أو لم يكن . تسمى الأسنان ثَغُوراً ، لأنها تسقط أو تكسر ؛ ثم لأنها
 نبتت بعد السقوط ، من باب تسمية الشيء بما كان عليه سابقاً من السقوط ^(١) .
 الثَّنائي : ثَرَّ : غَزُرَ ، وسمِعَ . ودد ، بدد ، خلط . الثَّرثار : كثير
 الكلام ^(٢) . تَرَّ الشيء : بان ، انقطع ، و - قطع كل عضو ، انقطع ، بان ،
 سقط . و - عن بلاده : بَعُدَ . الترترة : التللة والتعنة . التُّرَّى : اليد
 المقطوعة ^(٣) .

(١) اللسان ٥ - ١٧١ . المطمح ١ - ٢٩٣ . Lane ٢٣٨ ي .

(٢) الأساس ١ - ٤٩ .

(٣) لسان ١ : ٢٣٢ .

السريانية :

(ع) Tra : ترع ، شق ، خرق ، ثلم ، ثير ، حدم ، فعد ، أفرى ،

أبعد ، جرى .

Tar â : باب ، مدخل ، رأس ، فصل .

Tarrâ â : ترّاع ، بواب .

Ture tâ : ترعة ، ثلعة ، فجوة ^(١) .

الثاني : Tar : قطع ، انقطع ، ترّ ، أترّ ، فصل ، انفصل .

Tartar : ثرثر ، بدد ^(٢) .

العبرية :

(ع) Sâ ar : فلق ، قسم ، خزق .

Sa ar : باب ، مدخل .

Sò èr : بواب ^(٣) .

Sârah : حلّ ، فصل ، أرخى ^(٤) .

الأكديّة :

Sarû : فتح ، دشّن .

Tasritu : افتاح ، تدشين ^(٥) .

الحثية :

(ع) Sa ara : شق ، فلق ، خزق ، حلّ ^(٦) .

Saraya : حلّ ، غفر : سامح ^(٧) .

(١) أودو ٢ - ١٣٦ ي - Payne - Smith ٤٠٠٣ ي ي -

(٢) معجم متا ، ص ٨٤٨

(٣) معجم Robinson ١٠٤٤

(٤) معجم Bezold ٢٨٠

(٥) معجم المالخ ٣٩٦

(٦) Dillmann ٣٤٦

(٧) Dillmann ٣٩٠

تنسيق وتعليل

- (١) ان مادة « ثغر » هي واحدة في اللغات السامية الاخوات ، وان ظهرت مختلفة من حيث الحروف ، لأن الثاء العربية هي تاء في السريانية وشين في العبرية والاكدية ، وسين في الحبشية . والعين والغين تتعاقبان في هذه الألسن . وهذا الاختلاف جارٍ في المادة الثنائية المشتق منها الثلاثي . فاذا تقرر هذا نقول .
- (٢) ان الأصل الثنائي لهذه المادة الثلاثية هو في العربية « ثَرَّ » ومداليه هي : غنر ، وسع ، بدد ، خلط . ومنه الثنائي المكرر : ثرثر : بدد . أو الثنائي « تر » وخواويه : بان ، اقطع ، قطع كل عضو . أثر : اليد واطرها : قطعها . وفي السريانية Tar : قطع ، اقطع ، تر ، فصل . و tartar : ثرثر ، بدد . وفي العبرية sârah : فصل ، حل ، أرخى . وفي الحبشية saraya : حل ، غفر .
- (٣) من القطع والفصل والفتح يتولد في الثلاثي « ثغر » بمعنى الكسر والهدم ، والقلم ، والتزع ، ثم الشق والفلق ، والخزق ، والثلم ، والابعاد ، وبقيّة ما هناك من هذا القبيل ، مما يسهل ادراكه . من ذلك جاء في العربية ثغره : كسر أسنانه . ثغر الغلام : سقطت أسنانه . وفي العبرية : Sa ar : فلق ، قسم ، خزق . وفي الاكدية Sâru (اصله Sa âru : فتح ، دشّن . و Tasritu) (اصله Tasri tu) . وفي الحبشية Sa ara : شق ، فلق ، خزق ، حل . أما المادة السريانية فقد جرى فيها القلب . إذ عوض Tar يقال Tra : ترع ، شق ، خزق ، ثغر .
- (٤) من ذلك وردت المعاني المختلفة لكلمة « ثغر » في العربية ، وهي الثغر والثغرة : كل فرجة في جبل ، أو بطن وادٍ . الثغر : موضع الخفاة . من فروج البلدان . والثغر : الفم ، والثغر الاسنان كلها ان دامت في منابتها أو سقطت . وفي العبرية Sa ar : ثغر ، باب . و Sò er : بواب . وفي السريانية (بالقلب) Tar à : باب ، مدخل ، فصل . و Tarra a : ترأع ، بواب . و Tare la : ترعة ، نلعة ، فجوة .

خ : مَلَك والمَلَاك

العريسة :

ملك الشيء : استحواه قادراً على الاستبداد به . ملك العجينة : عجنه فانعم
 عجنه وأجاده ؛ اعتقد عليه بجمع كفه يعضره بشدة . ملك نفسه عند شهوتها :
 قدر على حبسها . ملك القوم : استولى عليهم ؛ ملك المرأة : تزوجها . ملكه :
 جعله ملكاً . المالك : صاحب الملك والسيادة . الملاك : الاقتدار . المَلَاك :
 أحد الأرواح السابوية . الملك : من تولى السلطنة بالاعتلاء على الأمة . المَلَك :
 اسم لما يُملك ويُتصرف فيه . الملكوت : العز والسلطان . المَلَك : المَلَاك^(١) .
 السريانية :

Mlak : ملك ، استولى ، أشار ؛ نصح ، أقنع ، وعد .

Etemlëk : استشار .

Mallëk : ملك ، سَلَط ، أشار ، نصح ، وعد .

Etmallak : تملك ، تسلط ، استشار ، أشار ، تشاور .

Malka : ملك ، قَبِل .

Malekta : مَلِكَة ، أميرة ، سلطنة .

Malküta : ملك ، مملكة ، دوة ، سلطنة ، عظمة ، ملكوت .

Melka : مشورة ، نصيحة ، رأي .

Mulkana : مشورة ، ملك ، عقار ، قنية ، وقف ، وعد^(٢) .

العبرية :

Malak : مَلَك ، صار ملكاً ، حكم ، دبر .

Melek : مَلِك ، أمير ، حاكم ، رئيس ، الله .

Malküt : ملك ، مملكة .

(١) Lane ٣٠٢٣ . القلوس ٣ - ٣٢٠ .

(٢) Payne - Smith ٢ - ٢١٣٩ ي . متا ، ص ٤٠٤ ي .

- Malkah : ملكة ، أميرة .
 Malak : أشار ، نصح . (من الارمية)^(١) .
 الا كدية :
 Malaku : أشار ، اعتبر ، غص ، امتشاز .
 Milku : إشارة ، استشارة ، حكم ، قضاء .
 Maliku : مشير .
 { ملك ، أمير ، رئيس }
 Maliku
 Malku
 malaktu : ملكة ، أميرة .
 malikütu : ملك ، مملكة ، ملوكية ، رياسة ، حكومة^(٢) .
 الحبشية :
 malaka : اقتنى ، ملك ، احتل ، استولى ، صاد .
 amlaka : أملاك ، ملك ، سود .
 malaki : مالك .
 melûk : ملوك .
 melkat : مملكة ، سلطنة .
 melkat : ملكية .
 amlak : أملاك ، الملوك ، الملك الله .
 malaköt : سيادة ، قدرة ، ألوهية^(٣) .

تنسيق وتعليق

(١) الاصل الثنائي لهذا الثلاثي ، والذي به يسوغ التوفيق بين مختلف مفاهيمه هو «مل» الظاهر في العبرية في الفعل malal : قال ، تكلم ، تحدث^(٤) .

(١) الملح ٢٣٩ - Robinson ٧٢ دي ي . (٢) Bezold من ١٧٤ .

(٣) Dillmann ١٠٠ دي . (٤) Robinson ٥٢٦ .

وفي الفعل السرياني *mallèl* : قال ، تكلم ، تحدث ، أخبر ، وصف ^(١) . وفي الفعل العربي : أمل ، وأمل ، وأملى : تلا أخبر على غيره ليكتبه ^(٢) .

(٢) من الكلام ، من باب الاخلاق ، توسع المعنى فوصل الى الكلام من باب التقييد ، وهو التكلم لابتداء الرأي ، والمشورة ، وبث الحكم ، واتخاذ التدابير . وهذا ما جرى بزيادة الكاف تديلاً على الثاني « مَلَّ » فأصبح « مَلَّك » ولذلك ورد هذا الفعل دالاً على الرأي ، والمشورة والنصح ، في اللغات السامية الثلاث ، السريانية ، والعبرية ، والاكدية .

(٣) على ان من كان ذا حفاقة ، وحسكة ، وسداد رأي ، وفصاحة وبلاغة ، كان ذا تفوق وسلطة على غيره . وعليه جاء « مَلَّك » مشيراً الى استعمال المرء على أقرانه ، بقبضة على زمام ادارة الأمور وتدير الاحوال ، والتقضاء في المحاكم ، في مختلف الجماعات البشرية ، سواء أكانت قبائل ، أم شعوباً ، أم أمماً ، أم ممالك . وهذا هو منشأ التسلط او التملك . ثم توسع فكرة التسلط حتى أصبحت سيادة مطلقة على شعب من الشعوب ، أو مملكة من الممالك . وإذا ثبت هذا التطور ، أدرك بسهولة مختلف الدلالات المطلقة على هذا الفعل في الألسن السامية .

(٤) وإذا كان الله تعالى مدير الكائنات بعبادته ، بعد أن خلقها بقدرته ، كان من البديهي ان ينسب اليه ما تشير اليه هذه اللفظة من العظمة ، والجبروت ، والسيادة ، والعز ، والسلطان ، فهو ملك الملوك ، ورب الارباب ، وعنه يصدر كل سلطات .

(٥) أما كلمة « مَلَّك أو مَلَّك » المطلقة على كل من الارواح السامية ، فهي ليست من هذا الأصل . فانها تخفيف « مَلَّك » المشتق من الفعل العربي « لَأَك أو أَلَّك » ^(٣) ، والفعل السرياني *l'ek* ^(٤) ، والفعل الحبشي *la'ika* ^(٥) .

(١) المصباح ٢-٢٤٠ . البستان ٢-٢٣٠٩ .

(٢) معجم أوفو ٢-٦ .

(٣) مثلاً ، ٣٩٩ .

(٤) المصباح ١-٢٦ .

(٥) Dillmann ٤٧ .

ومعنى جميعها : أرسل ، أوفد سفيراً . ومن ذلك « الألوكة والألأكة » : الرسالة ، التحرير . و « ألك » صادر عن الثاني « أل » : أمرع ^(١) . وبين السرعة والارسال لمة معنوية .

(٦) أما « مآك » بمعنى : تجن العجين فأنعم بعجنه وشده وأجاده ، فذلك لأن العاجن يتسلط على العجين بقوة ، واعتماده عليه يجمع كفه ، وغمره إياه بشدة .
(٧) ثم إن « ملك » يراد به « تزوج » ومنه « الملاك » : الزواج . فذلك لأن الرجل ، بالاقتران يتحول الحق على قرينته ، فيصبح قبيها وريها وملكها بنوع أدبي ، وبطريقة مشروعة ، معقولة ، خالية من روح الاستبداد والظلم .

* * *

د : قاس والقوس

العريسة :

قاس : الشيء على غيره وبغيره : قدره على مثاله ؛ وقاس القوم : سبقهم .
قوس الشيخ : انحنى ظهره . قوست السحابة : تفجرت عنها الأمطار .
قوس الشيخ : انحنى ظهره . تقوس : انعطف ، تقوس الشيب فلاناً : وخطه .
تقوس قوسه : احتملها . اقتاس بأبيه : احتذى حذوه . استقوس الشيخ : انحنى فصار كالقوس . وكذلك استقوس الهلال . القوس : آلة نصف دائرة يرمى بها . القوس : الذراع ، لأنه يقاس به . وكل ما كان منحنيًا على هيئة القوس يسمى قوساً . القوسي : الزمان الصعب . القواس : الراعي بالقوس ، وصاحبها ، وصانعها . ليل أفوس : شديد الظلمة . المقوس : وعاء القوس ^(٢)
قسا : صلب ، غلظ ؛ و - الدرهم : زان ، أي صلبت ففته ، لكونها غير خالصة . يوم قسي ، وعام قسي : شديد البرد أو الحر ^(٣) .

(١) أقرب المؤندين ١ - ١٦ .

(٢) Lane ٢٥٧: ي ي . لتاج ، - ٢٢٤ ي و ٢٢٧ . اللسان ٦٨-٨ ي ي .

(٣) الاساس ٢ ١٤٢ .

السريانية :

- (ش) Qsi : قسا ، صلب ، غلظ ، ظلم ، اشتد ، صعب .
- Qassi : قسى ، صاب ، شدد .
- Qasya : قاس ، صلب ، قوي ، ظالم ، شاق^(١) .
- Qsat : رشق ، رمى نبالاً .
- Qesta : قوس ، آلة ترمى بها النبال . منطقة البناء .
- Qestanaya : أقوس ، منحني ، قواس^(٢) .
- Qaysa : خشبة ، عود ، حطب ، دقل السفينة ، شجرة ، وثن ، صليب .
- Qas : ييس ، صوى ، تخشب ، تصاب .
- Qayyès : أيبس ، خشب ، صاب .
- Qustana : يابس ، متصاب ، متخشب^(٣) .
- (ش) Qas : قسا ، تصاب ، ييس ، شاخ ، قش .
- Qassisa : متيس ، قديم ، شيخ ، قيس ، جد^(٤) .

العبرية :

- (ش) Qasa : قسا ، صعب .
- Qèsèt : قوس^(٥) .
- Qastu : قوس^(٦) . الخيشية : Qasat : قوس^(٧) .
- Qasat : قوس . Qasta : المندائية : قوس .
- Qastat : قواس^(٨) .

(١) منّا ، ص ٧١٦ . Payne - Smit ٣٧١٧ ي .
 (٢) Brockellmann ص ٧٠٣ . Payne - Smith ٣٧٧٢ .
 (٣) أوفو ٢ - ٤٧٠ . Payne - Smith ٣٧٦٥ ي .
 (٤) منّا ، ص ٧١٠ .
 (٥) المالح ص ٣٥٧ ي .
 (٦) Bezold ، ص ٢٤٨ .
 (٧) Dillmann ٤٣٣ .
 (٨) Robinson ١٠٦ .

تنسيق وتعليل

(١) بعد الإشارة الى ان هذه المفردة تتعاقب فيها السين والشين في اللغات السامية ، تقول ان الأصل الثنائي لهذه المادة هو السرياني Qas : قش ، قسا ، تصاب . ومثله Qsi : قسا ، صلب ، غاظ . ومنه في العربية : قس : أذني بكلام قبيح (من باب المجاز) . وفي العربية Qasa : قسا ، صعب .

(٢) من فكرة الصلابة والقسوة ، جاء في السريانية Qaysa : خشب ، حطب .

عود ، دقل . وذلك لما في الخشب من الصلابة والغلظ . ومنه فعل Qas : تخشب ، تصاب ، ييس ، صوى . و Qayyès : خشب ، أيس ، شنج . وكذلك من مداليل Qas السريانية : شاخ ، وقدم ؛ و qassisa : الخبيث ، والشيخ ، والمهرم . لأن من علامات الشيخوخة تيبس الشرايين والعظام . ومن ذلك جاء أيضاً qassisa بمعنى القس والقيس العرب عن السريانية دلالة على الكاهن . لأن القوس كانوا يختارون قديماً من بين الشيوخ ، لاتصافهم بالحكمة والفطنة اللازمة لرعاية الشعب . وبما يدل على الصلابة في العريّة القومى :

أزمن الصعب . ومن فخاوي qaysa : الشجرة ، لأن مادة ميقاتها الخشب الصلب ؛ ويراد بها أيضاً الصليب لكونه من خشب ؛ وكذلك الوثن ، لأنه ينبت أحياناً من خشب . ومن صلابة الخشب ، ورد « قسا » في العربية بمعنى الشدة من البرد والحر . وليل أقوس : شديد الظلمة . ويراد به زيف الدرام ، أي صلابة فضتها ، لكونها غير خالصة .

(٣) أما « القوس » فقد أطلق عليه هذا الاسم ، من باب تسمية الشيء باسم مادته . ومعلوم ان القسي تصنع من خشب . ولذا ورد في كل اللغات السامية اسم هذه الآلة ، في العربية : قوس ؛ وفي السريانية qesta ؛ وفي العبرية qeset ؛ وفي الآكدية qastu ؛ وفي الحبشية qaset ؛ وفي الآرامية qasal ؛ وفي الهندائية kasta ، وفي التدمرية qasta .

(٤) وإذا كانت القوس ملوبة أو منحنية بشكل نصف دائرة ، أرتميل من هذه الهيئة ، في العربية ، المشتقات التالية : قوس ، وقوس ، وقوس الشبغ : انحنى ظهره . ولما كانت المقوس شائبا جاء تقوس بمعنى : وخطه الشيب . وكل ما كان منحنيًا على هيئة القوس يسمى قوسًا ؛ من ذلك قوس القنطرة ، وقوس الدائرة ، ومنطقة البناء ، وقوس قزح . وعلى مثال ذلك يسمى الأقوس : المشرف من الرمل كالاحار . ومن القوس اشتق : تقوس قوسه : احتملها ؛ والمقوس : وعاء القوس . وفي السريانية qsat ، رشق ، رمى نبالاً ، qestanaya : قواس .

(٥) ويطلق اسم القوس على الذراع ، لانه يقاس به . ومنه الفعل : قاس الشيء على غيره : قدره على مثاله .

(٦) من الصلابة تنشأ الشدة ، ومن الشدة الجدة . ومن أنواعه الجدة في السير . من ذلك تنبع المرء صاحبه لعله في الشوط . ومنه أيضاً في العربية : قاس القوم : سبقهم . ومنه كذلك : القياس : الذي يرسل الخيل ؛ والمقوس : الموضع الذي تجري منه الخيل للسباق .

(٧) القوس آلة نصف دائرة . وهي سلاح يرمى به النبال . والقواس : صاحب القوس ، وصانعها ، والرامي بها . وقد توسعت معاني هذه اللفظة توسعاً بعيد المدى عن أصلها الأول . فقد كانت تستعمل قديماً سلاحاً للرمي بالنبال . فلما صار الرمي بالأسلحة النارية ، بواسطة البارود ، أطلق على « قوس » على استخدام البارودة والبندقية للصيد والقتل . لذا يقال قوس فلان فلاناً : أطلق عليه النار فقتله . وما هو أغرب أن دلّ فعل « قوس » في بعض البلاد العربية ، على وسيلة قلع الحجار ، في المقاطع الواقعة في الجبال ، بالعام البارود . فقد سمعت يوماً في لبنان ، وأنا ماراً في أحد طرق الجبل ، فلة يتادون محذرين العابرين من الخطر بقولهم « ييقوسوا ييقوسوا » أي ان الانعام مزعومة أن تنفجر ، أما في فلسطين فيصرخون : « بارود ، بارود »

ذ : مثن والمثانة

العربية :

مثنه : أصاب مثاته ؛ وأمثن فلاناً بالأمر : غثّه به . قال الأزهري :
أخته مته بالتاء ، مأخوذ من المثن . مثن : اشتكى مثاته ، فهو مثن وأمثن .
مثن : فهو مثنون ومثين : اشتكى مثاته . المثانة : مستقر البول ، وهو داخل
الجوف . المثن : الذي يحبس بوله . المثن : وجع المثانة . الأمثن : الذي
لا يتمسك البول في مثاته ^(١) .

الريانية :

Tôn : بال ، رشح ، ذاب .

Tyana : بول .

mtanta : مثانة ^(٢) .

العربية :

Sayin : بول .

Satan
Hastèn

الأكديّة :

Samu
Is in

Sinaté : بول ^(٤) .

(١) الصّاح ٢ - ٤١٠

(٢) Payne - Smith ٤١٠ . مثانس ٨٣٣

(٣) اللّاح ٣٩٨

(٤)

Robinson , p 1010

Assyrisches Handwörterbuch , von Frisdrich

Delitzsch , p. 655

الارمية :

• Sin : بال

• Sayané : بول^(١)

الحبشية :

• Sèna : بال

• Senet : بول^(٢)

تنسيق وتعليل

(١) مما تجب ملاحظته ، بادئ بدء ، ان الثين ، والثاء ، والتاء تتعاقب في هذه المادة في الألسنة السامية . فها هو ثاء في العربية قد أصبح تاء في السريانية وشبنا في بقية اللغات الأخوات .

(٢) ان الفعل « مَثَنَ » وما يشتق منه ليس فعلاً أصلياً ، بل فعل مرتجل . لأن جميع الصيغ والمعاني متعلقة باسم الوعاء ، وهو المثانة . من ذلك جاء مثنه : أصاب مثاته ؛ ومثن : اشتكى مثاته . والمثن : وجع المثانة ، والأمثن : الذي لا يتمسك البول في مثاته .

(٣) أما أصل المادة الاولى ، فان كان غير ظاهر في العربية ، فهو جلي في بقية اللغات السامية . وهذا الأصل يدل على البول ، وتجمعه في وعائه ، وهو المثانة ، أو رشحته ، أو خروجه منها .

(٤) من ذلك في العبرية Satan و Hastèn و Sètèn . وفي السريانية Ton و tyana و mtanta . وفي الارمية Sin و Sayané . وفي الاكدية Sanu و Sinatè . وفي الحبشية Sèna و Senet . وكلها تفيد معنى بال والبول ووعائه .

A dictionary of the Targum , the Talmud and (١)
the Midrashic literature . Compiled by Marcus
Jastrow , II , p 1564 .

• ٢٦٤ Dillmann (٢)

(٥) أما الأصل الثنائي لعامة هذه المتردات فيسوغ الاقتراض انه « شَن » المراد به في العربية : صب الماء . وقد توسعت هذه الفكرة في الأجوف ، فدلّت على البول ووعاته . بيد لا يوجد لكلمة المثانة ، في العربية ، أصل فعلي تشتق منه . ولو ورد لكان « ثان ، شين » ولكن منه « المثينة » التي أصبحت بفعل الاعلال « مثانة » كما أن مقومة أختت مقامة .

(٦) أما اللغات الأخر ففيها الأصل الفعلي وهو Sin و Sēna و isten و tōn ، وجميعها بمعنى بال ، أو رشح السائل . وفي هذه الحال ، قد اتضح الغامض في العربية بواسطة ما يقابله من الأصول الجلية في أختائها السامية .

* * *

ر : سنّه والسنة

العربية :

سنّه : تغير الطعام والشراب ؛ وسنّه : أتت عليه السنون ؛ سانبّه : عامله بالسنة ؛ سنّه عنده : أقام سنة ؛ سنّه اخبز : تغير ، عفن . السنة : مقدار قطع الشمس للابراج الاثني عشر^(١) .
العبرية :

Sana : تغير ، تقاب .

Sanah : سنّه .

Sanah : ثني : كرّر ، أعاد^(٢) .

الأكديّة :

Sanu : كرّر ، ثني ، تغير .

Sattu : (أصله Santu) سنة^(٣) .

(٢) Robinson ١٠٣٩ ي

(١) الأساس ١ - ٢٤٤ .

(٣) Bezold ٢٧٩ .

السريانية :

Tna : ثني ، عطف ، لوى ، كرّر ^(١) .

Sna : تسنى ، انتقل ، زال ، تغير .

Sna , Santa , Satta : سنة ^(٢)

تنسيق وتعليل

- (١) المعنى الإصلي لهذه المادة في كل اللغات السامية هو في الثنائي « ثن »
الظاهر في فعل « ثنى » ، انراد به : العطف ، الآي ، التكرار ، الانتقال ، التغير .
- (٢) من ذلك جاء أصل كلمة « سنة » المفهوم منها مقدار قطع الشمس للابراج
الاثني عشر . وفي غرضونها يجري تقاب الفصول ، وتغير المناخ ، فيتحول من
حال الى حال . من ذلك كلمة « الجول » . فكما ان الجول مشتق من حال يحول
حولاً ، أي تقاب من حال الى حال ، كذلك السنة ناجمة عن سنة وسنى ،
أي ثنى ، وتغير ، وتحول وتسنى وتكرّر .

* * *

ز : أصل كلمة « الادب »

يؤخذ مما ورد في المعاجم ، ان الأدب يحدد بتعديلات مختلفة . « فالأدب ،
أولاً هو تعلم رياضة النفس ومحاسن الأخلاق وتجنب القبائح . ويقع على كل
رياضة محمودة بتخرج بها الانسان في فغيلة من الفضائل .
وفي هذا المعنى يكون ناجماً عن علم الأخلاق . ويقابله في الفرنسية كلمة la morale
ثانياً بفيد « الأدب » الظرف وحسن تناول . وهو استعمال ما يحمد قولاً وفعلاً ،
والأخذ أو الوقوف مع المستحسنات ، وتعظيم المرء من هو فوقه ، ورفقه بمن
هو دونه . ويرادفه الأنس واللفظ وحسن المعاشرة . وينظر اليه في الفرنسية

(١) مثلاً ، ص ٨٤٣ .

(٢) مثلاً ، ص ٨٠٢ .

كلمة *politesse* . ثالثاً يطلق لفظ « الأدب » على علوم العربية . وهو علم يمتاز به من جميع أنواع الخطأ . وتعرف به أساليب الكلام البليغ في كل حال من أحواله . ويكتسب بالدرس والحفظ والنظر في الآثار الأدبية من منظوم ومشور . ويضارعه في الفرنسية *la littérature* أو *les belles - lettres* . رابعاً يراد بكلمة « أدب » معنى صنع صنيعاً ودعا الناس إليه . ويرادفه أقام وليمة ، وصنع غداء ، ودعا الى دعوة . ويقابله في الفرنسية *inviter à un festin* ^(١) . فجميع هذه الفعاري ، مع ما يظهر فيها من التباين ، عائدة الى اصل واحد وهو العمل ، او الصنع ، أو الجهد ، في عدة احوال . يد ان لفظة « أدب » الثلاثية ، بحالتها هذه ، لا تتضمن ، حسب الاشتقاق ، معنى يدل على العمل ، والجهد ، والكسب . ولهذا تضاربت الآراء في تأصيلها ، حتى قال بعضهم بأنها دخيلة من اليونانية ، كأن العربية مفتقرة الى الاجنبية حتى في قوام العلوم اللغوية والأخلاقية ، والحياة الاجتماعية .

على اننا نرى هناك وسيلة لجعل هذا الاشتقاق منطبقاً على تحديد الكلمة ، وتفرع معانيها ، فيصبح هذا الاشتقاق معقولاً ، مناسقاً ، منطقياً ، ألا وهي وسيلة الرجوع الى الأصل الثاني .

غير انه يقتضي الفرض أولاً ان كلمة « أدب » ليست باصلية ، بل هي مقبولة عن لفظة اخرى وهي « دأب » المراد بها : جدد في عمله مستمراً . والدأب العادة والثبات ، مما يتطلب المثابرة على العمل ^(٢) . إلا ان « دأب » ذاته صادر عن الثاني « دَبَّ » ومدلوله : مشى على هيئته ، وصرى ، وجرى ^(٣) . اذن من المشي والجري توسع المعنى الى العمل بجهد ومثابرة ؛ ومن ذلك تحصل العادة ، المتوقفة على تكرار الأفعال ، مما ينجم عنه الملكات . فاذا كانت هذه الملكات حسنة ، صدرت عنها الأخلاق الحميدة . واذا كانت هذه الملكات

(١) Lane ٣٤ ي . علم الادب ، لشيخو ، ص ٥ ي . مقالات علم الادب ، لشيخو ،

ص ٣ ي . الملة الاسلامية (بالفرنسية) ١ - ١٢٤ .

(٢) Lane ٨٤١ ي .

(٣) Lane ٨٣٩ ي .

مترسحة في تصرف المرء ومعاملته لأقرانه في الحياة الاجتماعية ، كان منها الظرف والكياسة وحسن المعاشرة . وإذا جدد المرء في اقتباس العلوم اللغوية من منظوم ومشور في الكلام والكتابة ، والتوقف على آثار الكتاب والأدباء ، نشأ عنه « علم الأدب » أي مجمل المعارف والآثار العربية التي تولدت بعد الاسلام . أما المعنى الرابع للأدب فهو نثري ، أيضاً عن العمل . لأن إيلام الولايم ، والدعوة الى المآدب إنما هو صنيع صادر عن كرم الأخلاق .

* * *

س : أصل كلمة « الباص »

ان هذه الكلمة الأخيرة المقصود البحث عن أصلها ليست من المفردات القديمة ، بل هي عصرية حديثة الوضع ، ويستعملها الناس ، دون ان يعرف أكثرهم مصدرها ، وكيفية وصولها الى حالتها الحاضرة . فأحبنا بسط اشتقاقها ، تسهيلاً لعمل أرباب التأصيل في مستقبل الأزمان ، وخدمة لتأريخ المعجمية العربية . إن « الباص » كلمة مطلقة ، في فلسطين والعراق ، وربما في غيرهما من البلاد ، على السيارات الكبيرة التي يركبها نحو عشرين أو ثلاثين شخصاً ، سواء في داخل نطاق المدن ، أم خارجاً عنها . وقد استحدث لها بعض الكتاب ، في اللغة النصحى ، لفظة « حافلة » جمعها « حافلات » . أما « الباص » فجمع « باصات » . ولربما يحدث في المستقبل ان فريقاً من « صرعى الغرائب » في تأصيل الكلمات ، يظنها عربية التجار . فيشتقها من « بَصَّ » ، أي لمع ؛ لما 'بَصَّغَ به خارجها من الأصباغ الزاحية اللامعة . على مثال الغرائب التي كان يتخيلها بعضهم ، كالادعاء بان مفردة « العقل » العربية الصحيحة ، هي معرفة عن اللفظة اللاتينية oculus^(١) .

على ان هذه الكلمة المجهولة ، اعني « الباص » هي بالحقيقة مفردة أجنبية وبلت العربية العامة رأساً عن الانكليزية . وهي ليست بكلمة قائمة بذاتها ، ذات نفوى

(١) « هل العربية منطقية ؟ » (كتاب مرجعي) ١٢٦ ي ي .

أصلي واشتقائي . إنما هي فضلة من لفظة أخرى ، وفي omnibus اللاتينية ، ومعناها « للجميع » أو للعموم ، وهي في حال الجر ، ومرفوعها omnes : « الجميع » . وكانت omnibus تضاف قديماً إلى أسماء تدل على النقل ، مثل voiture : عجلة ؛ و train : قطار ؛ و bateau : مركب . فكان يقال train omnibus : قطار للجميع ؛ و bateau omnibus : مركب للجميع ؛ و voiture omnibus : عجلة للجميع ، أي للجمهور ، أو للعموم . وهذه العربات كانت تسير في شوارع المدن ، فتقف في مواقف معينة ، لا يزال الركاب ، واصعاد غيرهم . وبتواتر الاستعمال ، حذفت كلمة voiture ، وأبقيت omnibus ، دالة على المركبة ^(١) . ولما اخترعت السيارات ، أي العربات الجارية بقوة المحركات ، صيغ لها ، في الفرنسية ، كلمة automobile المركبة من الأداة auto الآتية من اليونانية autos المراد بها « الذات » ، ومن اللفظة mobile ، أعني المتحركة ، وشملت كل المركبات المتحركة بقوة البخار . ومن باب الاختصار ، يقال أحياناً auto وحدها . واذ كانت العربات المستخدمة للعموم تسمى omnibus ، كما رأينا أعلاه ، بُدلت هذه المفردة ، فحذف منها الجزء الأصلي ، واحتفظ بأداة الجر : bus : ثم أُضيفت إليها الأداة auto ، فقبيل autobus . وبكثرة التداول ، اجتزأ الجمهور بكلمة bus ، كما يلفظها الانكليز : حسب طريقة اللفظ في لغاتهم ، أي بفتحة قصيرة : فصارت : « بَس » . وعند انتشار السيارات والحافلات في الربوع العربية ، تلقى عامة القوم المفردة bus ، المطلقة ، بجائزها المتقضية ، على الحافلات ، ففجئوا فيها حرف السين ، فأصبحت « بَسْ » ، ثم اشبعوا فتحها ، فحصل من ذلك لفظة « الباص » الشائعة هذا الشيوع ^(٢) . فليحفظ هذا الاشتقاق لفائدة متقصي أصول الألفاظ في الأحقاب المقبلة .

الأب مرمرجي الدومسكي

(١) Larousse du xxe siècle , T. 5 , p. 204

(٢) راجع معجم Larousse المذكور ، في الصفحات التالية :

Tome I. p.p. , 415 , 451 , 917 .

جزء من رواية أبي عمر الزاهد غلام ثعلب

- ٢ -

(٣٩) حدثنا ثعلب عن أبي زيد عن محمد بن سلام ثنا محمد بن جعفر قال أتى الفرزدق الحسن فقال إني قد هجوت إيليس فاستمع مني قال لا حاجة لنا فيما قلت قال لتسمعن أو لأخرجن فأقولن : إن الحسن نهاني أن أهجو إيليس لعنه الله فقال له اسكت فإنك بلسانه تنطق .

(٤٠) أنشدنا ثعلب عن أبي نصر عن الأصمعي :

إن اكتحالاً بالنقي الأفلاج ونظراً في الحاجب المزجج
مثنى من الفعال الأعوج

قال الأصمعي مثنى مخلفة قال ابن الأعرابي مثنى علامة

(٤١) أخبرنا ثعلب عن أبي زيد بن شبة ثنا عبد الله بن محمد بن حكم الطائي ثنا خالد بن سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص عن أبيه قال لما هجا الأخطل الأنصار قال :

ذهبت قريش بالسباحة والعلی واللاوم تحت عمام الأنصار

وكان يزيد أمره بهجائهم قال أقبل النعمان بن بشير الأنصاري حتى جلس بين يدي معاوية فقال يا أمير المؤمنين هل ترى لؤماً لؤماً قال وما ذاك فأنشده قول الأخطل فقال له معاوية لك لسانه قال فأتى الأخطل يزيد بن معاوية فأخبره الخبر فكث يزيد حتى أتى معاوية فقال اقض لي حاجة قال قد قضيتها ان لم يكن الأخطل قال ومالي وللأخطل لعنه الله ليس الأخطل حاجتي قال قد قضيتها قال هب لي لسان النعمان بن بشير قال هو لك فلما بلغ النعمان ذلك كف عن الأخطل فقال يزيد :

دعا الأخطل الملهوف بالتردعوة فإني مجيب كنت لما دعانيا
بفرج عنه مشهد القوم مشهدي والسنة الواشين عنه لاني
(٤٢) وأنشدنا ثعلب عن ابن الأعرابي :

يارب عفوك عن ذي سيئة وجل كأنه من حذار النار مجنون
قد كان قدّم أعمالا مقاربة أيام ليس له عقل ولا دين
(٤٣) أنشدنا ثعلب أنشدنا ابن الأعرابي :

لسان الفتى سبع عليه شدائه وإلا يزع من عونه فهو آكله^(١)
وما العي إلا منطق متسرّع سواة عليه حق أمر وباطله
(٤٤) أخبرنا ثعلب عن ابن الأعرابي قال هشام بن عروة مكتوب في الحكمة :
'بني' لتكن كلتك طيبة ووجهك بسطا تكن أحب إلى الناس ممن يعطيهم العطاء
(٤٥) حدثنا ثعلب ثنا عمر بن شبة حدثني أحمد بن معاوية بن بكر السهمي
ثنا عمرو بن منخل السدوسي عن مطهر بن خالد الربيعي عن سلام الحماني أن الحجاج
جمع القراء والحفاظ والكتاب فقال أخبروني عن القرآن كله كم حرف هو : قال
و كنت فيهم فحبنا قنساء لنا فاجتمعنا على القرآن كله انه ثلاثمائة الف حرف
واربعون الف حرف وسبعائة ونيف واربعون حرفا قال فأخبروني اي حرف ينتهي
الى نصف القرآن فاذا هو في الكهف وليلطف في الفاء قال وأخبروني بأسبائه
قال السبع الأول في النساء فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه في الدال والسبع
الثاني في الأعراف « فأولئك حبطت أعمالهم وفي النار » والسبع الثالث في الرعد
« أكلها دائم » في آخر الحرف الذي في أكلها والسبع الرابع في الحج « منسكا »
والسبع الخامس في الأحزاب « وما كان لمؤمن ولا مؤمنة » في الهاء والسبع السادس
في الفتح « الظانين بالله^(٢) السوء » في الواو والسبع السابع باقي القرآن قال فأخبروني

(١) لعل صواب هذا البيت :

(لسان الفتى سبع عليه شدائه وإلا يزع من غوله فهو آكله)
وشدائه : شره وأذاه . ويزع : يكف . وغوله : اغتاله . (المجمع)
(٢) التلاوة : ظن السوء (المجمع)

بأثلاثه قال أول ثلث قال أول ثلث قال رأس مائة من يراة والثاني مائة
أو إحدى ومائة من الشعراء والثالث الثالث باقي القرآن قال عمرو بن المنخل فأخبرني
ثوبة بن عمران عن الجاشعي وكان من قراء الناس عن الحماني وصألنا عن ارباعه
قال أول ربع منه خاتمة الأنعام [و] الثاني فليتلطف^(١) والربع الثالث خاتمة
الزمر والربع الرابع ما بقي من القرآن قال عملنا في أربعة أشهر وكان الحجاج
يقرا كل ليلة ربعا .

(٤٦) أنشدنا ثعلب عن عبد الله بن شبيب :

وبالناس عاش الناس قدما ولم يزل من الناس مطلوب اليه وطالب
وما يستوي الصابي ومن ترك الصبا وإن العبي للعبش لولا العواقب

(٤٧) أنشدنا ثعلب أنشدنا ابن الأعرابي لابن عمران السلمي :

فعد الشيب بي عن اللذات ورماني بحفوة القينات
فاذا رمت ستره بخضاب فضحته طوالع الناصلات
ما رأيت الخضاب إلا سرايا غرتني لمعد بأرض فلاة
فاذا ما دعا الى الكأس داعي قلت : ما للكبير والنشوات
إن فقد الشاب أنزلني بعدي ذلك دار المحوم والحمرات
ورماني بمحدث الشيب دهر قارعتني أيامه عن حياتي

(٤٨) أنشدنا ثعلب عن ابن الأعرابي :

لا تتعبوا في الرزق أبدانكم فانما الرزق بمقدار
قد جفت الأقلام فيها بما يكون من عسر وإيسار

(٤٩) حدثنا ابراهيم بن الحيثم البلدي ثنا ابو صالح ثنا الليث ثنا مالك بن انس

عن ابن شهاب عن عبد الرحمن بن هرم عن ابي هريرة قال [قال] رسول الله
ﷺ من سأله جاره ان يقرز خشبة في جداره فلا يمنعه .

(٥٠) حدثنا احمد بن زياد بن مهران السمار ثنا يحيى بن عبدويه ثنا اسرائيل

عن أبي اسحق عن علي قال لولا أني رأيت رسول الله ﷺ بمسح على ظهر قدميه لرأيت أن مسح أسفل القدمين أفضل .

(٥١) حدثنا أحمد بن سعيد الجمال ثنا أبو نعيم الفضل بن دكين ثنا صفيان عن عمرو بن دينار قال سمعت رافع بن خديج يقول نهى رسول الله ﷺ عن المزارعة (٥٢) حدثنا موسى بن سهل الوشاء ثنا أبو النضر ثنا عبد الرحمن بن ثابت ابن ثوبان ثنا حسان بن عطية عن أبي منيب الجرشي عن ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ 'بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يعبد الله وحده لا شريك له وجعل رزقي تحت ظل رمحي وجعل الدل والصغار على من خالف أمري ومن تشبه بقوم فهو منهم' .

(٥٣) حدثنا أحمد بن عبيد الله الترمي ثنا عبيد الله بن موسى عن شيبان عن إبراهيم بن طهمان عن هشام الدستوائي عن يحيى بن أبي كثير عن ضمضم بن جسر عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ 'اتلوا الأسودين في الصلاة فقلت ما الأسودان قال الحية والعقرب' .

(٥٤) حدثنا الحارث بن محمد ثنا يزيد بن هرون أنا محمد بن اسحق عن نافع عن ابن عمر عن زيد بن ثابت قال نهى رسول الله ﷺ عن المحافلة والمزابنة وورخص في العريّة

(٥٥) حدثنا محمد بن هشام بن البختری ثنا محمد بن الربيع بن عبد الرحمن الأمدي ثنا سلمة الأحمر أبو اسحق عن أبي اسحق السبيعي عن عبد الله بن عطاء عن عتبة بن عامر الأمدي الجهني قال كنا في غزاة مع رسول الله ﷺ لم يكن لنا خدم فتناوب الرعي حتى إذا كان يوم نوبتي سرحت الأبل فأتيت رسول الله ﷺ وهو يخطب الناس فوضعت يدي على كتفي عمر بن الخطاب فسمته يقول من تروأ فأسبغ الوضوء ثم أتى ملاته يعقل ما يقول فيها أقبل أو انصرف كيوم ولدته أمه يرې من الخطايا فوالله ما صبرت أن قلت بخر بخر قال فقال

عمر بن الخطاب أولاً أخبرك بما هو أجود منها قالها قبل أن تحيي. قلتُ بلى فذاك أبي وأمي قال قال من توضأ فأصبغ الوضوء ثم قال عند فراغه من وضوئه أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله فتحت له يوم القيمة ثمانية أبواب الجنة يدخل من أيها شاء قال ثم ينادي مناد ثلاث مرات صيِّم أهل الجمع لمن الكرم اليوم ليقيم الدين تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً وما رزقناهم ينفقون قال وينادي مناد ثلاث مرات صيِّم أهل الجمع لمن الكرم اليوم ليقيم الدين لا تلبسهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار قال ثم ينادي مناد ثلاث مرات صيِّم أهل الجمع لمن الكرم اليوم ليقيم الحمادون

(٥٦) حدثنا بشر بن موسى ثنا الحسن بن موسى الأشيب عن أبي هلال محمد ابن سليم ثنا مطر الوراق عن أنس بن مالك قال قال رسول الله ﷺ يطوف على نسائه في ضحوة .

(٥٧) حدثنا إبراهيم بن اسحق موسى بن اسمعيل ثنا حماد عن ثابت عن أنس أن المهاجرين قالوا يا رسول الله ذهب الأنصار بالاجر كله قال لا مادعوتهم لهم وأنتنم عليهم .

(٥٨) حدثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة ثنا اسحق بن بشر الكاهلي ثنا مهاجر ابن كثير عن الحكم بن مسقلة عن أنس بن مالك قال قال رسول الله ﷺ ما من عين خرج منها مثل الدباب من الدموع من مخافة الله عز وجل إلا أمنها الله عز وجل يوم الفرع الأكبر

(٥٩) حدثنا أحمد بن عبيد الله الترمذي ثنا قيسة ثنا مفيان عن معمر عن يحيى ابن أبي كثير عن ضمضم بن جوس عن أبي هريرة قال أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتل الأسودين في الصلاة .

(٦٠) حدثنا أحمد بن زياد بن مهران السمار ثنا هشام بن بهرام اللدائي

ثنا ابو شهاب عن اسماعيل بن ابي خاله عن قيس بن جرير قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر الى القمر ليلة البدر فقال **إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ عِبَانًا** كما ترون القمر لا تضامون في رؤيته .

(٦١) حدثنا موسى بن سهل الوشاء ثنا اسماعيل بن علية عن يونس عن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو علمتم باخطايا حتى تبلغ السماء ثم تبتن تاب الله عليكم .

(٦٢) حدثنا الحارث بن محمد ثنا الواقدي ثنا محمد بن هلال عن أبيه أنه سمع ميمونة بنت سعد تقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من أجمع الصوم من الليل فليصم ومن أصبح ولم يجمعه فلا يصم

(٦٣) حدثنا الحارث بن محمد ثنا الواقدي ثنا عبد الله بن جعفر الزهري عن يزيد بن الهاد عن هند بنت الحارث القرامية عن أم الفضل بنت الحارث قالت دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على رجل يعود وهو شاك في الموت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تمنوا الموت فانك ان تك محسناً تزداد إحساناً الى احسانك وإن تك مسيئاً فتؤخر تستعيب فلا تمنوا الموت

(٦٤) حدثنا بشر بن موسى ثنا خالي حيان بن بشر عن أبي معاوية عن الأعمش عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان له اختان او ابنتان فأحسن اليهما ما صحبتهما كنت أنا وهو في الجنة كهاتين

(٦٥) حدثنا بشر بن موسى ثنا محمد بن عبد العزيز سمعت بشر بن الحارث ثنا يحيى بن يمان عن سفيان عن حبيب بن ابي عميرة قال إذا ختم الرجل القرآن قبل الملك بين عينيه قال يعني بشر فحدثت احمد بن حنبل فاستحسنه قال لعل هذا من عجائب سفيان

(٦٦) حدثنا محمد بن يونس ثنا سهل بن حماد ابو عتاب ثنا المختار بن نافع عن ابي حيان التميمي عن ابيه عن علي عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

رحم الله أبا بكر زوجني ابنته وحوّلني إلى دار الهجرة وأعتق بلالاً من ماله
 رحم الله عمر يركب الحقّ وإن كنت مرّاً تركه الحقّ ماله من صدّيق
 رحم الله عثمان تستحي منه الملائكة رحم الله عليّاً اللهم أدِرْ الحقّ معه حيثما دار
 (٦٧) حدثنا الخارث بن محمد ثنا داود بن الحبر ثنا ميسرة بن عبد الله عن
 أبي عبد الله الشامي عن مكحول عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
 يا أبا هريرة إذا أكلت وشربت فقل بسم الله والحمد لله فإن حفظتك تكتب لك
 الحسنات حتى تنبذ عنك إذا غشيت أهلك وما ملكك يمينك فقل باسم الله والحمد لله
 فإن حفظتك تكتب لك الحسنات حتى تقتل من الجنابة فإن اغتسلت من الجنابة
 غفرت لك ذنوبك يا أبا هريرة فإن كان لك من تلك الوقعة ولد كتب لك حسنات
 بعدد نفس ذلك الولد وعقبه إن كان له عقب حتى لا يبقى منهم أحد يا أبا هريرة
 إذا ركب الدابة فقل باسم الله والحمد لله تكن من العابدين حتى تنزل عن ظهرها
 يا أبا هريرة إذا ركب سفينة فقل باسم الله والحمد لله تكن من العابدين حتى تخرج
 منها يا أبا هريرة إذا لبست ثوباً فقل بسم الله والحمد لله تكتب لك حسنات
 بعدد كل سلك فيه يا أبا هريرة لا يهابك ما ملكته يمينك أن يكلمك فانك
 إن متّ وأنت كذلك ذكر كلاماً سقط من كتاب أبي عمر يا أبا هريرة لا تهجر
 امرأتك إلا في بيتها ولا تضربنها ولا تسبها إلا في امر دينها فانك إن كنت
 كذلك مثبت في طرق الدنيا وأنت عتيق الله عز وجل من النار يا أبا هريرة
 احمل الأذى ممن هو أكبر منك واصغر منك وخير منك فانك إذا كنت كذلك
 بأمر الله بك الملائكة ومن بأمر الله به الملائكة جاء يوم القيامة وهو آمن من
 كل سوء يا أبا هريرة إن كنت أميراً أو وزيراً أو مشاوراً أمير فلا تتجاوز سنتي
 وصيرتي فانه إما أمير أو وزير أو مشاور أمير خالف سنتي وصيرتي فانه يبعث
 يوم القيامة تأخذه النار من كل مكان ثم يصير إلى النار يا أبا هريرة عدل ساعة

خير من عبادة ستين سنة يا أبا هريرة قل للمذنبين الذين أصابوا الصغار والكبار من الذنوب فلا يموتن أحدهم وهو مصرّ فانه من لقي الله عز وجل مصرّاً على ذنب وإن كان صغيراً فإن عقوبته كعقوبة من لقي الله مصرّاً على كبيرة .

(٦٨) حدثنا احمد بن عبيد الله ثنا عبيد الله بن موسى ثنا ابن ابي ليلى عن المنهال

ابن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله عز وجل يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب قال ينزل الله تبارك وتعالى الى السماء الدنيا في شهر رمضان فيدير أمر السماء فيمحو ما يشاء غير الشقاء والسعادة والموت والحياة .

(٦٩) حدثنا بشر بن موسى ثنا خلاد بن يحيى عن مسعر عن عدي بن ثابت أنه

سمع البراء قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في المغرب بالتين والزيتون فما سمعت أحداً أحسن صوتاً منه أو قراءة

(٧٠) حدثنا بشر بن موسى ثنا خلاد ثنا مسعر عن عون بن أبي جحيفة عن أبيه

قال : صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأبطح بين يديه عنزة أو شبيه بالعنزة والطريق من ورائها والمارة .

(٧١) حدثنا احمد بن سعيد الجمال ثنا ابراهيم ثنا سفيان عن يزيد بن ابي زياد

عن زيد بن وهب عن أبي ذر قال قال اعرابي لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله أكلتنا الضبع يعني السنة قال غير ذلك أخوف عندي عليكم اذا صبت عليكم الدنيا صبا فليت أمتي لا ييغلون بالذهب .

(٧٢) حدثنا احمد بن زياد بن مهران ثنا محمد بن سابق ثنا ابراهيم بن طهمان

عن ايوب عن مكحول عن عراك بن مالك عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما أحفظ - الشك من ابراهيم - أنه قال ليس على الخيل والرقائق صدقة

(٧٣) وبه عن أيوب عن محمد بن مسلم الزهري عن عبد الرحمن بن هرم عن

عبد الله بن مالك أنه قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم العصر

فقام في الركعتين ثم جلس حتى اذا قضى صلاته ثم سجد سجدة واحدة وهو جالس .

(٧٤) حدثنا محمد بن يونس ثنا عبد الملك الاصمعي قال وقف اعرابي على قوم فقال يا أيها الناس اقربوا من الله عز وجل لا يبعد منكم فانه لا قليل من الخير ولا غناء عن الله عز وجل ولا عمل بعد الموت إني لأقول هذا القول وفي الصدر حزازة وفي الحلق غصة ولكن انقروا أمانة ولا يعلم إلا بالابانة وقد قضيت ما علي وبقي ما عليكم .

(٧٥) حدثنا محمد بن يونس عن الأصمعي قال دعا أعرابي لرجل قد أولاه خيراً فقال جزاك الله خيراً فقد أعنتني على دهري وأتعب معروفك شكري واعتقني من رق صلة اللثام .

(٧٦) حدثنا محمد بن الأصمعي قال دخل قوم على ابن عم لم فقالوا له ما تجد قال أجدني كما لا اشتعي واشتعي ما لا أجد .

(٧٧) حدثنا محمد بن عثمان ثنا عون بن سلام ثنا سوار بن مصعب عن مجالد عن الشعبي أن فاطمة لما ماتت دفنها علي ليلاً واخذ بضبعي أبي بكر فقدمه

(٧٨) حدثنا محمد بن هشام ثنا عفان ثنا حماد بن سلمة عن حماد بن أبي سليمان عن ابراهيم عن الأسود عن عائشة قالت أهدني إلى النبي صلى الله عليه وسلم صب فام بأكله قالت عائشة يا رسول الله ألا تطعمه المساكين قال لا تطعموهم ما لانا كلون (٧٩) حدثنا محمد بن هشام ثنا شيبويه بن حميد عن مكّي بن ابراهيم قال قال رجل واغوثاه بالله من النار فيتف به هاتف من القائل الكلمة التي أبكت البارحة سبعين ألف ملك .

(٨٠) حدثنا محمد بن عثمان ثنا عبد الحميد بن صالح ثنا محمد بن ابان حدثني رجل من فريش من ولد سعيد بن العاص عن الحارث المكي جاء رجل إلى علي بن أبي طالب فقال له الحسن بن علي عليه السلام إنه قد خلا بدعاء يدعو به إذا حزبه أمر فجلس على الباب الذي هو فيه وهو يقول يا كييعص يا نور يا قدوس يا أول الأولين وآخر الآخرين يا الله يا الله يا رحمان اغفر لي الذنوب التي تغير النعم

واغفر لي الذنوب التي تنزل النقم واغفر لي الذنوب التي تورث العدم واغفر لي
الذنوب التي تجس السقم واغفر لي الذنوب التي تهتك العصم واغفر لي الذنوب
التي تنزل البلاء واغفر لي الذنوب التي ترد النداء واغفر لي الذنوب التي تؤيل (كذا)
الأعداء واغفر لي الذنوب التي تقطع الرجاء واغفر لي الذنوب التي تجس غيث
السماء واغفر لي الذنوب التي تكشف الغطاء

(٨١) حدثنا الحارث ثنا كثير بن هشام ومات في سنة سبع ومائتين بقم الصلح
قال قال الحكم بن هشام لقيت سفيان الثوري فقلت يا أبا عبد الله شيء حدثنا به
الحسن بن أبي حبيبة قال اثنتا عشرة ركعة من تطوع ليس له منزل من صلاهن
في يوم وليلة بني له بيت في الجنة قال صدق قلت مرة واحدة أو الدهر كله
قال ما أدري .

(٨٢) حدثنا ثعلب ثنا عبد الله بن شبيب عن رجاله قالوا هنا محمد بن علي بن
الحسين عليه السلام رجلاً يقول فقال أسأل الله أن يجعله خلفاً معك وخلفاً من
بعدك فان الرجل خلف أباه في حياته ويخلفه بعد موته قال وكان يقال أولى
الناس بالفضل أعودهم بفضله وأعود الأشياء على تزكية العقل التعلم وأدل الأشياء
على عقل العاقل حسن التدبير قال وقال مسلمة بن عبد الملك ما حدثت نفسي
على ظفر ابتدأته بعجز ولا لمتها في مكروه ابتدأته بجزم وقال الجهل في القلب
كالبُر في الأرض والبرّ احور كلما يفسد ما حوله (كذا) قال وقال معاوية المروّة
من غلب خيره شره قال ويقال الأحران اسقام القلوب كما ان الأمراض اسقام
الأبدان وكان يقال ينبغي للمرء ان يظهر سروراً يُرجى لأن الرجاء غرور
فان اشمر قلبه بذلك اضعف عليه اذى الاكراه ان ابتلي به ويقال لا تصحب
الا من ينسى معروفه عندك ويقال ثلاث ليس معن غربة: مجاورة اهل الرب
وحسن الأدب وكف الأذى

(٨٣) حدثنا ثعلب عن ابن الاعرابي قال وقال عمر بن الخطاب انه لمعيني

ان ارى من عقله زائد على لسانه ولا يعجبني ان ارى من لسانه زائد على عقله
(٨٤) حدثنا ثعلب عن ابن الاعرابي قال حكى اصحابنا قال معاوية لعتبة يوم
الحكيم يا اخي اما ترى ابن عباس قد فتح عينيه ونشر اذنيه ولو قدر ان يتكلم
بعما لفعل وغفلة صاحبه بحيرة بفضته وهي ساعتنا الطولى فاكفيه قال قلت
بمهدي قال ففعدت الي خيمة فلما اخذ القوم في الكلام اقبلت عليه بالحدث
فقرع بدي وقال ليست ساعة حديث فآظرت غضباً وقلت يا ابن عباس ان
ثقتك بأحلامنا اسرعت بك الي اغراضنا وقد والله تقدم فيك الغدرو أكثر منا
الصبر ثم اقتدعته وارتفعت اصواتنا فجاء القوم فأخذوا بأيدينا ونحوه عني قال
فجئت فقربت من عمرو فرماني بؤخر عينيه اي ما صنعت قلت كفيتك التقواله
قال فجمعهم كما يجمعهم الفرس للشعر قال وفات ابن عباس اول الكلام
فكره ان يتكلم في آخره .

(٨٥) حدثنا ثعلب حدثني ابو زيد عمر بن شبة حدثني ابن مقيم عن ابن شهدة
قال زوجت ابني على النبي درهم فجعلت اتذكر من اكلم فأتيت ابا ايوب المورباني
فقلت اني زوجت ابني على النبي درهم والله ما هي عندي وما ذكرت لها غيرك
قال قد امرنا لك بها فجزيت خيراً وذهبت اقوم فقال لا تعجل اجلس اذا دفعت
اليهم المهر افلا تحتاج الى طعام قلت بلى قال والفين للطعام فجزيت خيراً وذهبت
اقوم فقال لا تعجل ابلس الا تريد خادماً قلت بلى قال والفين للخادم ثم قال
واذا اخذت هذا فلا تريد نفقة لغير هذا قلت بلى والله قال والفين للنفقة قال
ولا يريد الشيخ شيئاً قلت بلى قال فام ازل اجزيه وبكون يعطيني حتى تمت
بجتمين الفأ .

(٨٦) حدثنا ثعلب انا محمد بن سلام قال قال ايان بن عثمان تجهز عبد الله
ابن جعفر للحج فأتاه وكيله بحسابه فبقيت خمس مائة درهم باقية قال تذكر هل

وجهتها في شيء، قال نعم خيل وقال ويحك بخمس مائة قال أبرد فقال إن
كان لبرو فنعم .

(٨٧) حدثنا ثعلب أنشدنا ابن الأعرابي فيمن جعل الأولى بمعنى الذي :

وما العلم إلا بالتعلم فاغتنم سؤال الأولى تشرشد المتعلم

(٨٨) قال وأنشدنا ابن الأعرابي :

بني إذا ما سامك الذل قادر عليك فان الرفق واللين أجدر

فلا تحرم من بعض الأمور تعزراً فقد بيعت الذل الطويل التعزراً

(٨٩) أنشدنا ثعلب أنا ابن الأعرابي :

وصلتكم جهدي وزدت على جهدي فام أر فيكم من بدوم على العهد

فآتيتكم بعد الصديق لتقصدا وتأبون إلا أن تحيدوا عن القصد

فان أمس فيكم زاهداً بعد رغبة فبعد اختبار كان في وصلكم زهدي

إذا ختم بالغيب عهدي فما لكم تدلون إدلائب المقيم على العهد

صلوا وافعلوا فعل المدل بوصله وإلا فصدوا وافعلوا فعل ذي الصد

فكم من نذير كان لي قبل حبلكم وما أنا ذا فيكم نذير لمن بعدي

تعزوا يئأس عن هواي فإني إذا انصرفت نفسي فبهات من ردي

أرى القدر ضداً للوفاء وإني لأعلم أن الضد باباء ذو الضد

(٩٠) أخبرني السيارى عن الناشي أنشدنا أبو الحارث :

أطمعتي^(١) فقلت آخذ ما بك في وعادت على رجائي بعطف

زعمت أنها تربد عفاً قلت ردي عليّ قلبي وعني

(٩١) وأخبرنا السيارى عن الناشي قال كتب القتي إلى العتي وكان القتي

بجي والعتي بالبصرة :

لو كان قلبي له جناح لطار شوقاً إليك قلبي

وبعت مستبقاً يرجح وحشة نأبي بأنس قربي

(١) لله : اطمعتي . (الجمع)

ولم أكن موطناً بلاداً لبت بها أمرتي وصحي
فالبصرة احتلها فؤادي لديك والجسم حلّ حي
عتبة أسنك ذو المعالي من بعد صخر وبعد حرب
وربّ عمّ لكم وخال كان مجي مليل حب
كانوا ملوك انورى وكانوا ليث حرب غيوث جذب
واسوا واسوا ولم ياسوا في كل شرق وكل غرب

فأجابه العتي :

إليك عن سواك ميلي وفك يدعو الهوى وبصي
فليس وجد امرئ كوجدي بل ليس حب امرئ كحي
إن كان جسي ثوى غريباً فان روجي ثوت مجي
آخره والحمد لله وحده وصلى الله على محمد وآله وسلم .

دراسات لما قبل التاريخ في سوريا

ان دراسات ما قبل التاريخ في الشرق الأدنى قد سارت في السنين الاخيرة بخطى سريعة في سبيل التقدم؛ غير ان بعض المناطق أصابت منها نصيباً أوفر .
فقد أجريت حفريات دقيقة في عدد وافر من تلال فلسطين كتل فرعا وتل المتسلم وتل تخنك وتل مندحتة ، وكتيلات غسول في شرقي الأردن ، ومن كهوفها كهوف وادي خريطون ، جنوبي بيت لحم ومغارة جبل قفزة بالقرب من الناصرة ، ومغارة شقبة في السفيلة . وفي وادي المغارة في جبل الكرمل ، وفي مغارة الأميرة ومغارة الزطية غربي بحيرة طبرية الخ . . . والفصل في ذلك يرجع الى ما بذلته بعض الجمعيات العلمية وبعض الافراد من جهود مستمرة .
وقد مكنتنا تلك الأبحاث من معرفة سكان أرض كنعان في الطور الطبقي الرابع والمناخ الذي عاشوا فيه والحيوانات التي حامت حولهم ولقد صار بوسع بعض الاختصاصيين كالسيد رنه نيغل (R. Neuville)^(١) والآنة (D. A. E. Garrod)^(٢) والسيد ليون بيكار (L. Picard)^(٣) ان يشرعوا في وضع تنسيق للصناعات الحجرية التي تعاقبت في فلسطين منذ أقدم العهود الى العصر البرتزي أي الى الألف الثالث قبل المسيح .

ولقد صادف لبنان بعض المخطوطات عندما شرعت بعثة أميركية من جامعة بوسطن

(١) R. Neuville , le Préhistorique de Palestine , Revue Biblique , 1934 , pp. 237 - 259 .

(٢) D. A. E. Garrod et D. M. A. Bate , The Stone Age of Mount Carmel , Oxford , 1939 .

(٣) L. Picard , Structure and Evolution of Palestine Quaternary , Jérusalem , 1943.

في الحفر في مأوى مظلل بالصخر بالقرب من انطليباس إذ عثرت على هيكلين بشريين دعي الواحد منهما اگبرت (Egbert) وهو الاسم المعروف به الآن عند العلماء وهو يرتقي الى العصر الأورينيائي (Aurignac) أي الى الألف الثلاثين قبل المسيح ولهذين الهيكلين أهمية كبرى لأنهما أول ما وجد من نوعهما من العصر الأورينيائي في الشرق الأدنى^(١) وقد أتاحت لم هذه الحفريات أن يتبعوا الصناعات الظرائية وتطورها من عصر لفلوا (Levallois) الى عصر اورينياك أي من الألف السبعين الى الألف الثلاثين قبل المسيح . أما سوريا فلم تحظَ بذلك التوفيق مع ان الأدوات الظرائية وجدت فيها قبل سنة ١٨٨٠ ومنذ ذلك العهد ما برحت أسماء الأماكن التي سكنها الانسان الأول تتزايد حتى نشر بعضهم في صدر هذا القرن دراسات عمومية في ما قبل التاريخ بسوريا^(٢) والسبب في هذا التأخير هو انه لم تُجرَ حفريات منظمة في الكهوف وفي طمي الأنهار وإلى هذه الحفريات وحدها يستند العلماء في دروسهم حالة الانسان الأول وتحقيق التطورات التي مر بها والعصور التي تعاقبت عليه .

لا شك أن دراسات جاك دي مرغان (J. De Morgan) في الشرق الأوسط^(٣) لها أهمية كبرى ، ولقد فتحت حقبة جديدة فيما قبل التاريخ الشرقي ؛ غير ان معلوماته عن سوريا غير كافية ، لأنه استند على الاكتشافات الظرائية التي وجدت على سطح الأرض وهي لا تجدي نفعا ما لم يسبقها حفريات في طبقات الأرض يتاح منها للعالم ان يقارن بين الأدوات التي وجدها في الحقول والتي

(١) لم تنشر البشة الى الآن الا بعض مقالات عامة عن أعمالها . منها مقال في المشرق عنوانه : نحة في حياة الانسان الأول في العصر الظرائي القديم - حفريات كدار عقيل فوق انطلياس ، بقلم الأب ج . فرنكلين يورونغ اليسوعي من جامعة فوردم ، المشرق ، ١٩٤٧ ، ص ٢١٨ - ٢٤٨ .

(٢) راجع مقالنا في مجلة الماديات السورية ، السنة الخامسة ، ١٩٣٧ ص ٤٩ .

(٣) La Préhistoire Orientale , 3 vol . , Paris , 1926 - 1927

تحمّل تعريفاً ، وتلك التي اخرجها من الكهوف والتلال مزودة بتاريخ صلبا وصنعيا .

كثير في عهد الانتداب الذين شغفوا بجمع ادوات الانسان الأول وقد لف بعضهم مجموعات لا يستهان بها وصفوها في مقالات شتى وعرضوها في متاحف اوربا غير انهم في وصفهم كانوا معتمدين معلوماتهم عما قبل التاريخ اوربا وهي تختلف كثيراً عنها في بلاد الشرق^(١) انما لا ننكر فضل السيد الفرد روست (A. Rüst) الألماني الذي اشغل طيلة ثلاثة اعوام من سنة ١٩٣٠ إلى ١٩٣٣ في البحث عن الأماكن التي سكنها الانسان الأول في مايجاور النيك ويبرود فتوصل الى اكتشاف عدد منها ثم راح يجري حفريات في ثلاثة مآوٍ تحت الصخر قرب يبرود فكتفت له جهوده عن وجه جديد من وجوه الصناعة الظرائية دعاه باسم «البرودي» وقد نشر بعض المعلومات عن اكتشافه هذا في مجلة ما قبل التاريخ الألمانية^(٢) واننا لا تزال ننتظر الدراسة المفصلة التي سوف يصدرها عن حفرياته فلربما تميّط اللثام عن نقاط غامضة في حياة الانسان الأول في سوريا . إذ هي الحفريات العلمية الأولى التي أجريت في بلادنا والتي تدور حول ما قبل التاريخ .

ومنذ سنة ١٩٤٠ ظهرت عدة دراسات في عهد ما قبل التاريخ في سوريا نخصّ منها بالذكر مقالاً للمقدم الافرنسي غريدل (Gridel) عنوانه « ما قبل التاريخ في جبل الدروز وفي سوريا »^(٣) ومقالاً آخر للأب اليسوعي بوليو (Beaulieu) عن مدينة جبل الدروز الأولى^(٤) وهو درس سطحي أقل قيمة

(١) راجع مقالنا السابق ص ٥٠ - ٥١ .

(٢) Prachistorische Zeitschrift , t. xxiv , 1933 , pp. 205-218

(٣) Bulletin de la Société Préhistorique Française , 1944 , pp. 80 - 82 .

(٤) La Première Civilisation du Djebel Druze, Syria, 1944-1945 , t. xxiv pp. 232- 250 .

من درس آخر للـدكتور پيرفيس (Pervès) ظهر في المجلة نفسها تحت عنوان :
ما قبل التاريخ في سوريا ولبنان ^(١) وقد أصلح فيه ما قاله هو نفسه في مجلة
جمعية ما قبل التاريخ الافرنسية ^(٢) وقد جرى في موضوعه ما كتبه السيد
جان هالر (Jean Haller) سنة ١٩٤٥ ^(٣) تحت عنوان : لمحة عن ما قبل
التاريخ في سوريا ولبنان .

تلك نظرة خاطئة في دراسات ما قبل التاريخ في بلادنا : وهي دراسات متقطعة
لا تفي الموضوع حقّه . اذ يتناول القسم الأكبر منها البحث عن اماكن متباعدة
مشتتة وُجِدَت فيها آثار الانسان الأول . ثمّ ان الاكتشافات السطحية تروبو
عدداً على الحفريات والاكتشافات الطيبة .

فمن الضروري ان توحد الجهود فتقسم البلاد إلى نواح تدرس الواحدة بعد
الأخرى وعندما توضع لوائح للأماكن ، من حقول وآوا سكنها الانسان
الأول وترك فيها ادوات عمله وصناعاته ، يُختار كهف أو طمي نهر من كل
هذه النواحي وتُجرى فيه حفريات علمية تحت اشراف اناس اخصائيين . ثمّ يُجمع
المعلومات العلمية التي توصل اليها هؤلاء الاخصائيون والمأخوذة عن نقاط متفرقة
من البلاد فيؤلف منها هيكل لدراسات ما قبل التاريخ في سوريا ؛ أخيراً تطبق
الاكتشافات السطحية على نور هذه المعلومات وهكذا نكون قد وقفنا على ناحية
مهمة من تاريخ بلادنا لا بل من تاريخ البشرية لأن سوريا ملتقى الطرق ومحط
الشعوب منذ فجر العالم . ومن ثمّ فلدرس ما قبل التاريخ أهمية أكبر منها في
أي قسم من المعمور .

(١) La Préhistoire de la Syrie et du Liban Syria, 1946-1948, t. xxv, pp. 109 - 129 .

(٢) Bulletin de la Société Préhistorique Française .

(٣) Notes et Mémoires de la Délégation Générale de France au Levant , Section Géologique , t. IV, pp. 49-58 .

من منين خلت وكنا كرمنا اوقات فراغنا للتجوال في نواحي القلمون
فأسمعنا الحظ بان تقف على اكثر من خمسين مكاناً مكنه انسان العصر
الرابع وجمعنا من أدوات شغلهم مجموعة لا يستهان بها؛ ثم عثرنا على آثار تركها
هذا الانسان من نوع (Dolmen) او (Monuments mégalithiques)
وهي الأولى من نوعها التي تكشف في سوريا وقد خصصنا لهذه الاكتشافات
عدة مقالات وقد قام الأب (Beaulieu) بالعمل نفسه في جبل الدروز
فلماذا لا نتابع هذه الجهود في نواح أخرى من البلاد ؟ أخيراً وقفنا بالقرب
من درعا على محطة لانسان العصر البرنزي التقطنا فيها عدة آلاف من الأدوات
الظرائية من فؤوس ومناشير وسكاكين ومخارز ومجارف ومناجل وغير ذلك
من الأدوات المنزلية او الصناعية والزراعية التي كان يستعملها في ذلك الوقت ^(١) .
لا يخفى هذا الاكتشاف من الأهمية العلمية إذ يثبتنا عن أبعد نقطة
سكنها الشعب المدعو الغسولي (Ghassoulien) والذي ترك لنا مدينة زاهرة
في شرقي الأردن وقد تتبع العلماء آثاره في فلسطين ومصر ولا نعرف الى الآن
اصل هذا الشعب ومنشأه . ولذا فكل نقطة نجد فيها من بقاياهم تعبر معلماً
يهدينا الى الطريق الذي تبعه .

يستدل من الأدوات التي وجدناها أن هذا الشعب كان منصرفاً الى
الزراعة والصناعة، يجيد زراعة الحبوب . فكثرة المناجل والطواحين اليدوية
التي وجدناها دليل واضح على ذلك وهكذا ينسب لنا بالاستناد الى أدوات ظرائية
يستخف بها المارة ان نتأكد أن حوران كانت منذ الألف الرابع قبل المسيح
كما كانت على أيام رومة كما هي الآن أمراء سورية .

(١) P . J . Nasrallah , Une Station ghassoulienne dans
le Hauran , Revue Biblique , 1948, t. LV pp. 81 - 103 .

وفي عدد الأدوات التي عثرنا عليها أداة غريبة الشكل ، وهي الأولى في نوعها حتى في أوروبا ، وقد اقترحنا انها مشط للصوف لعلنا من بقايا الحيوانات التي وجدت في تليلات غبول ، في شرقي الأردن ، ان الشعب الفسولي كان يهتم بتربية المواشي .

هذه هي الاستنتاجات التي نحولنا أن نستدركها درس أدوات الانسان الأول ، وهي مبنية على أساس علمي راسخ وليس مجرد خيال . وعندما نكون قد عرفنا وعينا الأماكن التي سكنها الانسان القديم في سوريا يمكننا ان نخط الصفحة الأولى من تاريخ بلادنا ولا غرو انها سوف تكون صفحة مجيدة لأن الشرق كان منذ فجر الانسانية مبعث الحضارة .

الأب يوسف نصر الله

مخطوطة رسالة المآخذ

ومؤاخذتها والاستدراك عليها

أما رسالة المآخذ فهي لابن الدهان النحوي الكبير المتوفى سنة ٥٦٩ هـ وهو مترجم في ابن خلكان وفي معجم الادباء (ج ٤ ص ٢٤١) . وقد قالوا في ترجمته : ان كتبه غرقت في دجلة فأراد استصلاحها وتجنيف أوراقها فعالج تبخيرها باللادّن فعمي . واللادّن (بفتح الدال للمجعة) ضرب من العلوك . ومن شعر ابن الدهان قوله :

(لا تجعل الهزل دأباً فهو منقصة واجد تعلوه بين الورى القيم)

(ولا يفرنك من ملك تبسمه ما تصق السحب الا حين تبسم)

ورسالة او كتابه (المآخذ) جمع فيه ما تابع المتنبي به اتمام في شعره . ولم يذكر ياقوت في معجمه اسم هذا الكتاب بين مصنفات ابن الدهان . أما صاحب كشف الظنون فقد ذكره وسماه (الرسالة السعيدية في المآخذ الكندية) فقوله (السعيدية) نسبة لابن الدهان نفسه فان اسمه (سعيد بن المبارك) وقوله (الكندية) نسبة الى ابي الطيب المتنبي . فانه كِنْدِي النسب . و (المآخذ) جمع مأخذ بمعنى الأخذ أو مكان الأخذ : فابن الدهان في كتابه هذا يرشدنا الى أخذ المتنبي بعض معاني اشعاره من شعر ابي تمام أو أنه يرشدنا الى مواضع الأخذ من شعره . وبعد نحو ستين سنة من زمن ابن الدهان يقوم اكبر أدب عربي مارس صناعة الأدب وعالج نقد الشعر وتبحر فيه علماً وعملاً ووضع له أصولاً وقواعد : اعني به ضياء الدين بن الأثير صاحب كتاب (المثل السائر) والمتوفى سنة ٦٢٢ هـ وهو من المولعين بالمتنبي وشعره - يقوم هذا الأدب فتحمله الأتفة

مما نسبته إليه ابن الدهان في مآخذه التي يعبرون عنها بالسرقات أحياناً ويؤلف كتاباً فيؤاخذ ابن الدهان على ما كان منه ويناقشه في مؤاخذاته ويفند معظمها لكنه مع هذا لم يملك نفسه ولم تطاوعه اماتته واخلاصه للأدب وخدمة الأدب في السكوت عما عثر عليه هو من تلك المآخذ التي غفل عنها ابن الدهان في شعر المتنبي فيكون في كتابه هذا قد جمع بين شيئين : مؤاخذة ابن الدهان على مؤاخذاته - واستدراكه عليها بذكر ما فاته منها وسمى كتابه (الاستدراك في الأخذ على المآخذ) .

وفي مكتبتي الخاصة نسخة من كتاب الاستدراك هذا لكنها قد خربت من أولها بنحو بضع ورقات ومن وسطها كذلك . وقد قدرت الخرم في آخرها بنحو خمسين صفحة . والموجود لدي منها مئة ورقة ونيف متوسطة القطع حسنة الخط وعليها تعاليق قليلة بعضها بخط محمد النصري الطرابلسي مؤلف كتاب الأولو الرطب على قصيدة كعب . وقد صحح كثير من الفاظ الرسالة . على أنها لا تخلو من أغلاط وتحريف . وعرفنا أن مؤلف الكتاب هو ضياء الدين من أطواء هذه الأوراق : ففي الصفحة (١٦) مانصه (والكلام في مثل هذا الموضع طويل عريض . ولو أخذت في استقصائه لاتسع المجال لكنه يؤخذ من كتابي الموسوم بالمشائير فانه موضوع لبيان أسرار الألفاظ والمعاني وتفصيل أقسامها) . وفي مكتبة أحمد تيمور باشا نسخة من هذا الكتاب موسومة باسم (الاستدراك في الأخذ على المآخذ الكندية من المعاني الطائية) وقد اسهب ضياء الدين في مقدمة كتابه (الاستدراك) في مباحث نقد الشعر وأكثر من الشواهد الشعرية وقارن بينها . وتخلل كلامه كثير من تبجحاته التي اشتهر بها . ولو حمأ الله منها لكان أقرب الى النفوس . ولكانت مصنفاته أعلى بالقلوب . وقد استطل في كتابه على ابن الدهان قلب يرع حقه . ولم يوقر حرمة . ولا سلامة قلبه التي ظهر أثرها في التدخين على كتبه باللادن حتى فقد عينيه : فكان يسخر منه أحياناً

وبعبارة أخرى لا بصارة له في صناعة الأدب . ولا عناية بفن نقد الشعر .
ومن أمثلة صلف ضياء الدين وتبجح ما نقله عن نسختنا (الاستدراك)
في الصفحة ١٧ فقد قال مانعه :

(وعرض عليّ بعض الاخوان من عنده فضيلة -- كتاب الحماسة وقد قرأه
على شيخ من مشيخة علماء العربية بالعراق وكتب له خطه بالقراءة والبحث عن
مشكلات الكتاب . والتوقيف على معانيه . فأخذته الى يدي وتصفحته ، فأول
ما خرج منه القطعة الرائية للمنخل التي اولها :

(ان كنت عاذلي فسيري نحو العراق ولا تحوري)

وأول ما وقع نظري على بيت منها وهو :

(ولقد دخلت على الفتاة اخذت في اليوم المطير)

منع خاطري في تلك الحال ان المتخل أراد كذا وكذا . فقلت لذلك الرجل :
ما شرح لك شيخك من معنى هذا البيت ؟ فقال : هذا معنى ظاهر لا يسأل
عنه . فقلت : وما هو هذا الظاهر ؟ فقال : يريد أنه دخل على هذه المرأة
في يوم مجيئ . فيه المطر . قلت إن كان أراد هذا فقد خاب وخسر . وان كان
ابو تمام فهم ذلك منه واختاره فهو أخيب وأخسر . وأي معنى ما هنا حتى يختار .
إن كان المراد به ذلك . فوجم الرجل لقولي وأطرق . ثم رفع رأسه وقال :
ما الذي عندك ؟ فقلت ان المتخل قد وصف نفسه بالشجاعة والاقدام وقوة
الجنان : يريد أنه دخل على هذه المرأة وزوجها شاهد أي حاضر في البيت .
ولم تمنعه المراقبة ولا الخوف من دخوله عليها . ألا ترى ان من العادة في
الأكثر والأغلب أنه اذا جاء المطر يمتنع المسافر عن السفر والزائر عن الزيارة
وصاحب الشغل عن السعي في شغله ، وقد يسافر عند مجيء المطر ويזור ويسعى
في الشغل لكن يقع ذلك نادراً والحكم انما يكون على الأكثر والأغلب .

فالمخل يريد بقوله في اليوم المطير أنه دخل على هذه المرأة وزوجها حاضر في البيت . ولم يرد أنه دخل بمراى منه ، بل دخله وهو حاضر فيه ولم يصدّه عن ذلك خوف ولا مراقبة ، وما يشهد بذلك أن النعمان دخل بيته عند نزوله من ركوبه فرأى امرأته وقد ربطت رجلها ورجل المخل في قيد ومما جالسان : قصدت بذلك ان تقرّبه منها قريباً ملحقاً بحيث لا ينفك عنها . فأخذه وسلمه الى صاحب جبهه . وهو رجل اسمه عِكَب^(١) وأمره بقتله ، والحكاية في ذلك مشهورة . انتهى

المعربي



(١) عِكَب بكسر ففتح فتشديد صاحب سجن النعمان بن المنذر قال المخل البشكري في عِكَب هذا :

(يَطْوَفُ لِي عِكَبٌ فِي مَدِينَةٍ وَطَلْنُ بِالْعُمْلَةِ فِي قَفِيَّةٍ)
والعُمْلَةُ العا أو الحربة . والفني جمع قفا .

القول الناجع في الغلط الشائع

لقد كان من الحرص على سلامة اللغة العربية وصحتها ومن حب الاتسام بسمه العلم بها أن كثر تعد اللغويين والكتاب النحويين لما عُرف بالغلط الشائع ، في عصرنا هذا الذي كثر فيه النقل من اللغات الغربية الى اللغة العربية . ومن المجلات العربية التي وازرت على ذلك النقد وآزرت النقاد وتنقلت الآراء هذه المجلة المباركة ، التي تعاون على الكتابة فيها والتعهد لرياضها والتهديب لها جماعة من أفاضل كتاب العرب في هذا العصر .

وأنا إذ سميتُ القول المختلف في سلامته والكلمة المختلف في صحتها « بالغلط الشائع » جربتُ على التسمية المتعارفة وإن لم يكن ذلك القول الشائع في الأحيان غلطاً ولا شططاً ، فان للاشتهار حكماً نافذاً أو غالباً ، وما القول الشائع المزنون بالغلط إلا كالمتهم المرفوع الى الحاكم فهو صائر إما الى البرئة واما الى التجريم .

ولقد ذكرتُ غير مرة في غير موضع أن أكثر من احدثوا الغلط الشائع في لغتنا العصرية كانوا من النقلة أعني الترجمة ، ومن الذين ساعدوهم على وجدان مفاريد^(١) العربية المقابلة لمفاريد^(٢) اللغات الغربية - على ما وهموا اليه أو تحققوا^(٣) بمعرفته - ومن الحق علينا أن نعرف بصعوبة إتقان لغتين إتقاناً مستوياً بحيث يستطيع

(١) المفاريد جمع تكسير للفرد كالمرسل فانه يجمع على مراسيل والسند على المسانيد والمصب على المصائب والتكر على التاكير، وقد شارك اسم المفعول اسم الفاعل في هذا الجمع نحو « يجمع مجاريح وموسر مياسير ومفطر مفاطير ومطلق مطافيل » وذلك لاشتراكها في ضم الميم وعلى هذا يجب أن يقال قياساً « معجم معاجيم » لامعجم لأن المعاجم جمع المعجم بفتح الميم كقولهم « فلان صلب المعاجم » .

(٢) يقال « تحقق فلان بكذا » أي انسم به واختص ، وهو من التماير الفصيحة التي فانت معاجم اللغة العربية الفصيحة .

متقنهما أن يؤدي احدهما بالآخرى حتى الأداء ، وينقلها اليها كمل النقل ، على أن هذا الاعتراف لا يبرئ النقلة الذين تبجروا في اللغة العربية وتخلقوا في العربية فجاء قلمهم مسخاً من المصوغ أو ضرباً من التدليس والتزوير ، وذلك أنهم لفظة إيمانهم بكرامة العربية وكرامة أهلها لم يعنوا بدراستها وتفهمها ولا عاجوا على مفانيها ومعانيها ، فهم من اشرار التجار ، وحيلة العار ، ولقد علم الماضون منهم والفايرون أن الذي يغلط من الغريين في استعمال حرف جر من لغته أو تصرف فعل من أفعالها ، يستثير على نفسه التكبر والتثريب فلا يزال القوم به حتى يرغموه على الاقرار بغلط نفسه والتزوع عنه .

وحسب الباحث والناقد ، في هذا الموضوع ، أن يستفرغ الطاقة ويذل الجهود ، ويخلص النية ويستبرئ الطوية ، معتمداً على أصل من العلم باللغة أصيل ومستنداً الى فهم نبيل ، لا يسلكه النفج فجاً مبهمة عليه ولا يورطه التجني في ورطة الدعاوي العريضة والمؤاخذات المريضة ، فانه إن فعل ذلك لم يبال تغيظ المخطئين ولا تغضب الغالطين ، ولا شتيمة السفهاء ولا صفاهة الرقعاء ، فان الدفاع عن اللغة دفاع عن أمتها وصون لحرمتها ، وتقوية لشوكتها ، وتركبة لأرومتها ، ولا يزال العرب في خير ما حافظوا على لغتهم واعتصموا بعروبيتهم واعتزوا بمحرماتهم^(١) .

وقبل أن اعالج القول الناجع في الغلط الشائع أرى أن أشير الى بعض ما وقع فيه النقاد من الوهم وضعف الحكم في تقدم ، وذلك انهم قد دوا التعابير بأعيانها ، والأفعال بمواضعها ولم يراجعوا في ذلك القواعد العامة ولا الأمور الشاملة ، ولا استنبطوا أسرار العربية من قياس واشتقاق واتباس وانما اعتمدوا على المنقول بنصوه فتحجروا الواسع وتغافلوا عن الواقع ، وتفتت بهم طريق الانتقاد الى غير السداد ، فظنهم الناس - ولا يرى نفسي - متجنين متشددين ، جامدين

(١) الحجرة كل قوم تضافوا صاروا يداً واحدة ، يقال « بنو فلان جرة » اذا كانوا أهل منة وشدة ، فالحجرة هنا متارة من الحما المجتمع ومنها جرات العرب .

حافدين ، وطاح الحق بين الفريقين : فريق القناد وفريق المنقود عليهم ، وكثيرهم يظنون أنهم يحامون عنه ^(١) وهم في الحقيقة يحامون عليه ، وأنا لا أدعي في مقالتي هذه كل الصواب والساد ولا أطمع في غير التنبيه على القواعد العامة التي فانت القوم ففانتهم شيء كثير ، من صواب الرأي وصحة الحكم ونجوع القول ، وهذا اوان الشروع في الموضوع .

القول في الحروف « على وأفعالها »

الحروف في كل لغة كالمفاصل في الأجساد والأجسام ولا سيما حروف الجر فانها مفاصل العرية بها تتحرك وتتصرف ولا حياة إلا بالحركة والتصرف ، وكما يطبق المفصل موضعه يجب ان يطبق الحرف موقعه ، فالتطابق شرط في سلامة الأعضاء وصحة الحركات ، ولقد غبرت عدة سنين ألتبس الدليل على صحة قولهم « حروف الجر ينوب بعضها عن بعض » فلم أظفر به ولا لمحت خياله ، فانه لعمر الله قول مطلق يقتضي العموم وينفد الشمول ، فاذا أنت عرضته على الواقع من مسوع اللغة ومقبيها ضاق وتضائل حتى الاضمحلال ، لأنك تعلم علم اليقين أن « ذهب عنه » غير ذهب اليه و « رغب فيه » غير رغب عنه واليه و « مال اليه » غير مال عليه وعنه و « حكم عليه » غير حكم له و « تصرف فيه » غير تصرف به و « طلب اليه » غير طلب منه ، وأظهر ما يقال في هذا الأمر أن أحرف الجر الخاصة بالظرفية المكانية قد ناب بعضها عن بعض في شيء من كلام العرب وشعرهم ، كنيابة الياء عن « في » أو نيابة هذه عن تلك إذا استعملتا في التعابير المكانية ، ومع ذلك لا تصح النيابة اذا خيف الالتباس كقولك « تصرف فيه » فان ذلك يعني مكاناً بذهب وُجِء فيه حقيقة كالطريق أو مجازاً

(١) يحامون عنه اذا كان في حوزتهم وحيزم فهم ينفعون عنه ويذبون و « يحامون عليه » اذا كان بينهم وبين خصومهم فكانهم واقفون عليه مدافعين . وهذا من أسرار العربية التي استبطنها ولم يبقني اليها أحد ، فان « عن » تفيد المجاوزة فيكون الحق وراء الحامي و « على » تفيد الاستعلاء فيكون الحق بين يديه .

كـالـأـمـلـاك^(١) وغيـرها ، وقولـك « تصرّف به » بعـني شيئاً يحمله المتصرف معه كالنقود والجواهر ، والمقصود الحمل ، ومنه قولـم « تصرّفت به الأحوال » أي تقلبت عليه والمراد « حملته معها » ولطالما احتج أصحاب هذا الرأي - رأي النجاة - بقوله تعالى : « ولا صلبنكم في جذوع النخل » قالوا : أراد على جذوع النخل ، وهو من تعابير الظرفية المكانية التي أشرنا إليها ، على أن « الصلب » ونكثيره ومبالغته « التعليب » يفيد التسمير والتثيت ، كما هو معروف في الديانة النصرانية واصل التعذيب القديم ، وعلى ذلك يقال « سمره فيه وثبته فيه تسميراً وتثيتاً » لا « سمره عليه ولا ثبته عليه » ثم تغير الصلب وصار تعليقاً للمصلوب^(٢) على أن الذي يدعى ان المراد بقوله تعالى هو « على جذوع النخل » يجب عليه أن يأتي بعبارة سابقة تاريخياً لتزول الآية الكريمة يستعمل فيها فعل الصلب مع « على » ، وإلا فإن ذلك من الدعاوي حسب - ولا يصح الاستشهاد بمثـل قول الشاعر :

صلبنا لكم زبدآ على جذع نخلة ولم نر مهدياً على الجذع يصلب

لأنه من اشعار العهد الأموي أي العهد الذي صار فيه الصلب تعليقاً ، والمعروف أن يقال « علقته عليه وبه » بله أن الشعر لا يستطيع مناهضة النثر في مثل هذا المقام فإن الشاعر لو قال « في جذع نخلة » و « في الجذع يصلب » لكسر البيت . أما قولـم « كان ذلك على عهد فلان » وتأويلهم إياه بأنه « في عهده » وأن « على » قامت مقام « في » فجذع غريب ، لأن الظرف المسمى بظرف الزمان لا يستحق هذه التسمية فالزمان لا يكون في الحقيقة ظرفاً وإنما هو وقت مصاحب

(١) ويقال « تصرّف على أحكامه » أي طبقها واتباعها و « تصرف على الأرض : سار عليها » ومن جاز تصرف في قولهم « نظم الشعر وتصرف في النثر » و « تصرف الماء في مائتهم » و « تصرف في فنون العلم » وقد جمع المتنبي الوجيين في قوله :

أكلما رمت جيشاً فأتى هرباً تصرف بك في آثاره المهم

(٢) راجع تفصيل الصلب في حادثة وقعت سنة ٦٤٦ هـ بدمشق ، سمرت فيها بدا المصلوب وعندها ورجلاه « قيل الروضتين لأي شامة من ١٨٠ وجاء في م ٢٠ منه « وهو مصلوب في وسط الجذع » .

للفعل ولذلك يجوز ان يجتمع هو وظرف المكان في جملة واحدة كما في قولنا « أقام في المدينة شهراً » والمراد « أقام في المدينة شهراً » يؤيد ذلك قولهم « جاءنا مع الليل وجاءنا بالليل » فالملية والمصاحبة غالبية على ما يسمى ظرف الزمان والباء هي الأصل في جره لأنها للمصاحبة كقوله تعالى : « وسارت بالنهار » ولقلة تعلق الفعل به او ضعفه سهل نصبه من حيث كون النصب أخف الأعراب ، فيؤيد على الضد من ظرف المكان فان نصبه مقيد في الغالب ، إلا اذا ذهب به مذهب الانساع كقوله تعالى : « ولأفعدنَّ لهم صراطك المستقيم » « اذ اثبتت من أهلها مكانا شرقيا » « أو اطرحوه أرضا يخل لكم وجه أيسكم » .

ومن المقرر في كتب ضرائر الشعر ان وضع حرف مكان حرف هو ضرورة تسوغ للشاعر دون الناثر وليس للتضمنين حكم مقبول ، لأن الفائدة البلاغية لا يصح البتة أن تكون في مخالفة الفصاحة بوضع اللفظ في غير موضعه ، فالدعوى باطلة من أصلها ، ألا ترى الى قوله تعالى : « فادخلي في عبادي وادخلي جنتي » فان العباد خللوا من الظرفية استعمل الفعل معها على أصله ، و « الجنة » لصلاحها للظرفية استعمل الفعل معها على الانساع ، فهل لقائل ان يقول : « ادخل القوم » مضتاً هذا الفعل الثلاثي معنى « أدرك » او « خالط » او غيرهما ؟ لا يجوز ذلك أبداً والبلاغة منه براء .

والكلام على الحروف يستدرجني الى الكلام على الأفعال وقد استرجعت ان اتكلم عليها على حسب حروف المعجم فأذكر المشترك منها في حرف الجر مثل « اثر عليه » و « اكد عليه » و « ينبغي عليه » و « اجاب عليه » و « احال عليه » و « حافظ عليه » و « حكم عليه » و « خفي عليه » و « ردَّ عليه » و « زحف عليه » و « استند عليه » و « تساهل عليه » و « اضطره عليه » و « اضنى عليه » و « انطلى عليه » و « عوَّده عليه » و « اعتاد عليه » و « تعود عليه » و « علا عليه » و « اغدق عليه » و « اغراء عليه » و « نقش عليه » و « تكلم عليه » و « تقد عليه » و « رد عليه » « ووزَّع عليهم » .

فأما « اثر عليه » تأثيراً فقد تنبه لغلطه النقاد وذكروا ان الصواب فيه « اثر فيه » تأثيراً ، ولم يجاوزوا في تصحيحهم الاستشهاد بما ورد في كتب اللغة ، ولا حاولوا تحليل ذلك ، ولا ذكروا تاريخ هذا الغلط لأنهم أنه من الغلط العصري ، والتحقيق انه كان مستعملاً قبل أكثر من ألف سنة « مروج الذهب ج ٢ ص ٩١ من الطبعة الجديدة » . وقد وردت الباء فيه بدلاً من « في » « الأغاني ج ٥ ص ١١٩ من طبعة دار الكتب المصرية » و « شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٢ ص ٣٦١ و ج ٣ ص ٢٠٦ » و « الكامل ج ٣ ص ٢٩٦ » وقد ورد في قصة الأعرس بن مهارش الكاكي من معاصري سيف الدولة الحمداني ، وقد نقلها كمال الدين عمر بن العديم الحلبي في تاريخ حلب من نسخة كانت في وقف الكتب التي وقفها أمير المؤمنين الناصر لدين الله في تربة زوجه سلجوقي خاتون بغداد ، شطر هذا نصه : « يؤثر من حدر على صفحة اخذ ^(١) » . واذ كان المقصود بالتأثير احداث أثر وكان الأثر واغلاً في الشيء داخلاً فيه لزم ان يقال « أثر فيه » لا اثر عليه ، لأن « على » لا تبلغ بالمؤثر ان يكون ممازجاً للمؤثر فيه ، لافادتها الاعتلاء والغلبة والتسلط والسيطرة ، دون الممازجة والملازمة ، فقولهم إذن « اثر عليه » مناه « ترك اثرأ فوق جسمه او فوقه مطلقاً » ولا يسمى ذلك تأثيراً ولا المتروك الصعب التصور « اثرأ » في العبارة احالة واستحالة ، وتأويل ذلك ان الأثر يجب ان يكون داخل المؤثر فيه ، فاذا قلت « اثر فيه » وفسرت ذلك قلت « جعل فيه أثرأ وأحدث فيه اثرأ وعمل فيه اثرأ » ولم تقل « عليه » واذ تطرقت الى « على » للاستعلاء لم اجد بداً من الاشارة الى أن صدرأ من الأفعال التي يناسبها الاستعلاء يستغنى فيها عن هذا الحرف فيقال « حضنته » بدلاً من « حضنت عليه » وعلاء بمعنى « علا عليه » و « عضه » بدلاً من عض عليه و « غطاه » اي غطى عليه و « قبضه » اي قبض عليه ، وكل ما كان في هذا المعنى فهذا سبيله ، وليس

(١) أصول التاريخ والأدب « مج ١٧ ص ١١٥ » وقد ذكرنا أن هذا المجموع من مجموعات الخطية في « ٣٥ » مجلداً .

لأمر على ما يظن بعض النقاد من أن الأصل «علاه يعلوه»^(١) لأن هذه الأفعال لازمة في الأصل مستقرة في فاعلها ، فالتعدية طارئة وهي من باب الاتساع ، فتأمل ذلك .

فمن القواعد العامة إذن استعمال «على» مع كل فعل يدل على الاستحواذ والسيطرة والاحتواء والشمول ، وإن كان الاحتواء ناشئاً من الثقة ، كقولك «عطف عليه وحتى عليه وحذب عليه» وعلى هذا يجب أن يقال «استحوذ عليه وسيطر عليه واستولى عليه واحتوى عليه واشتمل عليه» سواء أورد السماع به أم لم يرد ، إلا ترى أنهم قالوا «ظنر عابه وظبه عليه واستوى عليه» من حيث نظرم إلى جهة وقوع الفعل ، وهذه القاعدة الشاملة هي التي حملت جماعة من المعاصرين أن يقولوا «حاز عليه» بمعنى حازه ، وقديماً قال ابن الساعاتي الشاعر المقتدر :

ما أنسى لا أنسى الوداع واعيئ الـ آجال حائزة على الآجالـ

ويلى أثر عليه في ترتيب حروف المعجم «أكد عليه» يقولون «أكد فلان على الأمر» وأراه من الترجمة لقول الفرنسيين Insister sur qc على أن الناقل الأول لهذه العبارة الأعجمية لم يعدم الصواب في اختياره «أكد» فانه من اقرب الأفعال إلى أداء هذا المعنى ، والتعابير البشرية كثيرة التشابه مع اختلاف اللغات ، لأن المعاش الإنسانية كثيرة التشابه ، واللغات من آلات المعيشة ، إلا أن الفصحاء قالوا «أكد على فلان» بادخال هذا الحرف على الإنسان لا على الشيء والأمر ، وهم في الغالب يحذفون مفعول التأكيد ويقولون «أكد عليه في كذا» والأصل «أكد عليه الأمر والوصية» فالمفعول به معلوم حتى العلم وليس من البلاغة أن يذكر المعلوم بالبداهة ، وعلى هذا ورد صدر من الأفعال ، أعني أنها وردت محذوفاً مفعولها وروداً كثيراً بحيث يظن غير المتبحر في العربية أنها لازمة مثل «حامي عنه أو عليه ودافع عنه» وحافظ عليه وذبح

(١) قال تمال : «إذن لدمب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض» تحديثه بيلي هي الأصل عندي .

عنه واستقصى عليه وقتش عنه « وكثير مما لا يحضرني ، فالأصل « حامى غيره »
 عن الشيء أو عليه ، ودافعه عنه وحافظه عليه وذبه عنه واستقصى الحساب والأمر
 عليه وقتش المكان أو البلد عنه « وكيف يكون مثل « حامى ودافع وحافظ »
 من الأفعال اللازمة ونحن نعلم أن « فاعل مفاعلة » متعدي بالسمع والقباس ؟
 ولم يند عن ذلك إلا قولهم « بالى به مبالاة » مع ورود « بالاء بباله » في الفصح
 من اللغة ، وعلى هذا الوجه يحمل قولهم « دخل الحجاز وجاور في مكة » يعنون
 « جاور الله تعالى » ومن هذا الجوار قيل للزمخشري العلامة الامام « جارا لله » .
 وانك تجد « أكد عليه في كذا » في تاريخ الطبري « سنة ٢٥٥ ص ١٦٣ »
 من طبعة مصر الأولى ومعجم الأدباء لياقوت « ج ٧ ص ٢٥٦ » من طبعة مرغليوث ،
 ومنهم من يعنيه ذكر مفعول « أكد » كما جاء في شرح نهج البلاغة ج ١ ص ١٢١
 « ثم نهاء عن الظالم وأكد الوصاية عليه » وكذلك ورد في تاريخ الطبري
 « سنة ٢٢٧ ص ٧٢ » من الطبعة التي أشرنا إليها ، وقد جاء في التاريخ الفخري
 ص ٢٣٣ « وأكد عليه النهوض » والصواب « وأكد عليه في النهوض » ولم تحف
 صحة التعبير على مختصر رحلة ابن بطوطة ومحررها فقد جاء فيها ج ١ ص ١٢١
 من طبعة مصر الصفراء « وأكد عليهم في ذلك أشد التأكيد » .
 فالصواب ان يقال « أكد عليه في الدفاع وأكد عليه في الحضور » وبإظهار
 المفعول به « أكد عليه الوصية في الدفاع أو الحضور » ولا أخذي بمعالجة المتشابهات
 أرجى الكلام على « تأكد منه » حتى يأتي مكانه .
 وقبل ان أخلص الى الفعل الذي يلي « أكد عليه » اود ان اعالج السبب في
 استعمال « على » معه دون غيرها من حروف الجر إذ كان هذا البحث مقصوراً
 على حروف الجر اثر ذي اثر ، فالسبب في ذلك ما قدمت ذكره من كون « على »
 للاستعلاء فهي تفيد السيطرة والقدرة ، وما زال العلم دليلاً على القهر والغلبة
 والنفوذ دليلاً على الدالة والفضة ، فذلك وجب استعمال « على » إرادة أن

المؤكد أمر ومسيطر على المؤكد عليه ، تقول « حكم عليه وأعان عليه وساعد عليه وهجم عليه ودخل عليه وتماجن عليه وتنادر عليه وتساهل عليه وفاق عليه وعلا عليه وتجاهل عليه ، ووثب عليه ووجب عليه ونفق عليه وزاد عليه واشتد عليه واستقصى عليه واستحب عليه ، وما جرى هذا المجرى ، وخلاصة القول أن « على » أكثر ما تستعمل مع الأفعال المخايذة - انت صح التعبير - للاضرار بالمجرور او اظهار ضعفه .

ويلى « اكد عليه » قولهم « ينبغي عليه ^(١) » ، نظروا فيه الى « يجب عليه ويحق عليه » لما اسلفت ذكره من مدلول « على » ولكن طبيعة الفعل « ينبغي » لا تنهياً لمثل هذا الاستعمال ، لأن الانبغاء « انفعال » فهو من معالجة الفاعل فعلاً في نفسه والباعث عليه هو رغبته فيه او ميله اليه لا بتأثير مؤثر خارج عنه سموه « المطاوعة » اعتباطاً ، فليس للمطاوعة اثر في لغة العرب على التحقيق وانما هي من مخترعات الصرفيين تقول « انطلق » ولم يأمره احد بالانطلاق و « انصرف » ولم يأمره احد بالانصراف و « تقدم » ولم يوجب احد عليه التقدم و « تعلم » ولم يلزمه احد التعلم ، فقولهم « انبغى ينبغي » كقولهم « حق يحق ووجب يجب » إلا ان رغبة الفاعل فيه راحة دائمة ، فكيف نستعمل معه « على » وفيها قهر للمجرور ومضادة لمراوده ؟ فالانبغاء دليل على رغبة المنبغى وسهولته ؛ ولا يستعمل مع الأذى والسيطرة والاذلال ، وعلى هذا يجب ان يستعمل الحرف المضاد للى وهو « اللام » حرف النفع والمائدة فيقال « ينبغي لك كذا وكذا » كما يقال « يجب لك ويحق لك ويتحصل لك وينتهى لك » وغير ذلك .

(١) يرى قراء الكتب العربية في الأجانب حروفاً مستعارة مع أفعال لا تمت إليها صلة استعارة أصلية كلمة « الى » بنصب ، فيظنونها من حروف تلك الأفعال كقول نصير الله ابن الأنبر « لأنه ينبغي - على قياه - أن يكون جناح الدل ... زبانة في آماء الطيور » (المثل السائر من ١٤٦) فربما ظنه الشاذي « ينبغي على القياس أن يكون جناح الدل .. » وهو كلام لا ينطق فيه ، فان المراد « ينبغي - اعتياداً أو جرياً على قياه - أن يكون ... » فالحرف « على » متعلق بمحذوف لا يتم المعنى إلا به .

أما «بني عليه ينبغي بنياً» فإن «على» كما ذكرنا من أفادتها القهر والاضدي ،
والمفعول به محذوف والتقدير «بني عليه شيئاً من الأشياء أو اسماً من الأمور»
أي إرادته على رغبة ولا فإن البني معروف بأنه الإرادة والطلب والرغبة في الشيء
فكيف يعتمد عن أصله وينفذ الجور والظلم من غير تأويل ولا توجيه ؟ والصحيح
ما ذكرته ألا ترى أنك تقول «اخترتُ عليه فلاناً» أي اخترته على غير هووى
منه ، و«استحببت الشيء على غيره» و«فضلت عليه» وما إلى ذلك من الأفعال
المشار فيها إلى كراهة المجرور بعلی للفعل ومخالفة الفاعل لهواه .

ويأتي بعد ينبغي عليه «أحاله عليه يحيله عليه» فإن من الكتاب من يقول
«أحاله إلى كذا» و«يحيله الدولة إلى المعاش» وليس ذلك بصحيح لأن في
الاحالة قهراً وتسلطاً فكما تقول «سلطه عليه» تقول «أحال عليه» لما ذكرت
من اختصاص «على» بهذا المقام ، ومعنى «أحاله على كذا» : جعله يحول عليه
أي ينتقل ، وأصله من «حال على ظير دابة»^(١) وأحاله عليه غيره «شرح
نهج البلاغة المذكور ج ١ ص ٢٦ وجمهرة أشعار العرب ص ١٨٠ من الطبعة
الأولى» ، وقد كثر استعمال «أحال به عليه» في الكامل ج ١ ص ١٧ ولكن
أحال به كل واحد منا على الآخر ، ومنه قولهم «أحال عليه بالسوط يضربه» .
وهذه الباء للأفعال الدالة على الدفع والتحريك خاصة ، تقول «لفظ به ودفع به
ورمى به وألقى به وأحال به وأمر به ونطق به وتكلم به وانعم به وجاد به»
وما أشبه ذلك ومنها ما يصح فيه الوجهان مثل «لفظه ودفعه ورماه وأحاله
وألقاه» ، وليست الباء للمصاحبة كما يتبادر إلى الذهن أول وهلة ، فلا صلة بين
الباء في رمى به والباء في «ذهب به» .

وبلي أحال عليه قولهم «حافظ عليه» وقد اشرنا إليه في الكلام على «أكد
عليه» وذكرنا أن المفعول به محذوف والأصل «حافظ فلاناً على الشيء» أي
(٢) ويقال أيضاً «حال فيه وأحاله فيه» لتثنية ظهر الدابة بالمكان ، والقول فيه كالتقول
في «حلب» .

غالبه في حفظه و «على» للاستعلاء وتأويل ذلك أن «كلا الخصمين يشفق على الشيء» ويحذب عليه فكأنه مطروح بينهما وهما واقفان عليه ، ومعنى الاستيلاء مفهوم من الاستعلاء ، ومن الغلط ان يقال «حافظ الشيء» يجعل الشيء مفعولاً به للفعل كالذي ورد في شعر علي بن الجهم على حسب نقل محيي الدين بن العربي في ماسراته «ج ٢ ص ٣» :

أنت كالكلب في حفاظك للدم د وكاتبس في قراع الخطوب
فانه يستطيع أن يقول «في الحفاظ على» ، وكالذي ورد في شرح الشافية للاسترابادي ج ٣ ص ١٢٤ «ولحفاظة الاخلاق» وكذلك ورد في الأشباه والنظائر «ج ٣ ص ٨٩» ومعجم الأدباء لياقوت «ج ٦ ص ٥٢٠» والذي أوقعهم في الوهم كون «حافظ» على وزن فاعل فهو متعدٍ بالقياس ، وقد ذكرنا حقيقة تعديه مع «ذب» عنه وحامى عنه أو عليه ، وكذلك القول في «دفع عنه» ، فان الأصل «دفع العدو عنه» .

ومن حافظ عليه انتقل الى ثلاثيه «حفظ» فانهم يقولون «حفظت حقوق»^(١) التأليف للمؤلف ، و «حقوقه محفوظة للمؤلف» والصواب «حفظت الحقوق على المؤلف» و «الحقوق محفوظة على المؤلف» وبذلك ورد كلام الفصحاء «شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ٢٩» ومنه قول احدهم كما في مروج الذهب للمسعودي ج ٢ ص ٢٣٤ «أسألك ان تحفظ عليّ مكانتي من قلبك» وقول ابي حيان التوحيدي في الامتاع ج ٢ ص ١١ «ص ١٨٦» فانهم يحفظون الصحة على أصحابها .
وان لقائل ان يقول : كيف وردت «على» في هذه العبارة مع أنها في اكثر احوالها للاستعلاء والاستيلاء والأذى ؟ والجواب عن ذلك أن هذا الاستيلاء نافع للمستولي عليه أو المنظور له بكون الفعل «حفظ» من الأفعال النافعة فهو مثل «اشفق عليه وحذب عليه وتامل عليه» وأتم عليه النعمة وأسبغها عليه ، فني الشغل رعاية لمكان الفعل من العناية ، ألا ترى أنك تقول «حبست عليه»
(١) ما أجمع من اللغات العربية والأولى بالاستعمال في العربية من فرد المفعول يقال «حق التأليف» .

عقاراً ووقتته عليه ، وجذت عليه ببال وعطفت عليه ، اي عطفت عنائي ، وما أشبه ذلك ، ثم إن قولهم « حفظت له كذا » جائز في غير هذا المعنى ، لأنه بمعنى أن الشيء لم يكن له فجملة في حيزه ، أما « حفظته عليه » فنقاده أن الشيء كان له من قبل واستدتمت بقاءه له ، وهذا واضح كل الوضوح من القول الذي نقلته آنفاً « أسألك ان تحفظ علي مكاتي من قبلك » ، ومن المعلوم أن حقوق الطبع خالصة لصاحبها من قبل فهو يريد « حفظها على نفسه » اي استدامة ملكيتها له .

واني لآسف على نسياني « أجب عليه » بعد « ينبغي عليه » فهناك موضعه ، ولكن الكلام عليه فهنا خير من تركه بته ، فأت من الكتاب من يقول « اجب عليه » والصواب « اجب عنه » لأن الاجابة مأخوذة من الجوب أي الطواف والياحة ، والاتزياح ، فمضى « اجب عن كذا » ازاح عنه ، والمفعول به محذوف تقديره « اجب الحجاب او الفموض او الابهام عنه » فلا يصلح غير « عن » في هذا المكان لأنها للمجاوزة والمساعدة ، ومن هذا المعنى قولهم « انجابت السحابة اي انكشفت واتزاحت » فالفائل « اجب عليه » مخطي لنا كلة الصواب لأنه لا يقال « ازاح الفموض عليه » وهو قول ساقط ، بكون الازاحة اي الاجابة إبعاداً وبكون « على » للتقريب والشمول ، الا ترى انك لا تقول « كشفت النار على الباب » لأن الكشف ابعاد لا يستعمل معه « على » ؟ وقد يرى القارئ في الكتب العربية استعمال « على » مع « اجب » ولكن ذلك للظرفية لا للفعل نفسه كأن يقال « اجب الحاكم على عريضة المدعي بكذا وكذا » اي وقع عليها وكتب عليها ، ولذلك يجمع بينهما فيقال « اجب عن السؤال على ورقة كبيرة » ونأتي « على » ايضاً مع « اجب » لبيان الخال ، تقول « اجب عن الاستفتاء على مذهب الشافعي ^(١) » ، وشرح تبيج البلاغة ج ٣ ص ١٩٥ ، وما أشبه هذا .

(١) - أنا لا أتبع بذكر النص في الاستشهاد لأن التصود التركيب والتأليف ، الا اذا فت « كقول فلان أو كقول أخدم أو كما ورد في كذا » .

ويلى حافظ عليه «حكم عليه» فان من الكتاب من لا يميز بين «حكم عليه» و «حكم له» ولقد أشرنا الى موضع «على» من الضرر وموضع اللام من النفع، فيجب ان يقال «حكم عليه القاضي بالحبس» و «حكم له الحاكم بعشرين ديناراً» تؤخذ من خصمه، وعلى هذا يكون القياس في سائر كلام الناس، واذا أريد الحكم مطلقاً قيل «حكم في الأمر» و «حكم في الناس» وبينهم فحكم لناس و «حكم على آخرين» . ومن الأدلة على ما ذكرت قول أحدهم في الكامل ج ٢ ص ٢٢ «ثلاثة يحكم لهم بالنبل . . . وثلاثة يحكم عليهم بالامتصغار» وكذلك القول في «حق له وحق عليه» و «وجب له ووجب عليه» و «اجتمع له واجتمع عليه» . ومن حكم عليه أصير الى «خفي عليه» فقد ذكر بعض النقاد أنه لا يقال «خفي عنه» وأن الصواب «خفي عليه» والصحيح أن لكل منهما موضعاً، لأن الخفاء يستعمل حقيقة ومجازاً، فالخفاء الحقيقي هو ذهاب الشيء عن البصر وعجز البصر عن ادراكه، والخفاء المجازي هو عجز البصيرة عن ادراك الشيء، فالحقيقي يستلزم «عن» للمجازة لأنه ابتعاد وذهاب، والمجازي يستلزم «على» لأنها للضرر، فلمقابلة «بدالك وظهر لك» تقول «خفي عليك» فالخفاء الحقيقي طبعي، والخفاء المجازي اكتسابي، ولا يلام الانسان على ضعف البصر وإنما يلام على ضعف البصيرة، ومن الأدلة على ما ذكرت قول الشريف الرضي الشاعر الفحل :

وتلفت عيني فخذ خفيت عني الطلول تلت القلب
فان الطلول بدركها البصر فلذلك قال «خفيت عني» ولم يقل «خفيت علي»
وكذلك قول المتنبي :

واذا خفيت عن النبي فعاذري أن لا تراني مقلة عمياء
وقالوا في تفسير : لاه يصره لوحة «رأه ثم خفي عنه» ولم يقولوا «خفي عليه»
وقد يشترك المعنيان في موضع واحد كقول أحد الشعراء في المثل السائر
ص ٦١ من الطبعة الجديدة :

لو كان يخفى على الرحمن خافية من خلقه خفيت عنه بنو أسد
فقد استعمل « على » لما يخفى من اجسام اخلق وأحوالهم ، واستعمل « عن » لبني اسد
لأنه أراد خفاء أجسادهم ، وكما حصل الاشتراك بين المعنيين غلبت « على » على
التركيب كقوله في ض رح من اساس البلاغة « وهل يخفى على الناس النهار »
لأنه أراد الاستدلال البصري والبصري ، وكذلك قول أحدهم في ب « ر من
الصباح » وقد هيرت فلا تخفى على احد^(١) ، اي لا تخفى على بصيرته ولا عن
بصره ، وما يؤيد قولي في ذلك أنك تقول « أخفيت الشيء عنه » لأنه إخفاء
عن البصر لا عن البصيرة ، فن أين أنت « عن » ؟ ومن القدماء من لم يميز بين
الخفاءين كما ورد في المستجد ص ١٣١ « لم يخف عن نظرك » وإنما أراد بالنظر
البصيرة وكان حرباً ان يقول « لم يخف على نظرك » .

وبلي خفي عنه « ردّ عليه » واستعمال « على » معه مفروق من الكلام عليه
إلا أن من الكتاب من لا يحسن استعمال هذا الحرف : يدخله على المردود بأن
يقول « ردّ على قول فلان » ومن العنوانات المتعارفة بينهم « ردّ على ردّ » والصحيح
ادخال الحرف على الانسان لفائدة توجيه الضرر عليه فيقال « ردّ على فلان قوله »
وعلى ذلك يقال « ردّ ردّ » لا ردّ على ردّ ، ويقال أيضاً « ردّ عليه جواباً مقذعاً »
و « ردّ عليه السلام » . وهم يعكسون الحرف في التردد : يقولون « تردد على
فلان » والصواب « تردد اليه » .

ومن الغلط الشائع قولهم « زحف على المدينة وعلى العدو » وليس المراد استعلاء
الزاحف وإنما المراد سيره وقصده على تودة ، وهذا معروف مألوف حتى تجد في
تعايير البحر ، في السلوك للمقريري ج ١ ص ٥٦ « وزخفت مراكب الفرنج
الى ايناء » . وزحف الجيش والناس غير زحفان الأطفال أي حيوم ، تقول
« زحف الطفل او زحف على يديه او مقعدته ويديه أي دب » والمقصود بيان

(١) وفي شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ٨٠ : « فلا يخفى على الناس نورها » علي أن الشعر
في الأحيان يحتل ما لا يحتله النثر .

العضو المزحوف عليه، لاجبة المزحوف اليه، فلذلك يصح الجمع بين الحرفين في جملة واحدة نقول « زحف الطفل على ركبتيه وبديه من الصحن الى الباب »، والظاهر أن السبب في الخطأ هو انهم يظنون « زحف » مثل هجم ^(١) فيعدونه بحرفه - اعني على - وهذا وهم منهم لأن الهجم والهجوم يحدثان من أعلى فيستعمل معهما حرف الاستعلاء « على » وليس الزحف كذلك . وبلي زحف اليه « استند عليه » فانهم يعدونه بعلى « جاعليه مثل « اعتمد عليه » مع ان الاستناد غير الاعتماد ، فالاول من الجانب ، والثاني من أسفل ، أعني ان الاستناد ملحوظ فيه موضع « السند » والاعتماد مرعي فيه حالة العمد ، والسند في الأصل ما قبالك من الجبل وعلا عن السفع ، ومنه اشتق الاسناد ^(٢) أي الصعود في السند ، وإسناد الشيء أي الصاقه بالسند والاستناد أي اتخاذ السند والميل اليه ، ومن الين أن السند لا يتصل بالمستند إلا من الجانب لذلك وجب ان يقال « استند اليه » و « اعتمد عليه » لأن المعتمد يكون فوق المعتمد عليه .

وبأني بعد استند اليه « تساهل عليه » فان كتاب العرب المعاصرين لنا قاطبة يقولون « تساهل معه » وهذا من الترجمة أو سوء التعبير ، والصحيح « تساهل فلان على فلان وتساهل الأمر على فلان » لأن الأصل « سهل عليه » باستعمال « على » التسلطية معه ، والسبب في ذلك أن الفعل وان دل على السهولة فانه أريد به الإشارة الى صعوبة كانت حقيقية أو مظلونة ، فكأنك قلت « لم يعسر عليه ولم يصعب عليه » فانتفاء الفعل لم يذهب عنه خرف الجراء ، وكذلك الحال في لحظ اصل المعنى كأن يقال « خف عليه وهان عليه » .

ويتلوه في الترتيب « اضطرر عليه » وهو مما يستعمله الكتاب ، اخذوه معجماً

(١) أصل « هجم عليه » هو « هجم عليه الدار » أي دخلها عليه ، ولكثرة استعماله محذوف للفعل به اشتقوا له مصدراً لازماً هو « الهجوم » كلوقف للتدني والوقوف اللازم والرجع للتدني والرجوع اللازم والصد والصدود والمدف والصدوف .

(٢) أنا من الذين ينهون الى أن المصادر مشتقة لدلالاتها على المعاني المجردة فالحركة - وهي الفعل - سابقة لاحيا وهو المصدر .

من بعض الكتب^(١) المساء طبعها ، ومنهم من ظنه صواباً لقربه من قولهم « اجبره عليه » ولكنهم فسروا الاضطراب بالاجاء والاحواج وكلاهما يطلب « الى » « دين علي » ومعنى « اضطره » أصابه بالضرورة أي الحق به الضرورة مثل « اغتابه » أصابه بالغيبة واجتاحه وانتقصه ، وبأني هذا المعنى على « تفعل » أكثر من « افتعله » لأن هذا الأخير مختص بمعالجة الفاعل شيئاً لنفسه كالاختيار والائتدام والغتسال ، ومن أجل ذلك والتعويض عنه ، شارك « تفعل » « افتعل » في معنى المعالجة ، كأن الأوزان بني بعضها لبعض ، مثل « تخمرت المرأة وتعصبت وتعمم الرجل وتنور » . أما « أضنى عليه » فمعلوم سبب استعمال « على » معه من حيث كون الإضفاء آتياً من أعلى الشيء ، ولكن بعض النقاد اللغويين المعاصرين أنكروا وجوده في اللغة ، بشبهة أن كتب اللغة لم تذكره ، مع أن إدخال الحمزة على الثلاثي اللازم للتعدية قياسي متعالم ، تقول « ضفا الثوب يصفو صفواً أي صبغ » وأضفاء الخياط ، وقد استعمله الفصحاء قال أبو اسحاق الصابي - كما في رسائله ج ١ و ٣ - « ولا سلبك ما أضفت عليك الامامة من مرضاتها » وجاء في كتاب الروضتين ج ١ ص ٢٣٤ « وأضنى مشربك وأضنى ما بسك » وكذلك ورد في معجم الألقاب لجل الدين ابن الفوطي ، وأرى أن الجدل في تعدية الافعال الثلاثية اللازمة ، بالحمزة من بواطل الأقوال ، فالمانع لتعديتها بذلك كلقاطع عضواً من أعضاء اللغة العربية لكي يجعلها مؤفة معيبة .

وبلي أضنى عليه قولهم « انظلي عليه » بمعنى تم عليه وراج ، وأكثر ما يستعملونه في الحيلة وذلك نحو « انظلت عليه الحيلة » أي تمت عليه ، والانظلاء مأخوذ من الظلاء^(٢) وهو القطران وما يطلى به ، وثلاثيه « ظلاء يطايه » أي وضع عليه

(١) في ترح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١ ص ٤٦٥ « ليس على معنى أن القاتل مضطر على قتله » وهو تصحيف والأصل « ال قتله » فقلجاء في أخياره ج ١ ص ٤٢٣ « حتى اضطروا ثم إلى الجسر » .

(٢) وقد جاء جمه قياسياً على « أظلية » كما في مروج الذهب ج ١ ص ١٨٠ ، ٢٢٨ .

الطلاء ، والمبالغة منه « طلاء تطلية » ويجوز في كل فعل ثلاثي ان يشتق منه « انقل » إذا كان فاعله معالجاً للفعل بنفسه ولنفسه لا بتأثير خارج كما ادعى القائلون بالمطاوعة وهي في الحقيقة عتاء مغرب ، ولقد أشرنا الى ذلك وأتبنا بانصرف وانطاق في الاستدلال ، و « انطى » لا يمكنه ان يكون من هذا الباب ، لأن الطلاء شيء خارج ومادة منفصلة عن المطلي بها قبل انطى ، ومثله طلاء « عله علاً » اي خلطه بالعسل ، وقرظه اي دبغه بالقرظ وماحه ماخجاً بمعنى جعل فيه الملح فالشيء الأصلي هو المفعول ، وإذا لم يجوز ان يقال « انسل العسل ولا انقرظ القرظ ولا انماح الملح ولا انسل الشيء ولا انقرظ الجلد ولا انماح الطعام » لم يجوز ان يقال « انطلت الحيلة » . ويجوز على الاستعارة ان يقال « طلبت عليه الحيلة » اي كنت حقيقتها فتمت عليه ، ولا يصح غير ما ذكرت . وأخلص بعد « انطى » الى « عود » على الأمر وتعود عليه واعتاده عليه ، فان كثيراً من الكتاب يعدون هذه الأفعال بعلى - كما ذكرتها - والصواب تعديتها بأنفسها ، ومنشأ الغلط إما الاقتداء ببعض المؤلفين المتأخرين بالاضافة الى عهود الفصاحة كابن الطقطعي في تاريخه الفخري ^(١) ، وأما التضحين كما يقال « دربه عليه ومرتبه عليه » وإذا أخذنا باستعمال زهير بن ابي سلمى الذي ذكرناه في الحاشية ، وجب علينا ان نميز « التعدية بعلى » في الشعر خاصة لأنه استعمل الوجهين في بيتين متوالين ، ولا مندوحة عن أن يكون أحدهما الغالب والآخر على غير الوجه ، والذي في كتب اللغة والآثار الأدبية أن تعدى هذه الأفعال بأنفسها ، وذلك لأن ثلاثيها هو « عاد الشيء بعوده » أي أبداه ثانية وباشره مرة أخرى ، فعوده الشيء جملة بعوده ، وتعود الشيء واعتاده بمعنى كرر عوده ، واتخذ

(١) راجع « ص ٢٢ » من طبته المصرية الأولى « وتعود النفس على ذلك » ، ولكن بعض المحققين لصحة التمييز ذكروا أن زهير بن أبي سلمى وهو شاعر جاهلي استعمل الوجهين في قوله :

وعود قومه هرم عليه ومن عاداته الخلق الكريم
كما قد كان عودم أبوه انا أزمهم يوماً أزوم

عادةً ، ومن هذا يعلم أنه ليس من « عاد عليه بكذا »^(١) أي تقع به ، ومنه الفائدة أي الفائدة ، وقد يستعمل على الضد كقول الشاعر الوارد في الكامل المبردي ج ١ ص ٤٣ من طبعة الدجوني الأزهرى « تعود على مالي الحقوق العوائد » أي تنقصها ، وتنحوها ، ومن الغلط الواضح قول النحويين « عاد الضمير على كذا » والصحيح « عاد الضمير الى كذا » من عاد اليه بمعنى رجع وآب .

فيجب ان يقال « عودتُ فلاناً شيئاً وتعوده هو واعتاده هو » والشعر اذا خالف النثر ووافقه في موضعين ظهر ضعفه ، واذا خالف النثر أصلاً بان شذوذه ، وجاز الاقتداء به في النظم خاصة .

وبلي عوده « علا عليه » وقد أشرنا الى القاعدة العامة في الكلام على « أثر عليه » ونؤيد ما ذكرنا بما ورد في القرآن الكريم وقد ذكرناه ومنه « ولعلنا بعضهم على بعض » . وعليه قول الشاعر :

وما يعلو على قلل المعالي أعتق من المعرق في الملاء

وبتلو علا عليه « أغراء عليه » والصحيح « اغراء به » لأن الاغراء إلصاق وإلاقه ، وليس صحيحاً أن يقال « العقه عليه وألاقه عليه » وأظن أني قرأت في سراج الذهب شعراً قديماً جاء فيه « اغراء عليه » ولكن الموضع شذء عني ، على أن ذلك تصحيف لقولهم « أضراء عليه » من الاضراء والاضراء منه ، تقول « ضري بالشيء » كما في كتب اللغة « ضري عليه » كما في الامتاع والموانسة وجمهرة الأمثال لأبي هلال ، ومعجم الأدباء لياقوت « ج ١ ص ٣٥٦ » من طبعة مرغليوث ، ورباعيه « اضراء به وعليه » والفاذ في الكتابة تتصحف الى العين والعين كما تتصحفان « ما اليها » وفي أخبار الحلاج ص ٨٢ « يجوز اغراء الناس عن الباطل ... قال : لا ولكنني اغريهم على الحق » . فالأول « اغراء الناس على الباطل » لآءه ، وكذلك ورد في كتاب « بيعة الحلاج » المخطوط ، والأصل « إضراء الناس على الباطل واضراءهم على الحق » ، وقولي ان « اغراء عليه »

(١) في رسائل الرازي ، طبعة كراوس ج ١ ص ١٨ « سائر الصناعات المائدة علينا النافعة لنا »

محمول على «أضرأه عليه» ليس معناه أن «أضرأه عليه» هو التصحيح دون «أضرأه به» ولكن الضعيف قد يحمل على الضعيف والركيك قد يتصعف الى الركيك، بله أن «ضري عليه» فيه معنى التسلط والجراة ومن ذلك نشأ الاعتلاء فاستحق «على» تقول «جرؤ عليه واجترأ عليه وجسر عليه» .

وبأني بعد اغراء عليه «فتش عليه» فان جماعة من كتاب العصر يستعملونه وقد ورد في شعر ابن الدهان الموصلي، وكان قد ادرك القرن السابع للهجرة قال :

وعهدي بالصبا زمنا وقدي حكى الف ابن مقلة في الكتاب

فصرت الآن منحنيا كاني أفتش في التراب على شباني

والشعر كما ذكرت لا يصح ان يتخذ دليلا على صحة التعبير ما دام مخالفا للنثر، وقد ذكرت انه يقال «فتش عنه» لا فتش عليه وأن فتش متعد محذوف المفعول والأصل «فتشه عن كذا»، وقد ورد «فتش عليه» في ثر القرن السادس، من ذلك قول ابي الفرج ابن الجوزي في «صيد الخاطر» ص ٨ «ولو فتشوا على مر هذه الأشياء لعلموا» . وهو خطأ لأن الموضع لا يتلزم «على» أبداً، فكما تقول «سأل عن الشيء» تقول «فتش عنه» وكذلك القول في «بحث عنه» ووليد «فحص عنه» و «أجاب عنه» .

ويقولون «تكلم عن الأمر» وكلمه عنه واستتبع ذلك منهم ان يقولوا «كلمة عن الموضوع» و «الكلام عن الموضوع» والصحيح في كل ذلك وضع «على» موضع عن، هذا هو استعمال الفصحاء في كل ما عرف من كتب الأدب والتاريخ وغيرها، ومن التعابير المولدة قول جماعة من المتقدمين «تكلم في المسألة» أي عليها، ولكنهما اذا اجتماعا وجب استعمال «على» ففي مروج الذهب ج ٢ ص ٢٨٤ من الطبعة المصرية الأولى «وهو علم يمزج الدين بالفلسفة ويتكلم فيه على الكون والظهور...» ثم إن قولهم «تكلم في فلان» معناه «ذمه وقده فيه»، واستعمل المتأخرون من المؤرخين «تكلم على الناس» بمعنى وعظهم وذكروهم

(١) في معارج المشاق ص ١٣٣ من الطبعة المصرية الحديثة «وقد تكلم بعض الناس بكما بكلام قد رفع الله أقداركا عنه» وجاء كثيراً في غير ذلك .

ورقق قلوبهم^(١) ، لافادة «على» الاستعلاء من حيث جلوس الواعظ على المنبر فكانه فوقهم ، ولكن الفصحاء كانوا يفهمون من «تكلم عليهم» تحدث في أمرهم وذكر حالهم ، وأما «تكلم عنه» فله في اللغة معنى آخر هو افادة النيابة تقول «تكلم الوكيل عن موكله» وفي جمهرة الأمثال ص ١١٨ من طبعة الهند «بقاتل عن العاجز ويتكلم عن العي» . وقالوا في تعريف المدره «زعيم القوم المتكلم عنهم» أي الذي يتوب عنهم في الكلام ، فاذا قلت «تكلمت عن فلان» وأنت تريد تحدثت في أمره فذلك خطأ ، لأن معناه أن تتوب عنه في الكلام ، وفي مثل هذا يظهر الالتباس فضلاً عن مخالفة السماع والقياس . ومن هنا أسوق الكلام الى «ورد عليه» فإن كثيراً من الكتاب لا يميزون بين «ورده»^(٢) و «ورد عليه» فهم يقولون «وردنا كتاب» والورود في الأصل مما يختص بالأمكنة كالدخول والخروج والجلوس والعود ، ومعناه الأصلي «إتيان المورد» ثم استعمل في غير ذلك ، وقد أشرنا الى انه يقال «دخل عليه الدار» ومن المعلوم أنه لا يقال «دخلت فلاناً» ولا «دخلني الشيء» فكيف يجوز ان يقال «ورد الكتاب فلاناً ووردني الكتاب» ؟ ومعنى ذلك أن الورود يجب ان يقع على مكان لا على انسان ، فان لم يكن المكان مذكوراً في الجملة فهو محذوف مقدّر تقول «ورد عليّ كتابك» والأصل «ورد على البلد كتابك» أو ما في معناه ، فالمورود هو البلد أو المكان أو المورد أو الحوض والمورود عليه هو الانسان والوارد هو الشيء أو الانسان أو الحيوان ، تقول «ورد القوم ووردت الابل وورد الكتاب» فورد القوم حقيقي وقد يكون مجازياً كما في الكامل المبردي ج ١ ص ١٩٣ من الطبعة المذكورة «فلما ورد به عليه جعل

(١) في معارج المشاق ص ١٠٨ من الطبعة المصرية «وقف ينكلم علينا» وفي المتظم لابن الجوزي ج ٧ ص ٨٨ «جلس على كرسى ... وتكلم على الناس» وكذلك ورد في الوفيات ج ١ ص ١٢٧ من طبعة ايران .

(٢) ربما كان هذا اللفظ قديماً فليطو القامة لابن حزم ص ١ «فان كتابك وردني من مدينة المرية» والصواب «ورد عليّ» ، هذا على اعتداد البارة غير محرقة والا فالذي يجب أن نلصق محرقة ونبرى ابن حزم من هذا اللفظ ؟

عبد الملك لا يسأل عن أمر الواقعة شيئاً، إلا أنباء عرار»، ويقال على المجاز أيضاً «ورد على بدنك ضرر عظيم» كما في الامتاع والمؤانسة ج ٢ ص ٤٦ ومن الخطأ قول القائل في الوفيات ج ١ ص ٣٤٣ «الواردين على اربل» والقائل في كامل ابن الأثير ج ٩ ص ٢٢٣ «نورد إليها في مائة فارس وتزل النجمي» والصواب «الواردين لاربيل» و«نوردها في مائة فارس» . ومن هذا يعلم أن اللفظ في استعمال هذا الفعل فاش في لغة الكتاب منذ عصور .

وكان عليّ أن أذكر «تقد عليه وانتقد عليه» قبل ورد عليه ، فأكثر الكتاب يقولون: «تقدت فلاناً وانتقدته»^(١) وهو خطأ والصحيح ، ما ذكرته ، لأن الفعل أي النقد والانتقاد يقع في الحقيقة على الشيء وما يحمل محله بالاستعارة ، ولكون الشيء المنقود ذا صلة بالإنسان أي بصاحبه ، حتى استعمال «على» لفائدة الضرر والتعدي - على ما قررته في سابق كلامي - فانك تقول «أضعت عليه حقه وأفدت عليه أمره وأتلفت عليه تجارتها» فلذلك تقول «انتقدت عليه قوله وانتقدته عليه» كما تقول «نقضت عليه قوله» ، وكذلك ورد في تاريخ الطبري «سنة ١٦٩ ص ٢١ من الطبعة المصرية وفي غيره من الكتب ، كمجتمع الألقاب فيه «انتقد ذلك عليه» وقال ابن جبير «ما انتقدته على الأمراء» ص ١٦١ من طبعة مصر .

ولنقده وانتقدته - مستعملين للإنسان - معنيان آخران ، فنقده معناه «أعطاه المبلغ قدماً معجلاً» و«انتقد القوم» أي تعرف حقائقهم كما نقله في الحاشية من المنتظم لابن الجوزي ، وما أبعد المعنيين عن المراد بقولهم «نقده وانتقدته» ولو لم يكن حرف الجر «على» لجاز أن تقول «تقدته قوله وانتقدته قوله» على الحذف والإيصال مثل «كلفته الأمر وأمرته إياه وجنيته تمرّاً وكنته يراً

(١) ورد مثل هذا التعبير في الروشتين ج ١ ص ٢٢٤ ولا يصح الأخذ به ، لأنك إذا قلت «انتقدت القوم» شبهتهم بالدرام تختار حيادها وفي المنتظم ج ٨ ص ٢٥١ «وكان قد انتقد أهل زمانه فاستعمل كل واحد منهم في ما يصلح له» أراد بانتقادهم معرفة حقائقهم ، ويأتي الانتقاد للاختيار وحده ، قال الشاعر «ولم أزل ليعون الشعر منتقداً» كما في الموشح ص ٣٦٨

ووزنته دنانير وأعطيته مالا ومنعته الرود واختار موسى من قومه سبعين رجلاً «
ولكن هذا غير مألوف مع «على» والذي ورد منه في الشعر شاذ كقول الشاعر :
نحن فبدي مايبا من صباية وأخني الذي لولا الأما لقضاني
وقد ذكر المبرد في أول الكامل أن الشاعر أراد «لقضى على الموت»
ولكنه جعله «لقضاني» لمعرفته الفصاحة وعلامة يجوه الكلام ، وهيئات هيئات
يا أبا العباس ، لم يكن ذلك إلا من الضرورة التي أوجبها الوزن وحللتها القافية ،
فالسجين لا يستطيع أن يقول إني طليق .

وأختم الكلام على «على» وأفعالها الداخلة في الغلط الشائع بكلمة على
«وزّع عليهم» فان كتاب العرب المعاصرين لنا يتعملون «وزّع عليهم»
مكان «وزّع فيهم» أي قسم فيهم ، وذلك غلط فيصح جداً لما قدّمنا من افادة
«على» للضرر والتسلط والتكليف ، فتوزيع المال على القوم معناه جعله ضريبة
عليهم وتكليفاً^(١) ، كما يوزّع الحاكم العسكري مالا على قرية عاصية أو قرى
عاصية ، فاذا أريد قسمته أو تقسيمه في القوم قيل «وزّع المال في الناس»^(٢) ،
تقول «فرّق المال فيهم وأزاعه فيهم وقسمه فيهم»^(٣) وما إليه ، وكما تقول «وضع
عليهم الخراج وضرب عليهم الضرائب وأوجب عليهم الأداء ووظف عليه العمل»
تقول «وزّع عليهم مالا» أي كلّفهم أداءه فرادى لا جماعة ، وقد مضى على
هذا الغلط نصف قرن ولم ينتبه إليه أحد ، لأن النقد اللغوي والنقد النحوي لم يكونا
مستندين إلى القواعد العامة التي أشرت إلى جملة منها وسأذكر جملة أخرى منها
في الكلام على الحروف الأخرى وأفعالها وسيكون مستأنف كلامي على «من»
وأفعالها ومن الله تعالى التوفيق والصواب .

(لندن)

مصطفى هوراد

(١) وورد بهذا المعنى وهو الأصل في نهج البلاغة «شرح النهج ج ٣ ص ٢٣١»
وراجع أسس البلاغة .

(٢) ورد في نهج البلاغة أيضاً «شرح النهج ج ٣ ص ٢٣١» .

(٣) جاء في تاريخ الطبري سنة ٣٥ من ١١٣ «قسمها في الناس» .

الموفي في النحو الكوفي

للسيد صدر الدين الكنفراوي الراستنبولي الحنفي

علق عليه الأستاذ محمد بهجة البيطار

وبعد فهذه رسالة موضوعها النحو عند الكوفيين خاصة ، توقف الباحث على مذهبهم في مجمل أبوابه ، وهي مجموعة في هذه العجالة على لطافة حجمها . ولا يخفى ان المذهب الكوفي النحوي ينتمي عليه وجوه من القراءات والروايات المتحملة عن الفصحاء والبلغاء كيجي بن وثاب المتوفى (١٠٣ هـ) وعاصم بن أبي النجود (١٢٧) وسليمان الأعمش (١٤٨) وحزمة (١٥٦) والكسائي (١٨٩) ممن اشتهر بالقراءة من أئمة الكوفة . وأما من اشتهر بالرواية منهم فقد خرج الاوام احمد في مسنده لاكثر من مائة وخمسين محدثا كوفيا (٢٣٩ - ٢٩١) ج ٤ من المسند . ثم ان مؤلف هذه الرسالة المسماة بالموفي في النحو الكوفي - وهو السيد صدر الدين الكنفراوي الآتية ترجمته ، قد أوجز إيجازا اضطرنا الى وضع تعليقات على رسالته توضح غوامضها ، وتشرح مقاصدها ، وشواهدا بالكلم الوجيز . ولما كان لمذاهب أئمة النحو أصول وقواعد يرجع اليها ويعول عليها ، رأينا أن تقدم لهذه العجالة بشذرات مقتطفة مما نشره صديقنا العالم الأديب الأستاذ طه الراوي في أصول العربية عند الكوفيين والبصريين ^(١) ، وأنا أوجز القول في تراجم من يرد ذكرهم من الأئمة مع تاريخ وفياتهم ، والله هو الموفق .

محمد بهجة البيطار

* * *

(١) نظرة في النحج ٩ و ١٠ م ١٤ من مجلة المجمع العلمي العربي .

م (٧)

كلمة الأستاذ الجليل طه الراوي^(١)

تمهيد تاريخي :

عندما اتسعت لأجدادنا رقعة الفتح ، واتسعت لهم الدولة ضربوا في الأرض
وانبسطوا في الآفاق ، وخاطبوا صفراء الأمم وحمرائها ، واحتكت لغتهم بلغتهم ،
ولم تكد تستقر بيهم الحواضر حتى آتسوا فارط اللحن يتمشى في حواشي لغتهم ،
ويدب على ألسنة أحداشهم ، فراعهم ذلك ، وعز عليهم أن تغطي العجبة على لغتهم .
ولغة دولتهم ، بل لغة ملتهم ، التي هي سر نهفتهم ، ومصدر عزيتهم ، فحفزت
الحمية القومية ، والغيرة الدينية ، رجالاً منهم لتصرتها والذب عنها . . .

وكان مجي الحلبة في هذا المضمار ، أبو الأسود الدؤلي الكنانى أحد أعلام
التابعين^(٢) بارشاد من الامام علي رضي الله عنه ، وكان من أرباب البصائر الحية ،
فاستعرض طائفة من كلام العرب ، وتوصل الى استخراج طائفة من المسائل ،
واستنباط بعض القواعد ، اسمائها (النحو) ودونها في صحيفة له ، عرفت عند النحاة
بالتلميقة ، وهي أول كتاب دون في علم اللسان العربي .

وبهذا تعلم ان النحو أسبق علوم اللغة وضعاً وتديناً ، والسبب في هذا أن
بوادر اللحن وأعراض الفساد هجمت على الإعراب ونظام التركيب ، قبل هجومها
على مفردات الكلم وموضوعاتها ، ولذلك احتاجوا إلى وضع قوانين تعصم اللسان
والقلم عن أخطاء في نظام التركيب وأصول الإعراب ، قبل احتياجهم الى ضبط
مفردات الكلم ، وتحديد موضوعاتها .

(البصريون والكوفيون)

وأبو الأسود ، وإن كان كوفي المولد ، إلا انه بصري النشأة ، وفي البصرة
وضع حجر الزاوية في اساس فنونه ، وكان تلامذته من أهلها ، ولذلك بقي النحو

(١) نشر صديقنا الأستاذ السني الشيخ محمد بهجة الأثري له وجه الله ترعة حاملة لي بحجة

الجميع الطي (ج ٢٤٤١) .

(٢) ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل الكندي ، رسم له الاعلام علي شيبان من أصول النحو ،

كتب فيه أبو الأسود ، وأخذته عن جماعة ، سكن البصرة وول امارتها وتوفي فيها سنة ٦٩ هـ .

ريبياً للبصريين ينتقل في حجور أئمتهم ، الى أن كانت عصر الخليل بن احمد الفراهيدي^(١) ، فجمع متفرقه ، وفصل قواعده ، وهذب مسائله ، وأكمل أبوابه ، وتقدم الى سيويه^(٢) ، وكان من أنه تلاميذه ، وأسماهم همه ، أن يجمع ذلك في كتاب ، ففعل وأبدع ، ما شاءت له قوة درايته وسعة روايته .

وانتقل بعض البصريين من النخاة الى الكوفة ، واتخذها دار إقامة له ، وأخذ ينشر التعويين ظهرانيتها ، وكان في الظليمة من هؤلاء عبد الرحمن التميمي المتوفى سنة ١٦٤ . ثم ابو جعفر الرؤاسي^(٣) ، وعمه معاذ بن مسلم الفراء^(٤) ، مبدع علم التصريف . وأشهر من تخرج هؤلاء وأنبيهم علي بن حمزة الكسائي^(٥) ، وكان ممن يحضر في حلقة الخليل ، ثم ضرب في البوادي سنين كثيرة ، يأخذ عن الصميم من أهلها ، ولم يزل يدأب في الجمع والتحرير ، حتى انتهت اليه إمامة العربية في الكوفة ، ولم يتقيد بمذاهب من سبقه في التأصيل والتفريع ، ورسم للكوفيين الحدود التي أخذوا أمثلتها وخالفوا فيها البصريين ، فهو عند الكوفيين بمكانة الخليل عند

(١) امام اللغة والمروى والنحو (المتوفى سنة ١٧٠ هـ) وهو الذي استنبط علم المروى ، واستخرج منها خمسة عشر مجراً ، وهو أستاذ سيويه ، وعامة الحكاية في كتابه عنه . وكما قال سيويه : وسأله ، أو قال ، من غير أن يذكر قائله : فهو الخليل ذكره اليراني .

(٢) امام النحو عمرو بن عثمان المعروف بسيويه الخارثي ، ولد في إحدى قرى شيراز ، وقسم البصرة ، قزم الخليل بن احمد وصف كتابه المسمى (كتاب سيويه) في النحو ، لم يصنع قبله ولا بعده مثله ، ورحل الى بغداد فناظر الكسائي ، وأجازه الرشيد بشرة آلاف درهم ، وعاد الى الأهواز فتوفي فيها سنة ١٨٠ هـ . (الأعلام) .

(٣) محمد بن أبي سارة الكوفي ، أول من وضع كتاباً في النحو من أهل الكوفة ، وهو أستاذ الكسائي والفراء ، وكما قال سيويه في كتابه (قال الكوفي) عن الرؤاسي ، ولقب بذلك لكبر رأسه (توفي سنة ١٩٠ هـ) (الأعلام) .

(٤) الكوفي النحوي ، شيخ الكسائي ، توفي عن نحو مائة سنة ، وهو الذي سارت له هذه الكلمة :

ان معاذ بن مسلم رجل ليس لمفات عمره أمد

وفي بنية الوعاة : وقد عاش مائة وخمسين سنة ، وكان يبيع الثياب المروية ، ولذلك قيل له : الفراء !

(٥) أبو الحسن (١٨٩) امام الكوفيين في النحو واللغة . وأحد القراء البجة المشهورين : ولد بالكوفة ، واستوطن بغداد ، وقرأ على حمزة ، ثم اختار لنفسه قراءة ، ومات بالري هو ومحمد ابن الحسن في يوم واحد ، وكانا خرجا مع الرشيد ، فقال : دقت الفقه والنحو في يوم واحد .

البصريين ، وعلى يده امتاز نحو الكوفة عن نحو البصرة ، واحتدم الجدل ،
وتطايير شرر المناقشة بين الفريقين .

* * *

وبالجملة فان مذهب البصرية أضبط قياساً ، وأتقن دراية ، ومذهب الكوفية
أكثر تشعباً ، وأوسع رواية ، وأنت ترى أن البصريين في تشددهم وتحكيم
قوانينهم ضيقوا على العربية واسعة في كثير من المواطن التي تتطلب السعة ، حتى
لقد ضاق النحو الذي قدره بمقاييسهم عن أن يسع نفسه ، وهو في ريعان شبابه ،
ونعومة إلهابه ، فوقعوا في تلحين خاصيتهم ، وكبار أئمتهم ، فقالوا لحن سيئوبه في
كتابه ، ولحن فلان وفلان ، وهم من أئمة هذا الشأن ، بله النقباء والمفسرين
والمحدثين والفلاسفة المتكلمين (١) .

ولا ينكر أن بعض المتأخرين من التحويين كإبن مالك (٢) وإبن هشام
الأنصاري (٣) ومن تبعهما انتبهوا لهذا الأمر ، وحاولوا أن يفصموا شيئاً من تلك
القيود التي لا تجمع والرواية في مكان ، فكان النجاح حليفهم في مواطن كثيرة ،
وبقي على غيرهم أن يتم ما بدأوا به ، ولكنه لم يأت بعد إبن هشام من التحويين
من نهج منهجه في التجديد والإصلاح ، فبقي الأمر محتاجاً إلى معالجة ، فهل يوفق
أبناء هذا الجيل للقيام بهذه المهمة ، والفوز بهذه الخدمة ، تترك الجواب على
هذا السؤال لأعلام الأدب وأمراء البيان .

طه الراوي

* * *

(١) أشار الكاتب (رحمه الله) إلى أمثلة من ذلك في غضون هذا المقال .

(٢) أبو عبد الله محمد جمال الدين بن عبد الله بن مالك (نسب لجده لشهرته به) الطائفي ،
الجزائري ، كان إماماً في العربية ، ولد في جيان (بالأندلس) وانتقل إلى دمشق وتوفي فيها عام (٧٧٢)
ومن مشايخه إبن عيسى شارح المفصل ، ومن أخذ عنه الإمام النووي ، ويقال إنه عنه بقوله
لي المتن : « ورجل من الكرام عندنا » .

(٣) جمال الدين أبو محمد ، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام من أئمة العربية
مولده ووفاته بصر (٧٠٨ - ٧٦١) ، قال إبن خلدون : وما زلنا ونحن بالقرب نسمع أنه ظهر
بصر عالم بالعربية يقال له إبن هشام انمى من سيئوبه .

ترجمة المؤلف

هو أبو طلحة ، عبد القادر ، صدر الدين بن عبد الله ، بن عبد القادر ، بن عبد الله ، ابن حسن ، الكنفراوي الأصل ، الاستانبولي ، الحنفي ، السلفي . ولد في الآستانة حوالي سنة ثمان وسبعين ومائتين والف هجرية . وتأدب وتخرج بوالده وبمشايجه الدين أجازوه ، وهم : الشيخ محمد الجوخدار ، والشيخ عبد القادر الأسطواني ، والشيخ محمد الزهاوي ، والشيخ بكري العطار ، والشيخ عثمان الخطيب الحنبلي ، والشيخ توفيق السيوطي ، والشيخ محمد سعيد الباني ، والشيخ محمد غزاة الأيوبي الاستانبولي .

تولى القضاء الشرعي في دوما وحمص وفي الآستانة ، كما تولى القضاء القانوني في كثير من الأمصار : فقد كان رئيساً لمحكمة البداية في « قره حصار » من أعمال ولاية إزمير ، وفي بيروت ، وجدة ، ودمشق ، وبغداد ، وطرابزون ، ومنستر ، وقوصوة .

وكان عضواً في مجلس المعارف بالآستانة ، وأستاذ حكمة التشريع في جامعة الآستانة .

ولم تصرفه أعمال الحكومة والتدريس عن التأليف : فقد ألف باللغتين العربية والتركية عدة مؤلفات في موضوعات مختلفة ، منها :

١ - تاريخ دول الإسلام : كتاب كبير يدخل في عدة مجلدات ، بدأه

بالسيرة النبوية ، وأتى فيه على تاريخ جميع الدول والإمارات الإسلامية في الشرق والغرب إلى قبيل وفاة المؤلف سنة ١٣٤٩ هـ . ومزينة هذا التاريخ أفراد كل دولة في باب خاص على طريقة ابن خلدون مع الإحاطة الدالة على اطلاع واسع ، وتبعم دقيق ، والكتاب لا يزال في المسودة بخط المؤلف .

٢ - طبقات المصنفين في العلوم الاسلامية قرناً بعد قرن الى عصر المؤلف :
قصره على أسماء المصنفين ، وموالدهم ، ووفياتهم ، وذكر مصنفاتهم ، وما تشدد
الحاجة اليه من احوال بعضهم .

٣ - طبقات الحنفية : سلك فيه سبيل طبقات المصنفين .

٤ - مختصر تهذيب الكمال في الحفاظ ، وما قيل في الجرح والتعديل : رتبته
في جداول ، فذكر الصحابة ومن يليهم إلى سنة مئة ، ثم الذين من بعدهم .
٥ - مفاتيح كنوز الإسلام : في أسانيد المؤلف في كتب الحديث ،
والتفسير ، والفقه ، والأخبار ، والرجال ، على سبيل البسط .

٦ - كشف الغمة عن اقتراف الأمة : ذكر فيه فتنة المرتدين وميلحة ،
وفتنه البائية ، ومقالات الرافضة ، والوعيدية ، والبتدعة ، من المرجئة ، والقدرية ،
والمعتزلة ، والجهمية ، والرد عليها .

٧ - أنساب الأئمة والأئمة عليهم السلام وأنساب العرب والصحابة والخلفاء

والطالبين وبعض الملوك .

٨ - رسالة في النحو .

٩ - الموفي في النحو الكوفي . (وهو هذا)

١٠ - رسالة في العروض .

وله في اللغة التركية مؤلف في أصول الفقه سماه : « الدريعة الى علم الشريعة » .

* * *

كانت وفاته في الآستانة شهر رمضان سنة ١٢٤٩ هـ . وقد قارب السبعين
س عمره . رحمه الله .

*
* *

وهذا نص الرسالة :

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمدك يا اللهم^(١) على هدايتك الى الصواب ، والصلاة والسلام على أنبيائك ورسلك ولا سيما محمد سيد الأجيال ، وعلى آله التابعين له وجميع الأصحاب .
(أما بعد) فهذا كتاب « نحو » وضعته على مذهب الأئمة الكوفيين ومصطلحاتهم ، إذ وجدتها أهملت ، وهي تحتاج إلى النظر والبصر من أهل التأويل ، والفقهاء ، والعلماء . وبينى عليها وجوه من القراءات^(٢) والروايات^(٣) المتحملة عن الفصحاء والبلغاء . فجمعتها في غضون كتاب من كتب كثيرة اطلعت عليها وزيتها على ترتيب كتب المتأخرين ، وسميته : « الموفى في النحو الكوفي » ؛ والله المسؤول أن ينفع به ويجعله خالصاً لوجهه ، وهو المتعان وعليه التكلان .

(١) قولهم : « يا اللهم » مذهب الكوفيين أن الميم المشددة في اللهم بقية جملة محذوفة (قالوا) أصلها : يا الله أمناً بخير ، وليت عوضاً عن حرف النداء ، ولذلك أجازوا الجمع بينهما في الاختيار ، وأما البصريون فلا يميزون الجمع بينهما إلا في ضرورة الشعر كقوله :

اني اذا ما حدث أمةً اقول يا اللهم يا اللهما

ولما كانت هذه الرسالة موضوعة على مذهب الكوفيين ناسب أن يشير المؤلف الى ما ألفت لأجله ، فيه براعة الاستهلال .

(٢) ذكر الإمام ابن الجزري اللبثي في طليعة كتاب النشر اسماء من اشتهر بالقراءة في الأمصار ، وعد من أئمة الكوفة : يحيى بن وثاب ، وعاصم بن ابي النجود ، وسليمان الأعمش ، وحزمة ، والكسائي ، فهؤلاء ممن كان يقتدى بهم ، ويرحل اليهم ، ويؤخذ عنهم ؛ ولتصديهم للقراءة نبت اليهم .

(٣) اشتهر من أئمة الرواية الكوفيين خلق كثير ، وقد خرج الامام احمد ابن حنبل في مسنده لأكثر من مائة وخمسين محدثاً منهم رضي الله عنهم (٢٢٩ - ٢٩١) ج ٤ من المسند .

النحو : علم بأصول يعرف بها أحوال أواخر الكلام في التركيب . والتركيب : إما بنسبة إسنادية ، فجملة ؛ أو غير إسنادية ، فتقيدي ؛ أو بلا نسبة ، فزجي ؛ والجملة : إما أن تتركب من اسمين كزيد قائم ، أو من فعل واسم كقام زيد ، أو من اسم وحرف ملاحظاً فيه معنى الفعل كيازيد^(١) .

والاسم معرب وقد يبنى لثبه الحرف ، وإعرابه رفع وفتح وجر : فالثنى بالالف والياء^(٢) كجاء الزيدان ، وضربت كنيها ؛ فكلا وكنتا مثنيان^(٣) . وجمع المذكر السالم بالواو رفعاً ، والياء نصباً وجرّاً^(٤) نحو : جاءني الأحمدون ، وضربت الطالحين ، وحمل عليه عشرون وبابه^(٥) ، وارضون والسنون وبابه^(٥) . وقد يعرب جمع المذكر

- (١) التقدير : ادعو زيداً ، أو أنادي زيداً فزيد في موضع نصب لأنه مفعول .
 (٢) ذهب الكوفيون إلى أن الألف والواو والياء في التثنية والجمع بمنزلة الفحة والفتحة والكسرة في أنها إعراب بمنزلة الحركات ، لأنها الحروف التي أعرب الاسم بها كبقائـ : حركات الإعراب ، أي الحركات التي أعرب الاسم بها . وقال البصريون إنها حروف إعراب وليست بإعراب ، لأن هذه الحروف إنما زيدت للدلالة على التثنية والجمع فصارت من تمام صيغة الكلمة التي وضعت لذلك المعنى . (٣) ذهب الكوفيون إلى أن « كلا وكنتا » مثنيان لفظاً ومعنى ، وأصلها « كل » فكسرت الكاف ، وخففت اللام ، وزيدت الألف للتثنية ، والناء للتأنيث ، والألف فيها كالألف في « الزيدان » ولزم حذف نون التثنية منها للزومها للاؤخافة ، وقد شرح الأنباري مذهبهم في (الانصاف) والبغدادي في (الخزانة) ، ورجحنا مذهب البصريين في كون « كلا وكنتا » مفردين لفظاً ، مثنيين معنى ، (الانصاف : ص ١٨٢ - ١٨٦ ؛ الخزانة ج ١ ص ١٢٦ - ١٢٩) . (٤) إلى التسعين . (٥) المراد يبابه : كل كلمة ثلاثية حذفت لامها وعوضت منها هاء التأنيث ، ولم تكسر ، نحو عضة وعفين ، وعنه وعزير ، قال تعالى : « كم لبثتم في الأرض عدد سنين » وقال : -

السالم بالحركات ، نحو : مضت السنين ، وهو قياس عند الفراء ومن تبعه ومنه قوله :
رب حي عَرَنَدَس ذي طلال لا يزالون خاربين القباب^(١)
وقوله : « وقد جاوزت حد الأربعين^(٢) . »

ونون جمع المذكر السالم مفتوح ، وفون المثني مكسور ، وبعضهم فتح ، قاله
الشيخان^(٣) ، نحو :

على أحوذيين استقلت عشية فما هي الا لحة وتغيب^(٤)
وجمع المؤنث السالم بالضم والجر ، وجوزوا نصبه بالفتحة^(٥) ، إلا هشامًا^(٦) ،

— « الذين جعلوا القرآن عضين » أي مفرقًا لأنهم فرقوا أقاربهم فيه فأمنوا
بما أحبوا منه وكفروا بالباقي فاحبط كفرهم إيمانهم . وقال : « عن اليمين وعن
الشمال عزين » أي جماعات في تفرقة واحدها عزه . (١) حي : قبيلة .
عَرَنَدَس : قوي شديد . الطلال : الحالة الحنة وفي قوله : لا يزالون : مراعاة
لمعنى الحي بعد مراعاة لفظه . القباب : جمع قبة ، وهي التي تتخذ من الآديم والخشب
واللبد ونحوها . (والمعنى) : كثير من الأقوياء الذين يستطيعون التناول في
البيان ، لا يزالون يسكنون الخيام ، (والشاهد) في خاربين ، حيث أثبت النون ،
ولم يحذفها للاضافة ، فلم أنه معرب بالحركات . (٢) مدره : « وماذا تبغني
الشراء مني » ، (والشاهد في (الأربعين) بكسر النون على أنها كسرة اعراب
(٣) إماما الكوفة بالنحو واللغة : أبو الحسن علي بن حمزة الكسائي أحد القراء
السبعة المتوفى سنة ١٨٩ هـ . وأبو زكريا يحيى بن زباد المعروف بالفراء المتوفى سنة ٢٠٧
(٤) هو الحميد بن ثور الصحابي الهلالي من أبيات يصف بها قطاة . (أحوذيين)
ثنية أحوذى ، وهو الخفيف في المشي ، والمراد بهما هنا القطاة ، والمعنى : طارت
هذه القطاة عشية على جناحين خفيفين ، فما مسافة رؤيتها والنظر إليها وقت الطيران
الا مقدار لحة ، ثم تغيب ثانيًا ، (والشاهد في أحوذيين حيث فتحت نون المثني
وذلك لغة . (٥) حذفت لامه أم لم تحذف . (٦) ابن معاوية ، أبو عبد الله —

فلا يجوز إلا فيما حُذفت لامه^(١) ، كقولهم : سمعت لغائبهم . وإذا كان جمع النسوة . الـم علماً يجوز فيه ثلاثة أوجه إعرابه كسائر جمع المؤنث ، وإعرابه كأعراب غير المجزئ^(٢) ، وإذا وقف عليه فبالهاء نحو : جاءت من أذرعة ؛ وإعرابه كسائر جمع المؤنث بلا تنوين ، كقولك :

تنورتها من أذرعات وأهلها يثرب أدنى دارها نظر عالي^(٣)

وأما المفرد والجمع المكسر فيعرب^(٤) بالحركات الثلاث إلا إذا كان غير مجزئ فيفتح في الكسر إلا ذو وغم وأب وأخ وحم ، فبالحرف^(٥) إذا أضيف إلى

- الكوفي ، (٢٠٩) نحوي ضرير من أهل الكوفة من كتبه « الحدود » و « المختصر » و « القياس » وكلها في النحو « الأعلام » .

(١) لما بيته المفرد حيث لم يجر على سنن الجموع في رد الأشياء إلى أصولها ، وجبراً لحذف لامه ، فإن ردت اللام في الجمع نصب بالكسرة اتفاقاً ، كسنوات وشفوات . (٢) الكلمة في الأصل (غير المنصرف) ولكنها مرمجة عليها ومعرض عنها بلفظ (غير المجزئ) وقد تكرر في الأصل هذا التغيير مراعاة لمصطلح الكوفي والمراد به : (غير المنصرف) . (٣) قاله امرؤ القيس ، والمعنى : نظرت إلى نار هذه المحبوبة بقلبي وأنا بالشام ، وهي بالمدينة ، مع أن الأقرب من دارها يحتاج إلى نظر عظيم لشدة بعدها عن بلدي (والشاهد) في أذرعات ، روي بالجر بالكسرة مع التنوين مراعاة لحال الجمعية ، وبالجر بالفتحة مراعاة للحالة الراحنة وهي العلمية ، وبالجر بدون تنوين مراعاة للعالتين . (٤) في الأصل : يعرب . (٥) ذهب الكوفيون إلى أن الأسماء الستة المعتلة وهي : أبوك ، وأخوك ، وحموك ، وهنوك ، وفوك ، وذو مال ، معربة من مكانين ؛ وذهب البصريون إلى أنها معربة من مكان واحد ، والواو والألف والياء هي حروف الإعراب . أما الكوفيون فاحتجوا بأن الحركات الثلاث تكون إعراباً لهذه الأسماء في حال الأفراد ، نحو قولك : هذا أب اخ . . . فإذا أضفتها بقيت الضمة والفتحة —

غير الياء ^(١) (. . . .) ^(٢) .

ويجوز قصر غير الأولين ^(٣) واعرابها بالحركات ، ومثلها « هن » ^(٤) « خلافاً للفراء في إعرابها لأنه ناقص .

غير المجري ما فيه عِلْتَان ^(٥) من العِلل المذكورة ، وهي الف التانيث ^(٦)

— والكسرة إعراباً لها ، (قالوا) وكذلك الواو والألف والياء بعد هذه الحركات تجري مجراها في كونها إعراباً بدليل أنها تتغير مثلها في حال الرفع والنصب والجزم فتقول : هذا أبوك ورأيت أباك ومررت بأبيك ، فالضمة والواو علامة للرفع ، والفتحة والألف علامة للنصب ، والكسرة والياء علامة للجزم ، فدل ذلك على أنها معربة من مكانين .

وتتمة المبحث في كتاب الإعراف ، (ص ٦ - ١٢) وفيه تفصيل المذاهب واللغات ، وذكر الخبيج والاستدلالات . واختصار مؤلف هذه الرسالة (رحمه الله) محل بالمقصود . (١) فإن كانت الإضافة للياء أعربت بالحركات المقدرة نحو : وأخي هارون . (٢) كلمة مبهمة لم نوفق إلى حلها . (٣) أي غير (ذو و) فأت فأت إعراب الأول منهما بالأحرف متعين ، والثاني بغير الميم متعين أيضاً . (٤) أي محذوف اللام ، وهو الواو ، فيعرب بالحركات . قال الأشموني : ولقلة الإتمام في (هن) أنكر الفراء جوازه ، وهو عجوج بحكاية العرب . ومن حفظ حجة على من لم يحفظ . (٥) أي فرعين من العِلل التسع ، إحداهما ترجع إلى اللفظ ، والثانية إلى المعنى ، وهما تؤثران باجتماعهما ، واستجماع شرائطهما فيه أثراً سيجي ذكره ، أو علة واحدة منهما تقوم مقامهما ، بأن تؤثر وحدها تأثيرهما ، وهذه العِلل مجموعة في هذين البيتين :

عدلٌ ووصفٌ وتأنيثٌ ومعرفةٌ وعجمةٌ ثم جمعٌ ثم تركيبٌ

والتون زائدة من قبلها الفٌ ووزن فعلٍ ، وهذا القول تقريبٌ

(٦) أي مقصورة كانت أو ممدودة ، ويمتنع صرف مصحوبها كيفما وقع ،

أي سواء وقع نكرة ذكرى وصحراء ، أم معرفة كرضوى (اسم جبل بالمدينة) —

قائمة مقام عتين^(١) .

والجمع قائم مقام عتين ؛ شرخه ان يكون على وزن فواعل او مفاعيل^(٢) وله في الأصل كخضاجر^(٣) ، او في التقدير كسراويل^(٤) .

— وز كريات ، أم مفرداً كـ تقدم ، أم جمعاً كـ جرحى وأصدقاء ، أم اسماً كـ تقدم ، أم صفة كـ كجلى وحمراء ، قال ابن مالك رحمه الله :

فألف التانيث مطلقاً منع حرف الذي حواه كينما وقع

(١) إنما استقلت بالمتع لأن في المؤنث بيها فرعية لفظية من جهة التانيث ، ومعنوية من جهة لزومها . (٢) وضابطه : كل جمع فتح أوله وكن ثالثة الفاء ، — ليست عوضاً — وبعدها حرفان ، او ثلاثة ، اوسطها ساكن ولم ينو بذلك الساكن وبما بعده الاتصال ، وبعدها ايضاً كسر اصلي ، ولو تقديرأ كدواب وعذارى ، فاذا كان الجمع بهذه الصفة استقل بالمتع لأن فيه فرعية اللفظ ، بخروجه عن صيغ الآحاد العربية لفظاً وحكماً ؛ وفرعية المعنى بدلالته على الجمعية . وإذا اتنى أحد الشروط المتقدمة صرف ، كـ مذافر (الجمل الشديد) لمضموم الاول ، وصلصال لما الفه غير ثالثة ، ويان وشآم لأن الألف عوض عن إحدى ياءي النسب ، فان اصلها يني وشامي ، حذفوا إحدى الياءين تخفيفاً وعوضوا عنها الألف ، ثم أعل إعلال قاض ، وتدارك لما ليس بعد الفه كسر ، وتدان وتوان لما الكسر فيه غير اصلي ، إذ اصله الضم وكسر لمناسبة الباء ، وطواعية وكراهية لتحريك وسط الثلاثة بعد الألف ، وظفاري ورياحي للساكن المتوي اتصاله لأن الياء فيها عارضة للنسب ، بخلاف قماري وبجاني وكراسي ، فان الياء في المفرد . وإلى الجمع المذكور اشار الناظم بقوله :

وكل جمع شبه مفاعلاً او المفاعيل لمنع كافلاً

(٣) اي ان صيغة مفاعل ومفاعيل لا تكون في العربية الا لجمع كخضاجر ، او منقول عنه كسراويل ، فليل انه اعجمي حمل على موازنه من العربي ، وقيل انه منقول ، اي ان سراويل كان جمع سرواله ، فنقل من الجمعية الى تسمية المفرد —

(المزيدتان) ^(١) تشترط العلمية في الاسم ، وانتفاء فعلانة في الصفة ^(٢) وقيل وجود فعلى ^(٣) ولم يشترط الفراء الزيادة ومنع سنان .
و «الوصف» الأصلي لا يعتبر مع العلمية نحو أحمر ^(٤) و «وزن الفعل» شرطه

— الجنسي به ، فمنع من الصرف لشبهه بالجمع في الصيغة المعتبرة وإن كان مفرداً (راجع شروح الألفية وحواشيها عند قوله :

ولسراويل بهذا الجمع شبه اقتضى عموم المنع)

(١) المزيدتان : هما الألف والتون ، وعلامة زيادتهما سقوطهما في بعض التصاريف ، كما في نسيان وكفران إذا رداً إلى نسي وكفر . (٢) أي يمنع الاسم من الصرف للصفة وزيادة الألف والتون ، بشرط أن لا يكون المؤنث في ذلك مختوماً جاء التأنيث نحو عطشان وغضبان ، لأنك تقول : امرأة عطشى وغضبي ، ولا تقول عطشانة ولا غضبانة ، فإن كان المؤنث على فعلانة صرف ، فتقول : رأيت رجلاً عطشاناً وامرأة سيفانة . (٣) مثاله : حيان - لكبير اللحية - لا مؤنث له ، فمن لم يشترط منع صرف (فعلان) إلا انتفاء (فعلانة) منعه من الصرف كما تقدم ، ومن اشترط وجود (فعلى) تحقيقاً ، صرفه ، والصحيح عند المؤلف الأول ، لأنه (رحمه الله) أورد الثاني بصيغة التضعيف «قيل» وقال الأشموني والصحيح منع صرفه وعلق عليه الصبان بقوله : هذا يخالف قول أبي حيان : إن الصحيح فيه صرفه لأننا جهلنا النقل فيه عن العرب ، والأصل في الاسم الصرف ، فوجب العمل به اهـ . قال الصبان : «فهذه المسألة مما تعارض فيها الأصل والغالب فتنبه» أي لأننا لو فرضنا له مؤنثاً لكان فعلى أولى به من فعلانة ، لأن باب فعلان فعلى ، أوضح من باب فعلانة ، والتقدير في حكم الوجود . (راجع الأشموني والصبان ج ٣ ص ١٥١) . (٤) أحمر ممنوع من الصرف للوصف الأصلي بوزن الفعل ، لأن هذا الوزن أصل في الفعل وهو به أولى ، لأن أوله زيادة تدل على معنى في الفعل دون الاسم ، وما كانت زيادته لمعنى أصل لغيره .

أن يخصه ^(١) ، أو في أوله زيادة الفعل غير قابل للتاء نحو أحمد ^(٢) .
و «العدل» ومنه وزن مثني وثلاث ^(٣) .
و «العجمة» شرطها أن تكون علماً في الأصل زائداً على ثلاثة أحرف
أو متحرك الوسط ^(٤) .

و «التأنيث» لفظي ومعنوي بشرط العلمية ، وشرطُ تحتم تأنيده في المعنوي
العجمة ^(٥) ، أو زيادته على ثلاثة أحرف خلافاً لابن الأنباري ^(٦) أو متحرك
الوسط ، أو أن يكون اسم بلدة عند الفراء ، أو أن يكون مؤنثاً في الأصل

(١) نحو أحيمر وأفضل من المصغر ، فإنه لا ينصرف ، مع أنه ليس على
وزن أفعل ، لكنه على وزن متأصل في الفعل كأبيطر مضارع يطر - إذا عالج
الدواب - ، ولهذا قيل إن الأولى تعليق المنع على وزن الفعل الذي هو به أولى
لا على وزن أفعل . (٢) أحمد كأحمر في كون الزيادة في أوله تدل على
معنى في الفعل دون الاسم . (٣) على وزن مفعول وفعل ، وهو إلى الأربعة
بالاتفاق نحو قوله تعالى : « أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع » وفي الباقي على
الأصح ، وهي معدولة من الفاظ العدد الأصول مكررة ، فأصل جاء القوم
أحاد جاءوا واحداً واحداً ، وكذا الباقي ، فعدل عن هذا المكرر إلى أحاد
اختصاراً وتخفيفاً (راجع تنمة البحث في منار السالك إلى أوضح المسالك ج ٢
ص ٢٦٢) . (٤) المراد بالأعجمي ماعدا العربي ، قال ابن مالك رحمه الله :

والعجمي الوضع والتعريف مع زبدٍ على الثلاث صرفه امتنع

(٥) العجمة لا تستقل بالمنع في مثل ماء وجور من الثلاثي (اسما بلدتين)
ولكن انضمامها إلى العلمية والتأنيث يحتم المنع بهما ، فهي مقوية للتأنيث لا غير .
(٦) هو محمد بن القاسم بن محمد بن بشار الأنباري ، من أعلم أهل زمانه بالأدب
واللغة ، ومن أكثر الناس حفظاً للشعر والأخبار ، توفي سنة ٣٢٨ هـ .

سمي به مذكر عنده ، وطلب ^(١) .

و « المعرفة » بشرط العلمية ، والتركيب بلا نسبة ^(٢) بشرط العلمية ، او اذا نكرة ^(٣) ما فيه علمية مؤثرة اجري له اذا سمي بالوصف الأصلي . او اذا نكرة ^(٤) الوصف الأصلي المسمى به فالمتعمد انه يجري ايضاً إلا اذا كان اعتبار الوصفية من وجه كأحمر اذا سمي به رجل أحمر ^(٥) . قاله الفراء وابن الأنباري . ويقاس عليه سكران اذا سمي به رجل مدمن ، وقد يجري غير المجري للضرورة ^(٦) ، او للتناسب ^(٧) ، إلا اسم التفضيل الذي بعده « من » ^(٨) والمجري

(١) ابو العباس احمد بن يحيى بن زيد بن سيار الشيباني ، إمام الكوفيين في النحو واللغة ، كان راوية للشعر ، مشهوراً بالحفظ وصدق اللمحة ، ثقة حجة ، ولد ومات في بغداد (٢٠٠ - ٢٩١ هـ) . (٢) المراد بالتركيب بلا نسبة هو تركيب المزج بأن يجعل الاسمان اسماً واحداً ، لا بإضافة ولا بإسناد ، بل ينزل عجزه من الصدر منزلة تاء التانيث . (٣) كذا بخط المؤلف ولعله : وإذا نكر ما فيه علمية الخ ... وإذا نكر الوصف الخ ... (٤) قال الأشموني : « .. والثالث إن سمي بأحمر ، رجل أحمر ، لم ينصرف بعد التنكير ، وان سمي به أسود او نحوه انصرف ، وهو مذهب الفراء وابن الأنباري » وانظر هذا البحث في الأشموني والصبان عند قول ابن مالك رحمه الله :

(... واصرفن ما نكرا من كل ما التعريف فيه أثرا)

ص ١٧٨ ج ٣ (٥) كقول امرئ القيس : « ويوم دخلت الخدر ، خدر عنيذة » وعنيذة ابنة عمه وهنا الشاهد ، لأنه صرف للضرورة ، مع أنه يمنع من الصرف للعلمية والتانيث . (٦) كقراءة نافع والكسائي : « سلاسل وقوارير » . (٧) قالوا لأن حذف تنوينه لأجل (من) فلا يجمع بينهما ، ومذهب البصريين جوازه لأن المانع له إنما هو الوزن والوصف كأحمر لا (من) ، بدليل صرف : (خير منه وشر منه) لزال الوزن .

قد لا يجري اضطراراً " واختياراً هو اختبار ثعلب . والمنقوص نحو جوار
ليس تنوينه للاجراء وقد يجري المنقوص مجرى الصحيح نحو قاضي اذا سمي
به مؤنث .

(يتبع)

محمد بهجة اليطار

مكتبة

(١) قال الأشموني : واجاز ذلك الكوفيون 'والأخفش والفارسي' ، وأباه
سائر البصريين والصحيح الجواز ، واختاره الناظم لثبوت سماعه ، (وذكر
شواهد له) وإلى ما تقدم أشار ابن مالك بقوله :
ولا اضطرار أو تناسب صرف ذو المنع ، والمصروف قد لا ينصرف .

البلاغة بين اللفظ والمعنى

« من عصر الجاحظ الى عصر ابن خلدون »

اختلف القدماء في تعريف البلاغة وتحديد مفهومها . ذلك لأنها في حقيقتها ليست إلا الجمال في الكلام ، أو كما قال أحد الباحثين في البلاغة قديماً : « هي أداء كنه ما في نفس المتكلم الى السامع بأجمل عبارة » ، والجمال بقره بوجوده دائماً ويختلف في تعريفه وتحديد درجته وفي وضع القواعد له ؛ وكان عنصرها الرئيسيان عندم اللفظ الفصح والمعنى الشريف ، وكان بعضهم يرجع جانب المعنى كما كان بعضهم يرجع جانب اللفظ ، على ان هذا الاختلاف كثيراً ما كان ظاهرياً شكلياً فقط ، وكثيراً ما كانوا متفقين في فهم وتذوق الكلام البليغ والحكم عليه ؛ وإنما كان يرجع الاختلاف في مثل هذه الحالات الى ان بعضهم كان يدخل في عنصر اللفظ ، ما يجعله بعضهم تابعاً في حقيقته الى المعنى . فالوسائل البلاغية التي تدخل في تحسين نظم الكلام بعدما الجاحظ وغيره اموراً لفظية ، وبأبي عبد القاهر الجرجاني إلا ان تكون اموراً معنوية . وليس هنا مكان التفصيل في هذا ، وسيأتي في مناسبه ، واكتفي الآن منه بالاشارة . وقد يكون هذا الاختلاف اكثر اصالة واعمق عند آخرين ، فيرى بعضهم ان الشأن كله في البلاغة للمعنى الكريم الجميل ، من حكمة وغيرها ، بينما يرى بعضهم الآخر ان الشأن كله للفظ فيولونه العناية ولا يكون المعنى عندم إلا تبعاً له ، ونرى غير اولئك وهؤلاء قوماً يرون ان البلاغة لا تتحقق إلا بكمال العنصرين اللفظ والمعنى ، وان الذي يوفق بينهما هو حسن السبك وجودة النظم .

وكل تعريف من التعاريف التي اوردوها - وسنراها عند الكلام على كل من المؤلفين الذين سيتناولهم البحث - بل كلها مجتمعة لا تنفي في بيان ما يقصده من

لفظ البلاغة وما تفهمه منه الآن ، باعتبار انها جمال الأداء في الكلام الأدبي من شعر وثر . والتعريف الشائع في كتب البلاغة المتداولة بين ايدينا الآن ، وهو ان البلاغة موافقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته ، تعريف ناقص لا يفي بالغرض ؛ فهو غير جامع ولا مانع وليس إلا وصفاً واحداً من جملة اوصاف يجب ان تتوفر لتكوين عناصر الكلام البليغ - باعتباره مرادفاً للجميل - وهذا التعريف يمكن ان يدخل في الأدب ما ليس منه ، فالتص العلمي القصيح الكلمات الموافق لمقتضى الحال باعتبار انه يقال في مناسبة علمية ، كالتصوص التي تتحدث عن شرح نظريات الطبيعة والكيمياء ، ليست نصوصاً ادبية ، ولم تتوفر فيها عناصر البلاغة ، يرغم انها فصيحة وافقت مقتضى الحال ، وجملة آيات من القرآن الكريم او قصة مترجمة لتولستوي او قصيدة للجيتري ، توصف بالبلاغة ، ولكن موافقة مقتضى الحال والفصاحة ليسا كل ما فيها ، بل فيها عناصر اخرى ربما كانت اهم منها ولم يشر اليها هذا التعريف في كثير ولا قليل ، وربما كانت هذا التعريف « البلاغة هي اداء كنه ما في نفس المتكلم الى السامع بأجل عبارة » خيراً منه ، واكثر دلالة على المراد بلفظ البلاغة .

ونحن الآن ، وبعد ان مضت على هؤلاء المؤلفين الذين ندرسهم قرون عديدة نفع خلالها الفكر وتطور وتقدم كثيراً ، وبعد ان اتصلنا بآفاق جديدة اطلعتنا على ألوان من الآداب الغربية والشرقية لم يكونوا يعرفونها ، كفن القصة وفن الأدب التشيلي ؛ لم نعد نكتفي بمفهومهم للبلاغة ولا تقتنع بتعريفهم ، بل اتسع مفهومنا عن البلاغة او فن القول الجميل ، وأصبحنا ندرك منها عناصر بارزة تفصل الكلام فيها ، وكانوا هم إما بين مكتف بالاشارة اليها باختصار ، أو مهمل لها تماماً ، وذلك كعنصري العاطفة والخيال .

والواقع أننا الآن لا نعد القطعة الادبية قد استوفت جمالها إلا إذا حوت عناصر اربعة هي الفكرة والعاطفة والخيال والأسلوب وكانت فيها هذه العناصر

قوية متناسبة وننظر الى هذه القطعة - صفرت أو كبرت - على أنها صورة لتجربة نفسية للأديب ترجع في كل الأحوال الى تفاعل نفس الأديب مع الطبيعة التي لا تفارقه ، ونرى أن هذا الأديب تزداد بلاخته كلما ازدادت قدرته على نقل هذه التجربة انخاصة به الينا بحيث يجعلنا نعيش نفس تلك اللحظة التي عاشها ونشعر بنفس التجربة ، وعلى هذا فهو مضطرب ، في اظهار الفكرة التي عصفت بـ عقله والعاطفة التي حركت شعوره فألمب فيضها خياله الى ان يجمع من مرئياته الماضية المختزنة في ذاكرته ولاشعوره صوراً واضحة متصلة تساعد على ابراز كل المشاهد المادية والحالات المعنوية بأمانة ، وانما يبرزها مستعيناً بالأسلوب انخاص به ، والذي هو قطعة من نفسه ، بل هو صورة عنها ، واضح بوضوحها ، مرتبك بارتباكها ، مظلم بإظلامها ، راقص بطربها ، باكٍ بغمها وكدرها . ومن هنا كان لكل أديب أسلوب غير أسلوب الآخر ، والفاظ خاصة به غير الفاظ الآخر ، وكانت الافات بصورة خاصة صورة لمزاج الأديب ، نغمة اذا كان كبير النفس او متكبراً متعظماً ، سهلة اذا كان دمث الأخلاق ، موسيقية اذا كان مرحاً نشيطاً يرى الدنيا له ضاحكة ، وانما يشرق ضحكها من نفسه .

والفكرة في البلاغة العربية والنقد الأدبي العربي لم ينظر اليها على أنها تنتظم الموضوع من أوله الى آخره ، لأن القصيدة العربية نفسها لم يكن لها فكرة عامة ، وسور القرآن الكريم كلها - الا بعض سور منه فقط - لم تكن تدور حول فكرة واحدة عامة تنتظمها ، وانما كانت القصيدة مجموعة افكار ، قد تكون متباينة وقد تكون غير مترابطة ، جمع بعضها الى جانب بعض وكان لهذا كل بيت مستقلاً بفكرة بل كثيراً ما يشتمل البيت على معنيين ويعتبر لذلك أبلغ ، وكذلك الأمر اذا كثرت فيه التشبيهات ولم يحتاج معناه الى ان يكمل في البيت الثاني وذلك لأن العقل العربي يتنازع بالتعبير عن فكرته باليجاز ، ويميل الى ذلك ، ويكره الاسهاب .

والعاطفة لم يفردها البلاغيون في البحث ولم يجعلوها ضمن أبحاثهم ، كما أن النقاد لم يوفوها حقها ، والشاعر العربي في التعبير عن عاطفته مثله في التعبير عن فكرته ميل الى الایجاز وعدم اللف والدوران ، والخيال الخالق الواسع مفقود عند العرب الأقدمين ، ولم يعرفوا الا خيالات التصويري القريب المتناول الذي يقتصر على التشبيه والاستعارة وقد سماه بعض من تكلموا في البلاغة بصور تأدية المعنى - كعبد القاهر - أو بالتصوير - كالجاحظ -

والأسلوب عبر عنه العرب بالنظم تارة أو بالسبك أو بالتأليف أحياناً أخرى وجعلوه قائماً على علم النحو وعلم المعاني بما فيه من تقديم وتأخير وإيجاز وإطناب وفصل ووصل كما جعلوه متصلاً بعلمي البيان والبديع . وجعلوا وظيفته تأدية المعاني بترتيب الألفاظ ترتيباً مخصوصاً مراعى فيه قواعد علم النحو بمعناه الواسع ، كما فهمه عبد القاهر الجرجاني - وصنرى ذلك - وجعلوا للألفاظ وظيفة مزدوجة : من حيث نطقها مفردة ، وتلاؤمها بمنجمة وموسيقاها - وهذا ما عبروا عنه بالفصاحة - ومن حيث حسن وضعها في مواضعها لتدل على المعاني ، وقالوا ما معناه ان أسلوب الكلام يجب ان يختلف باختلاف المقام ، وكان قسم كبير منهم يقول ان البلاغة الإيجاز ، وذلك لفكرهم الإيجازي كما قدمت .

فلا بد اذن حين مقارنة تعاريفهم للبلاغة وعلاقتها باللفظ والمعنى بما نقيمه نحن الآن من لفظ « البلاغة » من مراعاة طبيعة الأدب العربي نفسه الذي يتطلب وضع قواعد بلاغية خاصة ثلاثه ، ولا يمكن ان تنطبق عليه قواعد البلاغة والنقد الحديثة انطباقاً تاماً او واسماً ، لاقراده عن الآداب الأخرى بصفات مميزة فارقة ، والا وقعنا في الخطأ ، وكل ما يجب ان نعمله هو أن نستأنس بقواعدنا الحديثة استئناساً بكل ما كان في امكان العرب ان يكملوه في تعاريفهم البلاغية ، ولا نجور فتكلف قوماً بما لم يكن مستطاعاً في زمانهم .

وكانت تدور الحركة بين فريقين منهم - ولا سيما بين عبد القاهر وخصومه -

حول نظم الكلام، هل يراعى فيه ترتيب المعاني في النفس فتكون المعاني التحويلة - وبالتالي الألفاظ - خدماً لتأديتها وصوراً لترتيبها في النفس، أم تراعى فيه الألفاظ باعتبار تلاؤمها في النطق وفي الموسيقى، وسنرى كيف يشن عبد القاهر لذلك حرباً شعواء على خصومه. وبلاحظ أن المؤلفين قد اختلفوا في مدلولات اللفظ الفصاحة والبلاغة والبيان، وكثيراً ما كان أحدهم يقصد بأحدها ما يقصد غيره بالأخرى مما سيبين في حينه كما يلاحظ أن مما يقلق الباحث عدم تنظيم هذه الأبحاث وغيرها في كتب هؤلاء المؤلفين، وكثير منهم يكررون الحديث فيها أكثر من مرة، ويضطربون فيها، فينقضون ثانياً ما افروه أولاً، وكثيراً ما يأخذ أحدهم عن الآخر شيئاً دون أن يعمل فكره فيما يأخذ فيأتي بعد صفحات بتقيضه بعد أن كان قد حذره - كأبي هلال العسكري مثلاً - وأظن أن العامل في هذا الاضطراب هو اختلاف الامثلة البليغة التي تعرض لهم، من حيث تناسب عناصر البلاغة فيها كثرة وقلة، فقد تغلب فيها عناصر اللفظ او عناصر المعنى او العاطفة. وهذا يتطلب مرونة في قواعد البلاغة، ولما كان أكثر هؤلاء المؤلفين يوردون اقوال من سبقهم فيعرضون لها بالنقد او الموافقة، او يتركونها بدون تعليق، ويذكرون في ثنايا ذلك او بعده او قبله آراءهم الخاصة دون أن يتبعوا في ذلك نظاماً، آثرت في دراسة رأي المؤلف أن أذكر الآراء التي ذكرها لغيره، وما اخذ منها وما علق به عليها، ثم رأيه صريحاً - اذا ذكره -، وردّه على من يخالفه بعد ذكر نظرية المخالف، ثم اورد تقدي رأيه. وابدأ بالجاحظ.

* * *

الجاحظ

توفي عمرو بن بحر الجاحظ في سنة ٢٥٥ هـ وهو أسبق المؤلفين الذين سندرس هذا البحث في كتبهم زمننا، وكتابه البيان والتبيين فيما وصل إلينا، هو الكتاب الأول الذي يتناول ما يتصل بعلم البلاغة من الأبحاث في اللغة العربية، وليس

هو الوحيد بين كتب الجاحظ التي يتناول فيه مثل هذه الأبحاث فقد تناوله أيضاً في كتابه الحيوان الذي أورد فيه خلاصة رأيه في البلاغة . وسبق هذا الكتاب عهداً يطلعنا على الأفكار الأولى التي قبلت في هذا الموضوع والتي هي مستمدة من واقع الحال والبيئة ومفهوم أهل ذلك العصر عن روح البلاغة فهو بصور اذن مرحلة من مراحل تطور مفهومها الذي لا شك في أنه اختلف وسيتختلف باختلاف الزمان والبيئة . ذلك لأن نظرة الناس للجمال سواء المادي منه والمعنوي ليست ثابتة . فعصر يرى ادبائه أن جمال الكلام في الایجاز ، وعصر تكون البلاغة فيه في الاطناب وقوم يفضلون جانب المعنى وآخرون يؤخذون بجمال اللفظ ، وقد يكون رأي الأديب في البلاغة رد فعل قوي لفكرة في البلاغة سائدة في عصره قد وصلت الى حد المبالغة ، وخشي منها على الذوق الفني والجمال الأدبي ، فيناصر الفكرة الماكسة بغيريته . وذلك يؤدي الى حفظ التوازن نوعاً ما في الأذواق العامة .

على أن كتاب الجاحظ إذا كان له ميزة التقدم فبنيته الاستطراد وعدم التنظيم ، فهو يأخذ في الفكرة ويميد ، ويتكلم عنها في عدة أماكن ، ويفصل بين فصولها والأحاديث عنها بأحاديث غريبة لا صلة لها بها ، ويتعب الباحث في تتبعه ودراسة فكرة معينة عنده ، وهذا شأن الجاحظ في كل كتبه وفي كل الابحاث التي يتناولها فيها ، وذلك راجع الى أنه كان كدائرة معارف ثقافية وأدبية في عهده ، فيها كثير من التفكير كما فيها جانب عظيم من الفوضى وعدم التجريد والتحديد والتنظيم والى أنه كان يعمد الى خلط الجيد بالزل ، ولهذا لا نراه في كتابه يأخذ فكرة معينة فيشبعها بحثاً وينتهي منها ثم ينتقل الى غيرها وإنما يستطرد خلال الحديث عنها الى غيرها في أحاديث طويلة تنسي القاري ما كان فيه أولاً وما هو بعدد تمحيصه ودرسه . وكان عصر الجاحظ عصر ازدهار علم الكلام والخطابة العباسية كما كان عصر ازدهار الكتابة في قصور الخلفاء وكان

الجاحظ شديد الاتصال بهذا الوسط ، ولهذا نراه يتحدث عن آراء هؤلاء المتكلمين والخطباء والكتاب في البلاغة المتعلقة بالخطابة والكتابة أكثر مما يتحدث عن البلاغة في الشعر . والمقاييس البلاغية وإن كانت في الجانبين متقاربة إلا أن كثرة حديثه في جانب الكتابة والخطابة له صلة بحياته العقلية والنية متكماً و كاتباً . ولهذا نراه يمدح المتكلمين من الكتاب كثيراً ويرى أن طريقةتهم في الكتابة هي المثلى .

ولما كان كتاب الجاحظ فاتحة لغيره من الكتب في الحديث عن البلاغة فإننا نرى أن المصطلحات المستعملة في هذا الفن لم تكن قد حددت مفاهيمها بعد بدقة ، ولذلك نرى أن الجاحظ يستعمل كثيراً ألفاظ البلاغة والفصاحة والبيان كمرادفات تدل على معنى واحد بينما نراها في العصور المتأخرة قد تمايزت مدلولاتها ولم يعد من داع لأن يلبس معنى أحدها بمعنى الآخر فكثيراً ما يستعمل الجاحظ الفصاحة بمعنى البلاغة . والمثال على عدم استقرار هذه المعاني الاصطلاحية عنده استعماله المتعددة لكلمة يان في كتابه اليان والتبيين^(١) ففي ص ٨ و ص ٤٠ و ص ٤٣ من الجزء الأول يستعمل كلمة يان في مقابل كلمة العبي وبمعنى سلامة النطق وحسن تأدية الحروف وفي ص ٩ و ص ٤٣ من نفس الجزء يستعملها بمعنى الفهم والافهام وفي المعنى الذي استعملها فيه القرآن من إظهار الضمير والتعبير عن النفس في قوله : « خاتى الانسان علمه اليان » . وفي ص ٥٩ من الجزء الأول يستعمل الكلمة بمعنى البلاغة حينما يورد إجابة جعفر بن يحيى لمن يسأله ما اليان يجواب بنطيق على ما يراد بالبلاغة ، ويؤيد الجاحظ هذا المراد بإيراده أن جواب جعفر منطيق على قول الأصمعي في البلاغة . وفضلاً عن هذا فأننا لا نراه يتحدث عن كل ما تبحث فيه كتب البلاغة المتأخرة من تشبيه واستعارة وجناس وحشو أو يعقد لها فصولاً خاصة وذلك لأن هذه الأبحاث

(١) ملاحظة : أشرت إلى أمكنة وأزمته طبع الكتب التي استقيت منها في نهاية البحث عند ذكرى المراجع ولهذا لن أذكرها مع المراجع في خلال البحث .

لم تكن قد نضجت بعد ، ثم لأن غرضه من كتابه لم يكن يستهدف شرح مثل هذا ، وإنما هو مجرد عرض لآراء وأفكار أدبية سريعة في بداية مراحلها ينقصها العمق والتوجيه . وأكثر ما نراه يولع به في كتابه ويوليهِ العناية هو الحديث في فصاحة الألفاظ ، وكيف يجب أن تخلو من التعقيد والتنافر وعدم الألفة والغرابية والسوقية ثم الاكثار من مدح الإيجاز والوضوح ومراعاة المقام في الكلام وإعطاء كل موضوع ما يلائمه من الألفاظ . وقبل التعرض لرأي الجاحظ نفسه في البلاغة بين اللفظ والمعنى يحسن إيراد ما ذكره هو من أقوال الناس قبله في البلاغة وفي اللفظ والمعنى بصورة خاصة ، وذلك بأكثر ما يمكن من الاختصار ، لبستأنس بها ويتبين مدى تأثره بعصره وبما حفظه ورثاه سواء أكان هذا التأثير إيجابياً أم سلبياً .

ذكر الجاحظ في (ص ٢٦ ج ١) من البيان والتبيين رأي معاصره أبي داود ابن جرير في الخطابة المستحسنة وخلاصته أن تلخيص المعاني رفق وأن الواجب ترك الغريب وإن بهاء الخطابة تخير اللفظ .

وذكر في (ص ٤٩ ج ١) قولاً لابراهيم بن محمد في البلاغة بتلخيص في أنها حسن التأدية بحيث لا يفهم السامع من سوء إلهام الناطق ولا الناطق من سوء فهم السامع .

وأورد للبلاغة أربعة تعاريف لأربعة رجال من أمم مختلفة ، لثقافتها اتصال وثيق بالثقافة العربية حينئذ ، وهي الفرس واليونان والروم والمند (ص ٤٩ ج ١ من البيان والتبيين) فقال : « قيل للفارسي ما البلاغة ؟ قال معرفة الفصل من الوصل ، وقيل لليوناني ما البلاغة ؟ قال تصحيح الأقسام واختيار الكلام وقيل للرومي ما البلاغة ؟ قال حسن الاقتضاب عند البداهة والفزارة يوم الاطالة ، وقيل للهندي ما البلاغة ؟ فقال وضوح الدلالة وانتهاز الفرصة وحسن الإشارة » - ثم قال وقال بعض أهل المند : « جماع البلاغة البصر بالحجة والمعرفة بموضع الفرصة » ثم قال

- أي بعض أهل الهند - : ومن البصر بالحجة والمعرفة بمواضع الفرصة أن تدع الإفصاح بها إلى الكناية عنها إذا كان الإفصاح أوعر طريقة وربما كان الاضراب عنها صفحاً أبلغ في الدرك وأحق بالظفر .

ويذكر (ص ٥٢ ج ١ البيان والتبيين) الصحيفة الهندية التي دفعها ابن الأَشت للترجمة ليرجموها إلى العربية وفيها صفات الخطيب الحسن وتتلخص في أن يكون حائزاً على الصفات الشخصية من نفسية وجسمية التي تعينه على الخطابة والتأثير في الناس وأن يكون متخير اللفظ بلائم بين المقام والمقال ، لا يدقق المعاني كل التدقيق ولا ينقح الألفاظ كل التنقيح إلا حين الكلام مع الفلاسفة ، وأن يحسن لفظه تأدية معناه ، ويكون كلامه حسن الارتباط خالياً من التناقض ، ولفظه موفقاً وأن يفهم كل قوم بقدر طاقتهم .

ويذكر رأى إبراهيم بن هاني (ص ٥٢ ج ١ : البيان والتبيين) في اللفظ والمعنى ومؤداه أنه ليس من لفظ يسقط أبداً ولا من معنى يبور أبداً حتى لا يصلح لمكان من الأماكن .

ونرى في (ص ٥٤ ج ١ من نفس المرجع) أعرابياً يعرف البلاغة بأنها الإيجاز في غير عجز ، والاطناب في غير خطل .

ويصف ثمامة بن أشرس جعفر بن يحيى بالبلاغة (ص ٥٨ ج ١) فيقول إنه لا يرتقب لفظاً قد استدعاه من بعده ، ولا يلتمس التخلص من معنى قد استعصى عليه طلبه .

ويصف جعفر بن يحيى البيان (ص ٥٨ ج ١) بما معناه أنه كمال التأدية مع الوضوح ، وعدم التكلف والتعمق الكثير ، والاستغناء عن التأويل ، ويعلق على ذلك الجاحظ بأنه هو معنى نفس قول الأصمعي : « البليغ من طبق المفصل وأغناك عن المفسر » ثم نرى ثمامة في نفس الصفحة يمدح كلام أم جعفر بأنه بالنسبة إلى كلام ابنها « أجود اختصاراً وأجمع للمعاني » فلا يخرج كلامه عن معنى الإيجاز الذي

نرى ثامة بعد ذلك في ص ٦٣ ينصح الأدباء ان يأخذوا به قائلاً : « ان استطعتم ان يكون كلامكم كله مثل التوقيع فافعلوا » -

ويسأل رجل عمرو بن عبيد عن البلاغة (ص ٦١ ج ١ البيان والتبيين) فيعرفها أخيراً - بعد ان يجيب عنها متجاهلاً بعدة اجوبة لا تتعلق بمبراد السائل ولا بمعناها المتداول متبعاً في ذلك اسلوب الحكيم - بأنها تحبير اللفظ في حسن الافهام - ومما ذكره في صفتها قوله : « وتزيين تلك المعاني في قلوب المرئيين بالألفاظ المتحسنة في الآذان ، المتقبولة عند الأذهان ، وينصح بان لا يطول الكلام لأن طوله يدعو الى التكلف -

وفي ص ٦٣ من نفس الجزء يذكر قول بعضهم ، ومعناه ان الكلام البليغ يتصف بحسن التعبير وبالوضوح وهو : « لا يكون الكلام يستحق اسم البلاغة حتى يسابق معناه لفظه ولفظه معناه فلا يكون لفظه الى سمعك أمبق من معناه الى قبلك » - واورد الجاحظ ان ابن المقفع مثل عن البلاغة فقال - (ص ٦٤ ج ١ البيان والتبيين) : انها اسم جامع لمعان تجري في وجوه كثيرة وأن الايجاز هو البلاغة - الا في مواقف الخطبة بين السامعين واصلاح ذات البين فالاطالة بغير خطر ولا املال - وان البلاغة ايضاً في دلالة صدر الكلام على حاجة التكلم وفي اعطاء كل مقام حقه - واورد كلام بشر بن المعتمر فيما يجب ان يتوفر في الكلام ليكون بليغاً (ص ٦٥ ج ١ البيان والتبيين) ومؤداه ان الكلام يجب ان يسلم من التوغر والتعقيد الذي يستهلك المعاني ويشين الألفاظ وان حق المعنى الشريف ، اللفظ الشريف وان يكون اللفظ رقيقاً عذباً ونحماً سهلاً والمعنى ظاهراً مكشوفاً وقريباً معروفاً وان مدار شرف المعنى على الصواب فلا يرفعه انه من كلام الخاصة ولا يضيعه انه من كلام العامة ، وان يوافق المقال وان تبلغ من بيان لسانك وبلاغة قلمك ان تفهم العامة معاني الخاصة وتكسوها الألفاظ التي تفهمها العامة ولا يحتقرها الأكفاء ، وان تضع كل كلمة في موضعها دون اكراه لها -

ويقول إن البليغ إنما يرزق ذلك موهبة لأن الشيء يحن إلى ما يشا كله ، ويجب عليه أن يوازن بين أقدار المعاني وأقدار المستمعين وأن يجعل لكل مقام مقالاً .
وذكر ما عابه الأصمعي على شعر الخطيئة (ص ١١٥ ج ١ اليان والنبين)
من الصنعة وتفضيله شعر التابغة الجعدي لأنه طبعي خال من الصنعة فيه قرط
بآلاف وخمار يوافٍ - على حد تعبير الأصمعي - ، ثم عاد إلى ذكر رأي الأصمعي
هذا مرة ثانية (في الجزء الثاني من البيان والتبيين ص ٦) وعلق عليه بأنه يخالف
رأي الرواة والشعراء .

وأورد (في ص ١٤١ ج ١ من نفس المرجع) قول بعض الربانيين في بعض مواعظه
محذراً من تأثير الكلام البليغ في إضلال الناس وقد جاء في جملة : « والمعاني
إذا البست الألفاظ الكريمة ، وألبست الأوصاف الرفيعة ، تحولت في العيون
عن مقادير صورها ، وأربت على حقائق أقدارها ، وصارت الألفاظ بمعنى المعارض ،
وصارت المعاني في معنى الجواري » .

وقد أورد الجاحظ كل هذه الأقوال السابقة التي اختصرتها من دون أن
ينقدها أو يعلق عليها ، ولم يذهب إلى إنكار أي قول منها ، أو الانتقاص منه
فكانه يوافق على ما تضمنته .

وإذا تأملنا ما ورد في تعاريف وأوصاف البلاغة السابقة نجد أنها متعارفة مبهمة عامة
لا يتبين العناصر التي إذا توفرت في الكلام كان بليغاً ، وأما وصف ناحية أو نواح
من البلاغة تنطبق على كلام دون كلام ، أو تعريف لها من حيث غرضها وفائدتها
أو وصف عمل من جملة أعمال إذا قام بها البليغ في نظم كلامه استطاع أن
يجعله بليغاً . ولم يحسم أي واحد منهم حول ما ندركه نحن من مفهومها الآن وهو
أنها الجمال في القول وأن علم البلاغة هو درس فن القول وبيان مواطن الجمال فيه ،
والأسباب والوسائل التي تساعد على إيجاده ، كما أن كل هذه الأقوال لم تعرض
إلى جوهر النظرية التي نحن في صدد دراستها الآن . فلم تبين فيما إذا كان
موضع الجمال في الكلام هو الألفاظ على حدة أو المعاني على حدة أو كلاهما معاً .

صحيح أن بعضها امتدح جمال الألفاظ وخلوها من التنافر ، ووضح المعاني وسلامتها من التعقيد ، وحسن السبك وجودة تأديته للمعنى ، ولكنها على كل حال لم تبين قيمة أحد الطرفين بالنسبة إلى الآخر وتناولت الكلام عنها باختصار وإيجاز . فمن المسلم به أن للكلام عنصرين في جملة عناصره هما اللفظ والمعنى وأنهما إذا حسنا فيه حسن ولكن هذه المادة التي هي المعنى والتي يعبر عنها بالألفاظ المنظومة وفق ترتيب معين بدونه لا يكون الكلام دالاً ولا جميلاً ، لم تناقش قيمتها بالنسبة إلى الصورة التي ظهرت فيها ، ولم يبين فيما إذا كان الجمال في سبك الكلام راجعاً إلى ترتيب المعاني في النفس ، أم إلى توالي الألفاظ في الجرس كما لم يبين فيما إذا كان ترتيب الألفاظ تابعاً لترتيب المعاني الجزئية التي تنتظم المعنى الكلي أم تابعاً لمراعاة انسجام هذه الألفاظ بعضها مع بعض مع قطع النظر عن معانيها . وهذا هو أساس نظرية عبد القاهر التي دعنا إلى معالجة هذا الموضوع .

هذه الأحكام المبهمة الساذجة في وصف الكلام البليغ وتحديد معنى البلاغة بصورة تقريبية كانت مبنية على الذوق الأدبي الصرف السريع ، ولم تكن مبنية على دراسة علمية محصية ! وربما كانت لهذا خيراً من دراسات المتأخرين التي جمدت البلاغة في قواعد ميتة نظرية ، تعب الدهن في دراستها وحفظها ، بدون أن تساعد على تذوق الأدب أو انشائه بل ربما كانت شراً على من يأخذ نفسه بها إذا لم يكن ممن يمتعون أنفسهم بدراسات نصوص كثيرة من الأدب الرفيع . وإذا أردنا أن نرسم صورة عامة للبلاغة من مجموع هذه النصوص ، وهي الصورة التي يظهر أن الجاحظ قد ارتضاها لأنه أوردها كما قلنا دون أن ينكرها ، قلنا أن البلاغة معنى شريف يتلاءم مع لفظ شريف جميل بحيث يكون معناها كلام خال من التعقيد والتوعر والتنافر ، مناسب لمقتضى الحال من حيث الإيجاز والاطناب واختيار الألفاظ والمقام ، واضح الغرض جميل الصور والأسلوب خال من الألفاظ السوقية والغريبة والمعاني المبتذلة قريب من النهم بعيد من التكلف خال من التناقض وضعت اللفظة فيه موضعها وكانت لصقاً وطبقاً للمعنى الذي وضعت له .

وإذا قسنا هذه الصورة التي رسمناها واستخرجناها من جميع ما ذكره الجاحظ من أقوال سابقه في البلاغة بما نعرفه الآن من عناصر الجمال في القول ، وجدناها تنقد عنصرين هامين هما عنصر العاطفة التي لم يثيروا اليها من قريب ولا بعيد ، وعنصر الخيال بنوعيه التأليني والتصويري القائم على التشبيه والذي أشار إليه بعضهم في قوله « وان يتوفر في الكلام حسن الصورة » - إذا كان يقصده بذلك أيضاً - ثم نجد أنهم لم يولوا الفكرة العامة الموجبة لوضع القطعة الأدبية أي اهتمام . ومن البدهي ان لا ترسم هذه الأقوال المرتجلة المختصرة طريقة مفصلة لأداء الفكرة العامة وكيفية اخراجها خصوصاً وأن علم البلاغة حين تم وضعه في العصور التي تلت ذلك لم تول هذه الناحية جانباً من الاهتمام وإنما اهتمت فقط بكيفية أداء الجملة القصيرة ومقارنة الجمل القصيرة بعضها ببعض من حيث البلاغة . والنص الوحيد الذي فتح جانب اللفظ من بين النصوص السابقة دون أن ينص صراحة على تقديمه على المعنى هو نص أحد الربانين الذي سبق ذكره [وذكره الجاحظ (ص ١٤١ ج ١ من البيان والتبيين)] فجعل المعاني تزيد على حقائق اقدارها إذا هي كسبت الألفاظ الكريمة وألبست الأوصاف الرفيعة .

وأبنا كيف سميت الجاحظ بعد إيراد النصوص السابقة ولم يبد فيها رأياً خاصاً ، ولكننا نراه يخرج عن صمته بعد إرادته تقد أبي عمرو الشيباني لبيتين من الشعر (ص ٤١ ج ٣ من كتاب الحيوان) قال : « وأنا سمعت أبا عمرو الشيباني وقد بلغ من استجداته لذين اليتين ونحن في المسجد الجامع يوم الجمعة أن كلف رجلاً حتى أحضره قرطاساً ودواة حتى كتبها وأنا ازعم ان صاحب هذين البيتين لا يقول شعراً ابداً ولولا ان أدخل في الحكومة بعض الغيب لزعمت ان ابنه لا يقول الشعر أيضاً ، ومما قوله :

« لا تجبن الموت موت البلا وإنما للموت سؤال الرجال

كلاماً موت ولكن نا أشد من ذاك على كل حال

ثم قال وذهب الشيخ الى استحسان المعاني ، والمعاني مطروحة في الطريق ، يعرفها العجمي والعربي والقروي والبدوي وانما الشأن في اقامة الوزن وتخير اللفظ وصحة الطبع وكثرة الماء وجودة السبك وانما الشعر صياغة وضرب من التصوير .

فالجاحظ في تقدمه هذا يرى المعاني موفرة لكل انسان ويرجع ناحية اللفظ على ناحية المعنى صراحة ، وهو انما يقصد بالمعاني المعاني العامة كوصف الرجل الكريم بالبحر وما اشبه ذلك ولا يريد بها المعاني التفصيلية الجزئية ، ولا هذه المعاني الثانية التي يسميها عبد القاهر الجرجاني معنى المعنى والتي هي الصور التي يبرز فيها المعنى البدائي في ثوب قثيب مزركش ، الا ان الجاحظ اجل ولم يفصل ويؤخذ عليه على كل الاحوال اهماله جانب المعنى الذي هو في الحقيقة ، بالنسبة للألفاظ ، كالروح بالنسبة الى الجسم ، وانما وضعت الألفاظ لتدل على المعاني ، الا انه يجب ان لا يغيب عن بالنا ان الجاحظ في هذا النص يضع في جانب اللفظ اموراً اخرى كصحة الوزن وكثرة الماء وجودة السبك ويضيف الى ذلك حكمه بان الشعر صياغة وضرب من التصوير فهو قد راعى اذن في جمال القول الفني ناحية اختيال بذكره التصوير وناحية الأسلوب والنظم بذكره السبك والصياغة ثم راعى بقوله كثرة الماء ، الذي يعبر به عن الحياة المنبثة والمنبعثة من خلال القطعة الفنية ، ناحية العاطفة ولكن بكثير من الاختصار والابهام . وهو يدلنا على انه كان يشعر بشيء من جمال ابراز الأدب للعاطفة دون ان يحسن التعبير عنه . وهو ما كان يعبر عنه غيره بقوله : ان هذا الكلام له ماء وروث .

وفي هذا النص نرى الجاحظ خلقة لبشر من المعتمر وغيره من الذين ذكر آراءهم في البلاغة ينحاز الى جانب اللفظ وينصره ولا يبتغي آخذاً بأرائهم من أن حق المعنى الشريف اللفظ الشريف كما قال بشر - فيكون اللفظ مع اعطائهم قيمة كبيرة ، له تابعاً للمعنى وكل ما نصحوا به هو أن يحسن اختياره بحيث يحسن تأدية المعنى ويكون فصيحاً ، ولكنه يحمل على المعنى وينكر أن يكون له

شأن - وإنما استفزه الى ان يجور عليه مبالغة ابي عمرو الشيباني في نصرته بحيث
عد من القول الجميل ما ليس منه لجورد أن معناه تضمن حكمة يرغم أنها كانت
جافة لم يحسن تصويرها ولا صبكها ولا اختيار الفاظها - ولكن الجاحظ لم ينصر
اللفظ هذه النصرة إلا في هذا المكان - أما في غيره فهو يوجز في تعريف الكلام
البليغ ولكنه غالباً يقرن حسن اللفظ بحسن المعنى ففي ص ٤٢ من الجزء الأول
من البيان والتبيين يقول ما معناه أن حسن الكلام يزداد كلما كان المعنى أظهر ،
وذلك يدرك بوضوح الدلالة وحسن الاختصار ودقة المدخل ، وفي ص ٤٧ من
نفس الجزء يقول ما خلاصته أن أحسن الكلام ما كان موجزاً واضح المعنى
صادراً عن شعور صادق شريف المعنى بليغ اللفظ صحيح الطبع بعيداً عن الاستكراه
مصوناً عن التكلف وحيث يؤثر في السامع فهو يخرج من القلب ليقع في القلب
ويصنع فيه ما يصنع الفيت في التربة الكريمة ونرى في هذا الوصف إدراك
الجاحظ لأثر العاطفة وصدق الاحساس في تكوين القول الجميل ، وقد راعى فيه
جانب المعنى وقسطاً من جانب الأسلوب ولكنه لم يذكر جانب الخيال بخير أو شر -
وفي ص ١٩٦ من نفس الجزء يتكلم عن الكتاب فيقول إنهم ينتخبون الألفاظ
وينتخبون المعاني وأنهم يأخذون جانب الألفاظ العذبة والمخارج السهلة والطبع
المتمكن - يريد به الموهبة الخاصة بالأديب - والسبك الجيد والكلام الذي
له ماء ورونتى ، فجمع بين اختيار اللفظ واختيار المعنى ولم يهمل الأخير - وفي ص ٤
من الجزء الثاني من البيان والتبيين نراه يعطي للمعاني قيمتها أيضاً الى جانب
الألفاظ ووضوح الدلالة بحيث لا يجهد المستمع نفسه لفهم ، ويقول إن هذا يدرك
بعدم التكلف فإن كلام الأعراب إنما حسن لأنه خلا من الألفاظ المسخوطة
والمعاني المدخولة والطبع الرديء والقول المستكراه ، وكل هذه الصفات الرديئة
تكثر بين الحكّفين أهل الصنعة ، ونراه (في ص ٨١ من الجزء الأول من البيان
والتبيين) يمدح الإيجاز فيقول : « وممدحون الحذق والرفق والتخلص الى حبات

القلوب وإلى إصابة عيون المعاني» فيقولون : «أصاب الهدف وقرطس وأصاب القرطاس ورمى فأصاب الغرّة وأصاب عين القرطاس إذا بلغ النهاية في الإصابة» . وفي كل هذا نراه لا يخرج عما ذكر من أقوال سابقه في البلاغة .

ثم نراه يذكر (ص ٤٨ من نفس الجزء) حقيقة نفسية هي أن المعنى الخفيف واللفظ الدنيء أسرع حفظاً من اللفظ الشريف والمعنى الرفيع وينصح بحسن الاختيار حين الحفظ لأن ما يكتب بمجالسة السفهاء في ساعة لا تمحوه بمجالسة أهل الفضل سنين .

وبذكر في ص ٤٣ ج ١ من البيان والتبيين أن المعاني لا تتناهى بعكس أسماء المعاني - أي الألفاظ فهي محدودة وبذكر في ص ٧٥ من نفس الجزء أن الأسماء لا تستوعب المعاني لهذا ينبغي حسن الاختيار ، ويجب إعطاء كل موضوع الألفاظ التي يستحقها ويقول (في ص ٨١ من نفس الجزء) أنه قد يحتاج إلى السخيف من الألفاظ للسخيف من المعاني ، وفي سبيل هذه الفكرة - فكرة تلاؤم الألفاظ مع المعاني والمواضيع التي جيء بها لأجلها يقول في ص ١٢ من نفس الجزء إن القرآن قد استعمل ألفاظاً دون مرادفاتها في مواضع دون أخرى (وذلك لتأدية هذه اللفظات نبرات ومعاني إضافية كائناً فيها تتلاءم مع الموضوع الذي تقال فيه ومع مكانها من الجملة) وضرب مثلاً على ذلك استعمال القرآن للفظي المطر والغيث في موضعين مختلفين من حيث المقام وقال في نفس الصفحة ما مؤداه إن العامة لا تصلح حكماً في انتخاب الألفاظ لفساد ذوقها فقد تأخذ اللفظ القبيح وتترك الجميل كما قد يشتهر عندها من لا يستحق الشهرة .

وميل الجاحظ إلى ناحية اللفظ في جمال الأداء يظهر في حملته على تناثر الألفاظ في الشر والنثر وضربه أمثلة من الشر عليها (ص ٣٧ ج ١ من البيان والتبيين) وفي قوله بضرورة تلاؤم الألفاظ بعضها مع بعض في الكلام ليكون مسبوكة مسبوكة واحداً جميلاً (نفس الصفحة والجزء السابقين) ثم كلامه في الحروف التي لا يتلاءم بعضها مع بعض وذكرها بالتفصيل (ص ٣٩ من نفس الجزء) ، ويظهر

تفضيله ناحية اللفظ أيضاً في إلحاحه على امتداحه في كل مناسبة فهو يقول بأن الكتاب هم أمثل الناس طريقة لأنهم قد التمسوا من الألفاظ ما خلا من التوعر والوحشية والسوقية السافطة (ص ٢٦ من الجزء الأول : من البيان والتبيين) ثم يكرر ذلك (في ص ٨ من نفس الجزء) فيقول إن اللفظ يجب أن لا يكون عامياً سافطاً سوقياً وكذلك يجب أن لا يكون غريباً وحشياً إلا حين الكلام مع الأعراب الذين فطروا على ذلك ويظهر في هذا القول فكرة ملائمة المقال للمقام . ويعود (في ص ١٤٢ من نفس الجزء) الى الإلحاح على هذا المعنى فينصح بتجنب السوقي وعدم الإيقال في تهذيب الألفاظ وتوخي غرائب المعاني ، وأن ينتخب المتكلم الحالة الوسطى ويرجع (في ص ٣ من الجزء الثاني من البيان والتبيين) بعد ذلك ، فيقول (إن اللفظ يكون حسناً حينما يكون كريماً متخيراً خالياً من الفضول والتعقيد .

ويخالف الجاحظ رأي الاصمعي في الجملة على شعراء الصنعة (ص ٤ ج ٢ من البيان والتبيين) ؛ وذلك على ما يظهر لانبجازه الى جانب اللفظ قراء يستحسن تنقيح ذوي الصنعة لتناجهم الأدبي .

ويستخلص من كل ما مر في كتابي البيان والتبيين والحيوان للجاحظ أن أحكام المؤلفين في البلاغة حتى عصر الجاحظ كانت بدائية مبهمة مبنية على الذوق تشمل اللفظ والمعنى وعناصر غيرهما ترجع إليهما في غالب الأحيان ، وأنهم لهذه النظرة المجملة لم يكونوا ينصرون جانباً على آخر إلا ما كان من أبي عمرو الثيباني الذي نصر في إيهام جانب المعنى ، فلما جاء الجاحظ توسع في بحث البلاغة إلى درجة ما ، وتعرض لأبحاث النصاحة في عرفنا بصورة خاصة ، كما ناصر جانب اللفظ بمعناه الخاص عنده الذي يشمل جانب الأسلوب وجانبي العاطفة والتصوير أيضاً .

(يتبع)

نعيم الحمصي

م (٩)



التعريف والنقد كتاب في السياسة

تأليف الوزير ابي القاسم الحسين بن علي المغربي المتوفى سنة ٤١٨ هـ نشره
الدكتور سامي الدحان (ص ١٤٠) مع الفهارس . طبع بالمطبعة الكاثوليكية
في بيروت .

اجداً الأستاذ محيي هذه المخطوطة بالشهرة في عالم الأدب بما نشره من ديوان
ابي فراس الحمداني وقد أبرزه في قالب بديع من التحقيق فاستحق ثناء العلماء والأدباء .
والأستاذ الناشر مولع بالبحث عن المخطوطات العربية ينشدها في خزائن الغرب
والشرق وقد رحل كثيراً لتحقيق هذه الأمنية وأخذ صوراً شمسية من نوادر
الكتب والرسائل وهو بعد بعضها لينشرها على هذه الطريقة الأنيقة .
أخذ حب الظفر بالمخطوطات حتى ليشي أثناء البحث في التأليف والمؤلف على
من عاونوه على تبسيط مهمته في دور الكتب مبالغة في الاعتراف بحيلهم .
وكتاب السياسة هذا والأشبه به ان يدعى رسالة السياسة لصفر جرمه
مثل سائر الرسائل القليلة التي وضعها قدماء العرب في هذا الفن وهي مفيدة على
شدة احتضاها . وللمؤلفين بعض العذر في هذا الباب لأن التأليف في السياسة
كان على حالة ابتدائية عند العرب ولم يؤثر ليونان والرومان الا تنف ضئيلة
أيضاً في السياسة ليست حربية بان تعد من التواليف الممتعة .

فالشكر للدكتور دهان على ما يتحف به الخزانة العربية الحين بعد الحين
من منشوراته والرجاء ان تطرد هذه المهمة فيقتني مع اهل طبقتهم في الشام ومصر
والعراق الآداب والعلوم ويحيي بهذا الامتاع والابداع ما فقد اد كاد من تركة
السلف الصالح .

محمد كرد علي

ص ١٤٠

نظرة عامة

في فكرة الحق والالتزام ، ونظريتي الأموال والأشخاص في الفقه الاسلامي

معالجة بأسلوب الحقوقي الحديث

بقلم مصطفى احمد الزرقاء

استاذ الحقوق المدنية السورية وأحكام الأوقاف في كلية الحقوق بدمشق

طبعة ثانية مريدة منقحة

هذا هو الجزء الثاني من كتاب الأستاذ الزرقا الذي سماه (الحقوق المدنية ، في البلاد السورية) او هو مدخل للجزء الثاني ، منطوق على ثلاثة فصول ، تبحث إجمالاً على التعاقب في فكرة الحق والالتزام ، فنظرية الأموال ، فنظرية الأشخاص ، في الفقه الاسلامي ، على أساس الاجتهاد الحنفي ، وقد وضع المؤلف الكريم كتابه لطلاب السنين الثلاث من كلية الحقوق السورية ، وجعل اجزائه تسير معاً في طريق التمام كما قال . ولقد البس الفقه الحنفي ، بهذا الأسلوب الحقوقي الشهي ، ثوباً جديداً يزينه في أعين من يميلون النظر فيه ، ويجب اليهم دراسته ، لأنه « يتفق مع الأذواق الحقوقية الحاضرة في مظهره ، ويحافظ في الأحكام على أصله وجوهره » .

نعم ان كتاب الفقه في المذاهب الأربعة الذي كانت الفت من اجله لجنة من أجل علماء الأزهر الشريف وصاغه الأستاذ الجليل « الجزيري » بقلم حديث ، ونسقى جميل ، قد سد فراغاً في عالم الفقه والتأليف ، ولكن كتاب الأستاذ الزرقا يمتاز بما أورده من مصطلحات الفقه القانونية الحديثة ، وما يقابلها من مصطلحاته الشرعية القديمة ، فقد جمع بين التليد والجديد ، بأسلوب يتذوقه ويستيعفه حماة الفقه الشرعي ، ودعاة القانون الوضعي ، وهو ما خلا عنه كتاب فقه المذاهب الأربعة ، لأنه ليس من غرضه في التأليف ، وقد عد الأستاذ الزرقا طائفة من الكتب التي الفت على هذا النمط الحديث ، بعضها كمل وبعضها لم يكمل .

رتب الأستاذ المؤلف هذا الجزء على ثلاثة فصول ، فالفصل الأول في الحق والالتزام ، وبجمعهما أهلية الوجوب في الانسان ، اي صلاحيته للالتزام والالتزام ، أو قابليته لثبوت الحق له وعليه . والفصل الثاني في الأموال وفيه فرعان : حقيقة المال في النظرين الفقهي والقانوني ، وتقسيم المال ونتائجه الفقيهية . والفصل الثالث في الأشخاص ، وله كسابقه فرعان ملحمة عامة ، وتقسيم الأشخاص ومجمل احكامهم . ولكل من هذه الفروع أبحاث ، فمنها تقسيم الحق الى عيني وشخصي وأنواع الحق العيني في الفقه الاسلامي كحق الملكية والانتفاع والارتفاق ، والارتيبان ، والاحتباس ، والوقفية ، وحقوق القرار على الأوقاف . وقد فسر الحق الشخصي والالتزام ، بأن كل حق شخصي لانسان هو تكليف وعهدة على سواء ، وهذا التكليف قد اصطلح علماء الحقوق على تسميته : التزاماً ، فهو حق اذا نظر اليه من ناحية الطالب ، وهو التزام اذا نظر اليه من ناحية المكلف به . وإن الحقوق المدنية ، أو قسم المعاملات الشرعية تبحث فيما يتعلق بكلا النوعين من الحق ، الحق العيني ، والحق الشخصي ، وتنظم علائق الناس فيهما جميعاً ، وإن مجموعة القواعد والأسس ، التي تنبني عليها أحكام الحقوق العينية ، يسميها علماء الحقوق اليوم (نظرية الأموال) ومجموعة القواعد والأسس التي تنبني عليها أحكام الحقوق الشخصية يسمونها (نظرية الالتزامات العامة) فموضوع نظرية الالتزامات إذن وميدانها إنما هو الحق الشخصي ، وأهم عناصر الأموال - التي يعني التشريع الوضعي القانوني باحكامها هي العقارات ، وهذا الجزء الذي نصفه الآن موضوعه الحق الشخصي والأعيان ، أو نظريتنا الأشخاص والأموال كما قال الأستاذ المؤلف .

وقد جاء الأستاذ الزرقا في فصوله الثلاثة ، وفروعها الستة ، ومسائله المتنوعة ، بجماريف رجال الشرع والقانون وتدقيقاتهم في كثير من المباحث ، وأدار عليها نظر الناقد البصير ، وناقشها مناقشة حقوقية هادئة ، محتيياً بحجوة الأدب والانصاف ، مبتعداً عن طريق التقليد والاعتساف ، كما فعل في بيان استقلال الشرع الاسلامي ، عن الشرع الروماني ، الذي أجاز قتل المذنب للمصر !! أما الاسلام فقد أوجب

إنظاره الى مبسرة كما قال تعالى «وإن كانت ذو عسرة فنظرة الى مبسرة» (انظر ص ٣٩) وفي الشرع الروماني كانوا يحاكمون البهائم ويحكمون عليها، وظل ذلك في فرنسا الى القرن الثامن عشر الميلادي !! أما في الأحكام التي أثبتتها فقهاء الاسلام، فانه لازمة للحيوانات والبهائم كما أنها لا أهلية لها، فلا تثبت عليها حقوق (ص ١٢٩) فأين شريعة الرومان من فقه الاسلام، وأين الثريا من يد المتناول؟ وقد أشار الأستاذ المؤلف في مواضع من كتابه الى اختلاف المذاهب في المسألة الواحدة، ودعا الى الأخذ بما كان أقوى دليلاً، وأكثر ملاءمة لحاجة العصر، ومصلحة الأمة، من مذاهب الأئمة (راجع البحث السادس - في العين والمنفعة ١٤٧ - ١٥١) تر فيه تعد نظرية الحنفية في عدم الزام الغاصب بضمان أجر المثل من منافع المصوب، والأخذ بنظرية الشافعي والحنبلي بالزام الغاصب بأجر مثل المصوب خلال مدة الغصب، قائلاً بان الحاق نظرية المنافع بالأعيان في المالية والتقوم الدائمي، هي أحكم وأمتن وأجری مع حكمة التشريع، ومصلحة التطبيق وصيانة الحقوق، من نظرية فقهاءنا في الاجتهاد الحنفي (قال) وإن تشريع عقد الإجارة بنصوص الكتاب والسنة دليل ناطق بان الشريعة الاسلامية قد اعتبرت المنافع متقومة في ذاتها، حتى أقرت التزام البدل في مقابل الانتفاع، كما أقرت التزام الثمن في مقابل امتلاك العين بالشراء، ثم ختم هذا البحث بقوله: ويجب ان يلاحظ أن الاحكام القانونية اليوم لدينا تقضي بضمان أجر المثل للمعارات على من يشغلها بلا عقد، وعليه عمل المحاكم المستمر» .

أقول: لعدي ان ما جرى عليه المؤلف الزرقا هنا من بيان الحكم مع دليله هو الحق المبين، وبه تبين وجهات نظر الأئمة، وما في اختلافهم من اليسر والرحمة، وإنما يرجع قول بعضهم على بعض بقوة الدليل، وبما ينطبق على مصلحة الأمة، وحكمة التشريع، ألا وان أئمتنا قد أوصوا بالألا يؤخذ بقولهم حتى يعلم دليلهم، وقد رأى أهل القانون المدني اليوم - الذين قضوا بضمان أجر المثل للمعارات على من يشغلها بدون عقد -

أن حكمهم هذا قد خرج عن قيود المذهب الحنفي، ولكنه لم يخرج عن دائرة
 الفقه الاسلامي، وأن اختلاف علمائنا رحمة، والأخذ من متنوع مذاهبيهم نعمة .
 وهذا وإن لنا رجاء كبيراً في أختنا الأستاذ الزرقا - وهو سليل علم ديني،
 وناطقة فقه شرعي - أن يجري في أجزائه الباقية على هذه الطريقة المثلى، لتبقى
 حجة هذا الفقه السامعي قائمة على الدين يستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير،
 وإن كل من ينهض معك، أيها الأستاذ الكريم، بهذا العبء العظيم، من رجال
 هذه الأمة الأبرار، ينجيك بما جاء في الكتاب المصون «إني أنا أخوك فلا
 تبتئس بما كانوا يعملون» أمدك الله بمعونته وتوفيقه، وأثابك خير الثواب .
 وبعد فقد لاحظنا هبات جرت بها أقلام كثيرة، وهي من الخطأ الشائع في ص ٨
 تكتل على بعضها، وفي ص ٩ أفراد الأمة بعضهم، وفي ص ٣٨ : وصيانة حقوقهم
 بين بعضهم، وفي ص ١٧٢ مجموعة الى بعضها» ويقال فيها على هذا الترتيب :
 «بعضها على بعض، وأفراد الأمة بعضهم ببعض، وصيانة حقوقهم بينهم، ومجموعة
 بعضها الى بعض» إذ أن المقصود هو (الكل) لا (البعض) .

محمد بهجة البطار

ظلال الأيام — أنور العطار

مطبعة البرهاني بدمشق ١٩٤٨ — صفحاته ٢٦ + ١٤٢

تحدث عدد من المستشرقين والشرقيين عن الأدب العربي المعاصر ليعطوا بين حلقات الدراسة في تاريخنا الأدبي؛ وشكروا جميعاً، فيما شكوا منه انصراف شعرائنا المحدثين عن طبع دواوينهم والعناية باخراجها .

وقد قام المستشرق جورج كينفاير منذ عام ١٩٢٥ م بشيء من هذا العبء، فتحدث في مجلة ألمانية^(١) عن شعراء الشام، واختار من شعرهم ونشر بين يديه تراجم كتبها الشعراء أنفسهم في ترجمة حياتهم، وزين هذه الدراسات بصور الشعراء، ونذكر منهم هنا على سبيل المثال الأستاذ خليل مردم بك وشفيق جبري ومحمد البزم وبدوي الجبل؛ ولكننا لم تقع منذ ذلك الحين على ما يحقق الرغبة، ويلبي النداء، ويستجيب داعي الدراسات التاريخية، ونحن نتنظر أن يجد شعراء دمشق في طبع دواوينهم طباعة حديثة وأن يصدروها بدراسة عن حياتهم تعين الباحث وترشد الدارس كما فعل الغريون لشعرهم وكما فعل أمير الشعراء أحمد شوقي . و « ظلال الأيام » الذي تحدث عنه اليوم أخرجه الشاعر أنور العطار، ووقرله أكثر الذي يتطلبه الناقد الغربي من الشاعر العربي، فقد بوبه وزينه وقدم له . أما المقدمة التي كتبها الأستاذ علي الطنطاوي في ترجمة صديقه الشاعر فهي صادقة الرسم، تنم عن حياة الشاعر ومراحل عيشه وتقص عن الأمي الذي يلف هذه الحياة، والألم الذي يغنيها، والقلق الذي ينتابها، والضجر الذي يصيبها . فهي دليل للديوان ورفيق للقارئ على مر الصفحات .

وشعر العطار على هذا وذاك صريح جلي، واضح يتنم، تلمح خلال آياته هذه اللوعة تترقرق صافية، وتحس الجرح دامياً، ونسمع الأمي صارخاً، وتبين الوحشة مظلمة والشجر قائماً .

(١) Arabische Dichter Der Gegenwart , von Georg Kampfmeier . in M . S . O . S . 1925 - 1926 , P . 249 et s.

يفتح الشاعر بالشكوى والأسى ، ويختتم بالشجو والوحشة ، ويزجي فيها بينها
باللوعة والمسمة ، فاسمعه يقول :

ص ٧ : ياقرحة المعرعودي غير آية وأطمعني في لقاءك أحيانا

٧ : ألي صارخ وجرحي ضري والحرى يأس وجدتي عثور

٨ : وبنسي قيثارة تنشكي وأنا النمع والأسى والشعور

٧٧ : أنا قيثارة تنوح على الله ر ودمع على المدى بترفرق

١٣٧ : أذكر العهد فأبكي أسى

وهو يهذه الدموع يذكرنا بالشعراء الرومانتيكيين في الغرب وتلاميذهم في
الشرق ، الذين يرون أن الألم أستاذ وأن الأسى يفجر بنايع الشعر .

والديوان حافل بأوصاف الطبيعة على عادة الابداعيين أمثال هوغو ولامارتين
وموسه فهو يصف الخريف والربيع ، ويصور المدن والأنهار والجبال والسهول والصحارى .

يبدأ بوصف الخريف ثم يصف دمشق وغوطتها وآثارها والحقول فيه ، ويرسم
يردى والصفاف يستحم في شطآنه ثم يصف دمر وأزهاره وأوراده ، ثم ينتقل
الى لبنان فيصف منه الجبال والوديان .

وهذه موضوعات تعيد الى الذكرى أسماء شعرائنا القدامى الذين وصفوا الطبيعة
وأزهارها كابن خفاجة والصنوبري وكشاجم . والشاعر العطار يفيض حماسة
حين يتطرق الى ذكر الوطن وحماءه ، ويشع قدسية حين يستعرض ذكرى النبي
الينيم عليه السلام وأبجد الفتح الاسلامي . ويختتم ديوانه بوصف بغداد والبصرة
ودجلة والفرات وصفاً يقرب التاريخ والوشائج ويبعث الحب وصلة القربى في اللسان
والدم والذكريات .

هذه هي أغراض الشاعر في ديوانه وهذه معانيه التي تطرق اليها ، أما أسلوبه
الشعري فكله رقة وحنان . ويخيل إلينا أن أولى مزايي الديوان الفاظه الشعرية
للتخيرة وصوره الناعمة التي تضطر الشاعر مكرها الى أن يفصح بالفصوص على

المعنى والابتنال في الصورة . ولعلنا حين نستعرض هذه الألواح من خلال صفحاته ندلل على شيء مما نقول :

- ص ٢٤ : يستحم الصفصاف في ضفتيه ويناجيه ناعم الفرع لدنا
 مستهماً يسلسل الروح دمعاً وبصاديه عبقريةً منفا
 وهما في تلازم وعناق يطويان الزمان قرناً قرناً
 ص ٣٣ : وعلى معطف المروج تراءت قبلُ للريح تنفج طيباً
 ص ٣٧ : قدماَت الروح عبء الظلام وحت إلى البسمة الضاحية
 وتشدو الطيور أغاريدها فأختار من فيها القافية
 ص ٤٥ : في وصف صئين : هو جارُ النور حطّ على الغيم
 ص ٦١ : في ابنته :

سريرها يهتز في أضلعي تنام في أعطافه هانئة
 إذا تطلعت إلى وجهها رأيتُ أمي مرةً ثانية

ولن نستزبد من هذه الصور وهذه التعابير فالديوان متداول حين يسير ،
 نستطيع أن ترجع إليه قترى آثار العصر والشباب والربوع مجتمعة في طياته .
 وليس يضيره تعابير يأخذها عليه الناقد في مثل قوله : « ولا يحفلان بالأغيار »
 وقوله : « تهالك من جهده وارتتح ! » فهي قليلة نادرة بحمد الله تقع في
 كل ديوان .

وقيل أن نهني الشاعر على باكورة دواوينه نرجو أن يعمد في المستقبل
 إلى تأريخ قصائده ، فذلك يعين القارئ والمؤرخ والدارس .
 وهو فاعل إن شاء الله !

الدكتور سامي الدعان

آراء وانباء نص حكاة ثعلب

بين اللغة والدين !!

كتب حضرة الفاضل (السيد محمود بابلي) الى رئاسة انجمن العلمي بما حاصله :
قرأت نصاً لغوياً في المعجم المسمى (المنجد) تأليف الأب (لويس معلوف) فاشتبه
أمره عليّ وهو قوله صفحة ٤٨٨ (الطلقاء : الذين أدخلوا في الاسلام كرهاً)
فكيف يكون ذلك ؟ ومن قواعد الاسلام ان لا اكراه في الدين . والمعروف
في كتب السيرة النبوية ان الرسول الكريم حينما دخل مكة فاتحاً خاطب أهلها
قائلاً : ما تظنون اني فاعل بكم ؟ قالوا : أخ كريم وابن أخ كريم . قال : (اذهبوا
فأنتم الطلقاء) هذا ما كتبه الينا السيد البابلي . ثم قفني عليه فقال : (فهل مناد
النص الذي نقله صاحب المنجد ان هؤلاء الطلقاء أدخلوا في الاسلام كرها ؟
أم ان هناك طلقاء آخرين غيرهم ؟ فمن هم ؟ وفي أي عصر وجدوا ؟ ومن الذي
أكرهم على الاسلام ؟) ا هـ .

ولعمري ان قلبي المستفهم الفاضل من عبارة المنجد . وارايدته التثبت في فهمها .
والتساؤل عن مغزاها - جذير بالشكر والثناء . والا فان ظاهر قول المنجد
مناقض لآية لا اكراه في الدين !!

ومرجع هذا البحث ومصدره أن صاحب (اللسان) الذي إنما ألفه لتحديد معاني
الفاظ اللغة نراه يخرج أحياناً كثيرة عن هذا التحديد الى قول في الدين والأدب
والتاريخ لا فائدة منها في افادة تحديد المعاني . وتفسير المباني . وان كان لها قيمتها
في تقوية ملكة الأدب العربي في نفس المطالع ، وهذا ما جعل بعض الفضلاء يقول :
إن لسان العرب كتاب أدب أكثر مما هو كتاب لغة . ومن هذا القليل نقله
عن ثعلب أن لفظ (الطلقاء) يطلق على قوم أكرهوا على الاسلام .

فالامام الجوهري صاحب الصحاح الذي هو بحق أبو المعاجم - أو أبو (المعجميات) على حد تعبير الأب مرمرجي - فسر لنا (الطلاق) بالفحوى والتلميح . لا بالجهر والتصريح فقال مانعه (والطليق الأسير الذي أطلق عنه إصاره وخالى سبيله) قال هذا ثم سكت فأسكت - وأفهم فما أودهم . أليس علماء العربية قالوا ان وزن (فُعلاء) مقبس في كل ما كن على وزن (فَعِيل) صفة لمذكر عاقل غير مضاعف ولا معتل نحو كريم كريماء عظيم عظماء أمير أمراء الخ .

اشتهار هذه القاعدة جعل الجوهري يكتفي بتفسير لفظ (طليق) عن ذكر جمعه الذي هو (الطلاق) . اما صاحب (اللسان) فبعد ان نقل عبارة الجوهري المذكورة قال (وفي حديث حنين خرج (ﷺ) ومعه الطلقاء : وهم الذين خلى عنهم يوم فتح مكة وأطلقهم فلم يسترقهم . واحدم طليق وهو الأسير اذا أطلق سبيله . وفي الحديث الطلقاء من قريش والعتقاء من ثقيف : كأنه (ﷺ) ميز قريشاً بهذا الاسم أعني (الطلاق) حيث هو أحسن من العتقاء . والطلقاء الذين أدخلوا في الاسلام كرهاً حكاه ثعلب : فإما ان يكون من هذا وإما ان يكون من غيره) انتهى كلام اللسان . وقوله الأخير (فاما ان يكون وإما ان يكون) يدل على ان العبارة التي حكاه عن ثعلب موضع تردد واشتباه . وان نقل صاحب اللسان لها ليس من اللغة ولا فقها ولا تحديد معاني الفاظها في شيء ، وإنما هو أمر يتعلق بأحكام دين الاسلام وحوادث السيرة النبوية : فالطليق الأسير والطلقاء الأنسارى وهناك أنسارى مخصوصون وهم مشركو مكة الوثنيون سماهم النبي «الطلقاء» . هؤلاء الطلقاء المعينون أراد ثعلب أن يذكر لنا حكماً دينياً متعلقاً بهم فقال قوله المذكورة في اللسان . والتي تحتاج الى بسط وإيضاح وبيان . ذلك أن النبي (ﷺ) لما من على أسرى قريش بالحربة وأعفاهم من ذل العبودية ليس معناه أنه أعفاهم من كل حكم يتعلق بشركهم ووثنيتهم فيبقون بعد أن منحوا حريتهم عليها أي على الوثنية التي جاء الاسلام لمبدها . وامتاز على جميع الأديان بمطاردتها . وهو (أي الاسلام) ان لم يتيسر له ان يطاردها في العالم كله أمكنه على الأقل ان يطاردها

ويقتلع جذورها من جزيرته وموطن رسالته : أعني بلاد العرب : فهو بعد أن رفّه عن الطلقاء وأمنهم عاد فطبق عليهم حكماً آخر من شريعته وهو عرض الاسلام عليهم ماداموا عَرَباً وما داموا مقيمين في جزيرة العرب وما داموا على غير ديني سماوي يشفع لهم في أخذ الجزية منهم : إذ أن مبدأ الاسلام (لا يجتمع في جزيرة العرب دينان) فان أحب أولئك الطلقاء الإقامة في الجزيرة وأسلموا كان بها ، والا كان لهم الجلاء عنها . وهذا (اي الجلاء أو خوف الجلاء) جعل أكثرهم بلجأوا الى الاسلام فأسلموا . وقد أراد (ثعلب) أن يعبر عن اسلامهم الذي أُلجأوا اليه فعبّر عنه بالإكراه مذ قال : والطلاق (اي من اسارى قريش) هم الذين أدخلوا (أي في آخر الأمر) في الاسلام كرهاً (أي إلقاء) وذلك بسبب تطبيق حكم الاسلام على وثني العرب بأن لا يبقوا على وثنيهم أو يخرجوا من دار الاسلام . وهذا كما تفعل اليوم حكومات اوربا التي تؤلف منها الكتلة الغرية الديمقراطية مذ تطارد الشيوعيين في عقر دارها . فينسلوا لوإذا منها أو يخضعوا لقوانينها التي لا تقر الشيوعية المتطرفة ولا تفرق بينا . مالنا وللشيوعية هذه (الولايات المتحدة) كانت لا تميز الإقامة لأحد في بلادها إذا كان ممن يؤمن بعقيدة تعدد الزوجات . فهل الوثنية التي جاء محمد (ﷺ) لمحوها أخف شراً من تعدد الزوجات في نظر العقلاء المنصفين ؟ عبارة ثعلب جاءت غير واضحة وجاء صاحب اللسان نقلها ذبلاً لكلامه وتردد في فهمها مذ قال : (فاما ان يكون وإما أن يكون) هذا الغموض فيها أضعف ثقة علماء اللغة بها . وجعلهم يتحامون نقلها الى معاجمهم : فلم يذكرها الزحشري صاحب (الاساس) ولا الفيومي صاحب (المصباح) ولا ابن الأثير في معجمه (النهاية) الذي ألفه لتحديد معاني الألفاظ الواردة في كتب السنة والحديث . ولم يذكرها الفيروزآبادي صاحب (القاموس) وإنما ذكرها شارحه الزبيدي في مستدركاته . ولما جاء واضعو المعاجم البيروتية المعاصرون أهملوا منهم صاحب (محيط المحيط) والبستاني

صاحب (البستان) والشرعوني صاحب (أقرب الموارد) ثم عاد هذا فذكرها في (الدبل) حتى جاء الدور أخيراً للأب لويس معلوف صاحب (النجد) . ومنجده إنما وضعه للشُّدَّةِ وطلاب المدارس - الذين يراعى في معاجهم الاختصار والاقتصار - فاهتم بها ونقلها الى منجده مبتورةً مما قبلها : لما رأى فيها من الطرافة والغرابة والنص على الاكراه في الدين مع ان المسلمين يقولون إنه (لا اكراه في الدين) . نعم لا اكراه في الدين أيها المنصفون وكل ما في الأمر ان عرب الجاهلية مكفونون أن يخلعوا ربقة الوثنية إذا أحبوا الإقامة في جزيرة العرب . ومن تصفح كتب السيرة لا يجد أثراً لما توهمه عبارة (ثعلب) المحكية في اللسان . وإنما يجد ما يؤيد قولنا من أن الطلقاء أحرار في الخروج من جزيرة العرب اذا بقوا مصريين على وثنيته وعبادة أصنامهم : ورد في تاريخ الطبري عند ذكر أخبار فتح مكة وقوله (ﷺ) لمشركيها (اذهبوا فأنتم الطلقاء) ما خلاصته :

هرب (صفوان ابن أمية) أحد سادات قريش بعد فتح مكة الى جدة ليركب منها البحر الى اليمن فعظم أمر خروجه على (عمير بن وهب) فجاء النبي (ﷺ) وأخبره بخبر صفوان فأرسله النبي اليه مؤمناً له . وأعطاه عمامته الشريفة علامة على ذلك الأمان . فذهب اليه عمير وعباده الى مكة فلما دخل على النبي قال له صفوان : إن عميراً هذا يزعم أنك قد آمنتني . قال صدق . قال فاجعلني في أمري باختيار شهرين . قال أنت فيه باختيار أربعة أشهر اه . واختيار الذي طلبه إنما هو بين ان يذهب الى اليمن بوثنيته وبين ان يبقى مع أبناء جلدته العرب ويدخل في دينهم : دين التوحيد ، فلم يكن بهذا مكرهاً على الاسلام وإنما الاكراه أن يضبط الوثني ثم يقال له إما أن تسلم أو تقتل وحاشا ان يقع مثل هذا في الاسلام .

هذا ما رأينا ان نقوله في تأويل عبارة ثعلب التي نقلها صاحب النجد وعسى

ان يجد فيها حضرة السائل الأدب مقتعاً .

المغربي

ثلاث رسائل من منشوراتنا العربية

هذه ثلاث رسائل من منشوراتنا العربية :

(١) نظرية الاسلام السياسية (٢) منهاج الانقلاب الاسلامي (٣) المدين القيم
نبحث بها اليكم لتروا فيها رأيكم وتلاحظوها بعين النقد وتنوها (Review)
فيها في محشكم الزاهرة . ويسرنا كثيراً اذا نيهتم على ما تقع عليه أنظاركم فيها
من الهفوات والأخطاء اللغوية والنحوية ، فإنا ، وإن لم نأل جهداً في إيرادها في
حالة من النصحي قسبية ، لا نأمن على اتساع الوقوع في الأخطاء وعلى اقلنا ان نزل
قدمها بعد ثبوتها ، بما عسى ان يكون قد لصق بها من محاورات الهندستانية
وما يظهر في الجرائد العربية السائرة من الهفوات اللغوية والأصاليب الركيكة .
هذا ، وهذه الرسائل ألفت بالاردية ، ثم قام بتعريبها هذا العاجز وزملاؤه
وستلوهـا رسائل اخرى معربة من الاردية ومؤلف بعضها بالعربية من غير ترجمة .
وبما أن هذه الرسائل عالجت المسائل السياسية والمواضيع العمرانية والاقتصادية ،
اضطررنا فيها الى استخدام المصطلحات الحديثة الشائعة بالانكليزية وغيرها من
لغات العالم المتحضرة . وقد اتبعت لغتنا الاردية مثلاً بل ألواناً من هاتيك
المصطلحات في شتى العلوم ، وعني اهلها بتأليف المعاجم الخاصة لهذا الغرض ؛
والحق أنهم وفوا هذه المسألة حقها من العناية والاهتمام ، بحيث لا يجد الكاتب
الذي يعالج هذه الموضوعات ويعني بالبحث فيها بالاردية كثير عناء ومشقة ، بل
يجد الأمر سهلاً والسبيل ممهدة ، والطريق معبدة . لكن الأسف ، كل الأسف ،
ان الكاتب المستعرب الذي يريد ان يتناول هذه الموضوعات والمسائل ويعالجها
بالعربية تأليفاً او تعريباً ، يلقى عرق القربة بهذا الصدد لأن مالكي ازمة البيان
وفرسان مضماره ، لم يفرغوا للآن من وضع معجم جامع لمصطلحات علوم السياسة
والاقتصاد والعمران والفلسفة وغيرها . ومن هنالك لكم ان تقدروا العناء الذي
كابدناه في تعريب هذه الرسائل وما تجشعناه من المشاق في البحث والتحقيق في
شأنها . ولا ندري الى اي حد نجحنا في جهودنا ومساعدتنا ؛ ولا نعرف مدى

ما قدر لنا بلوغه من الصحة والدقة في هذا الباب . والأمر في هذا الى حضراتكم ،
 ارباب البيان وحمله الأقلام من ابناء العرب ، والرأي رأيكم ، جهابذة النقد
 وأساتذة الحل والعقد من اهل اللغة وعلمائها . وهما نحن نبعث اليكم بفهرس
 للمصطلحات وبعض الاستعمالات الدقيقة التي وردت في هذه الرسائل الثلاث ،
 وقد شفعتها بما يرادفها في الانكليزية والاردية ، ليسل على الناقد تعيين المعاني
 المرادة منها ، وكذلك ذكرنا بازاء كل كلمة رقم الصفحة التي وردت بها من هذه الرسائل .
 فلأمول ان تنشروا هذه الكلمة في مجلحكم الزاهرة ، مضافا اليها الفهرس
 الذي ذيلناها به ، وتفضلوا علينا بابداء رأيكم في شأنها والتنبه على مواضع الخطأ
 والضعف منها . وانما سألناكم نشرها في المجلة لا عسى ان يبدى فيها بعض قرائكم
 الأفاضل من الملاحظات مما يمكن لنا ان نستفيد منها وننتفع بها في تعريتنا
 للرسائل الأخرى من هذا الباب وتأليف ما يماثلها من الكتب في مثل هذه المواضع .
 نكتب هذا ونحن اكثر الناس علماً بقصورنا في الانشاء العربي واعرفهم بضعفنا
 في الملكة اللغوية لبعثنا عن ميد العروبة واللغة الكريمة ومنبت ارومتها . اما عرضنا
 من نشر هذه الرسائل ، فهو تبين محاسن الاسلام ، ونشر مزاياه وبث تعاليمه
 في لغات العالم كلها - حسب ما ينه في الصفحة الثالثة من الغلاف - ومنفرد لذلك
 مقالاً خاصاً ، ان شاء الله تعالى ، تتناول الكلام فيه عن الدعوة وعمما قامت له
 « الجماعة الاسلامية » التي أسس بنيانها في الهند منذ ثمانى سنوات ، سنة ١٣٦٠ هـ ،
 وقد بدأت تؤتي أكلها وشرعت تظهر ثمراتها الشية للبيان . ونشر كتبتها وتعميم
 صوتها وابلاغ دعوتها الى العالم الاسلامي عامة وبلاد العرب خاصة تأسست
 « دار العروبة للدعوة الاسلامية » فرعاً لما منذ اربع سنين .
 وهما هي منشورات دار العروبة ، بدأت تتحلّى بالطبع وتنتشر ، فنلفت اليها
 الأنظار . والنية معقودة على اصدار مجلة شهرية مسماة « بالهدى » حينما تسمح
 لنا به الظروف . والموعود ليس يبعد ان شاء الله تعالى .

راولپنڊي (پاڪستان)

مسعود الندوي

مفت « دار العروبة للدعوة الاسلامية »

نظرية الاسلام السياسية

الانكليزية	العربية	الاردية	ص	س
Dictatorship	السيطرة (الديكتاتورية)	دكتيتر شپ	٩	٤
{ Domination of man over man	الوهية الناس على الناس	انسان پر انسان کی خدائی	١٥	١٦
Communist Party	الحزب الشيوعي	کميونسٹ پارٹی	١٠	١٧
Political Bureau	المكتب السياسي	سياسی مجلس	١١	١٧
Farm	المزرعة	فارم	١٣	١٧
Representation	التثيل	نمائندگی	١	١٨
Community	جماعة	جماعت	٣	١٨
Fascist Great Council	المجلس الفاشي الكبير	فاشست گرانڈ کونسل	٨	١٨
Democracy	الديمقراطية	ديمو کريسي	١٢	١٨
Personality	الشخصية	شخصيت	١	٢٠
Charter	المنشور العام	چارتر	٢	٢٣
Powers	الحقوق	اختيارات	١١	٢٣
Sovereignty	الحاكية	حاكيت	٧	٢٤
State	المملكة	رياست	١٠	٢٥
Government	الحكومة	حکومت	١٥	٢٥
Priest Class	السنة	مخصوص مذهبي طبقه	١٤	٢٦
Paramountcy	السلطة القاهرة	اقتدار اعلى	١١	٢٧
{ Limited popular Sovereignty	سلطان منحصر في دائرة محدودة	محدود عمومی حکومت	١٠	٢٧
Executive	الهيئة التنفيذية	عامله	١٢	٢٧
Popular sovereignty	سلطان للجمهور	عمومی حاکيت	١٧	٢٨
Prohibition Lan	قانون منع الخمر	قانون منع شراب	•	٣٠
Divine Limits	حدود الله	حدود الله	١٤	٣١

٤٦٥	مسمود الندوني		ص	
الانكليزية	العربية	الاردية	ص	ص
Regulations	القوانين الفرعية	فروعى قاعدي	١	٣٣
Personal liberty	الحرية الشخصية	شخصي آزادي	١٠	٣٣
Capitalism	الرأسمالية	سرمایه داري	١٣	٣٣
Family life	الحياة العائلية (البيئية)	عائلي زندگي	١٥	٣٣
Constitution	الدستور	دستور	١٦	٣٣
Social Justice	العدالة الاجتماعية	اجتماعي عدل	١٧	٣٥
Nagative	اللية	سلبی	١١	٣٦
Positive	الايحائية	ايجابی	١٣	٣٦
Political Power	القوة السياسية	سیاسی طاقت	١	٣٧
Public opinion	الرأي العام	رائي عام	٤	٣٧
Social Influence	التفوذ الاجتماعي	جماعتی اثر	٤	٣٧
Totalitarian	المهيمنة	مهمه گير	١٦	٣٧
Authoritarian	الاستبدادية	استبدادی	١٧	٣٧
Ideological State	المملكة الفكرية والحزبية	جماعتی اور ملكی ریاست	٦	٣٨
Rights and Privileges	الحقوق والامتيازات	حقوق و مراعات	١٦	٣٩
Fundamental theory	النظرية الاساسية	بنیادی نظریه	٧	٤٠
Theory of State	نظرية المملكة	نظریه ریاست	١٤	٤٠
Popular Vicegerency	اخلافة العمومية	عمومی خلافت	٩	٤١
Social life	الحياة الاجتماعية	اجتماعی زندگي	٥	٤٢
Personal ability	الكفاءة الشخصية	شخصی قابلیت	٧	٤٢
Social status	مكانة الرجل في المجتمع	معاشرتی مرتبه	٥	٤٣
Regimentation	التقييد الاجتماعي	ضابطه بندی	٤	٤٥
Vote	التصويت	ووٹ	١٠	٤٦

٤٦٦		آراء وأفكار	
ص	س	الاردنية	العربية
الانكليزية			
Individuality	٤٦	١٤	الفردية
Socialism	٤٦	١٤	الاجتماعية
Harmony	٤٧	٦	التوافق
Conception	٤٧	١٥	التصور
Minority	٤٩	١٣	الاقلية
Majority	٤٩	١٣	الاعلية
Condidature	٥٠	٥	الترشح
Electoral propaganda	٥١	٥	انتخابي بروبيغندا
Judiciary	٥١	١١	عدالت

* * *

منهاج الانقلاب الاسلامي

ص	س	الاردنية	العربية
الانكليزية			
Process	٣	٣	العمل
Loose - thinking	٣	١١	الاحاديث الواحية
Artificial means	٤	٦	الطرق المصطنعة
Pre - requisites	٤	٩	امور بدائية لازمة
Premises	٤	١١	التقضايا
Determinism	٥	١٣	الجبر
Ideological State	٧	٦	الحكومة الفكرية
Nationality	٧	٧	القومية
Nationalism	٧	٦	القومية
Nationalistic Ideology	١٥	١٤	قوم پرستانه طرز فکر
French Revolution	٨	٧	الثورة الفرنسية

٤٦٢	منفرد التذوي	ص	ص
الانكليزية	العربية	الأردنية	س
Central Authority	الزعامة المركزية	مركزى اقتدار	١٤ ١٠
National Guards	الحامية	نیشنل گارد	١٤ ١٠
National Militia	الجند القومي	قومی ملیفيا	١٥ ١٠
Majority Rule	الحكم للأغلبية	اقتدار اکثریت	١٧ ١٠
National Individuality	اخصائص القومية	قومي انفرادیت	٢ ١١
National Minority	الاقلية القومية	قومی اقلیت	٣ ١٢
Secular State	المملكة اللادينية	دینوی حکومت	٣ ١٥
International Politics	السياسة الدولية	بین الاقوامی سیاست	٩ ١٧
Utilitarianism	المذهب المنفعي (مذهب المنفعة)	افادی ذهنیت	١٥ ١٧
Values	الأقدار (القيم)	قدرین	١٧ ١٨
Intellectual leadership	سلطان السمو الفكري	عقلی وذهنی ریاست کامک	١٤ ١٩
Mass Movement	الحركة العمومية	عمومی تحریک	١٢ ٢٢
Utilitarian Morals	الأخلاق المنفعة	افادی اخلاقیات	٣ ٢٣
Pragmatism	الفلسفة العملية	مصلحت پرستی	٢ ٢٤
Plan	المشروع	منصوبه	١١ ٣٠
Technique	منهاج العمل المخصوص	مخصوص طریق کار	٥ ٣٤
Economic exploitation	الاستغلال الاقتصادي	معاشی انتفاع	٤ ٣٧
Capitalists	الماليون	سرمایه دار	١٣ ٣٧
Independent	المستقل بامرہ	خود مختار	١٦ ٣٨
Irresponsible	غير مسؤول	غير ذمہ وار	١٧ ٣٨
Superficial reformation	الاصلاح الظاهري	ظاهری اصلاح	٤ ٣٩
Realism	الشعور بالحقيقة	حقیقت پسندی	١٦ ٣٩
Hard fact and stark reality	الحقيقة الثابتة	امت اور اتل واقعہ	٤ ٣٩

آراء وأبناء			٤٦٨	
الانكليزية	العربية	الأردنية	ص	س
His Majesty	صاحب الجلالة	عزيز مجدي	٨	٤٠
His Holiness	صاحب قداسة	عزيز هولي نس	١٠	٤٠
His Highness	صاحب سمو	عزيز هائي نس	١١	٤٠
His Lordship	صاحب سيادة	عزيز لارديش	١٣	٤٠
Reconstruction	التشكيل الجديد	تعمير جديد	١٢	٤٢
Jurisdiction	السلطان	حدود اختيارات	٤	٤٤
Metaphysical propositions	قضية تبحث في ما وراء الطبيعة (المسائل الالهية)	ما وراء طبيعت مسائل		٤٣
Abstract Idea	الفكرة المحضة	مجرد تخيل	١٦	٥٦
Administrative, educational, judicial, economic, cultural, and financial policy	النظم الادارية والتعليمية والقضائية والاقتصادية والمالية والاجتماعية	انظامي، تعليمي، عدالتى معاشي، معاشرتي، مالي باليسى	١٧	٥٦
Bloodless Revolution	الانقلاب السلمي	غير خوني انقلاب	١٤	٥٨

* * *

الدين القيم

الانكليزية	العربية	الأردنية	ص	س
Laws of Nature	قوانين الطبيعة	قانون طبيعت	١٤	٧
Observations and Experiments	المشاهدات والتجارب	مشاهدات وتجارب	١٦	٧
Looseness in thought and deed	التفوضى الفكرية والعملية	آواركي فكري وعمل	٣	٨
Personal Behaviour	الشؤون الشخصية	شخصي يرتأو	٤	١١
Administration	ادارة للمملكة	ملكي انتظام	٩	١١
International relations	العلاقات الدولية	بين الاقوام مربوط وتعلق	١٠	١١

الانكليزية	العربية	الاردية	ص	ص
Geographical blocks	الدوائر الاقليمية	جغرافي حلقى	٣	١٥
Racial circles	الدوائر النسلية	نسلى دائرى	٣	١٥
Psychological	النفسية	تفسياتى	١١	١٥
Essence of Humanity	جوهر الانسانية	جوهر انسانيت	١٩	١٥
Sexual differences	الفوارق الصنفية	جنسى اختلاف	١١	١٦
Element	العنصر	عنصر	١٢	١٦
Regulative laws	القوانين المؤثرة العاملة	كارفرما قوانين	١٩	١٨
Measure	المقياس	آله پيمائش	٤	١٩
Component Elements	العناصر التركيبية	عناصر تركيبى	١٦	٢١
Environments	المحيط الكونى	كائناتى ماحول	١٠	٢١
Humanity at large	الانسانية الكبرى	انسانيت كبرى	١٢	٢٢
{ Universal and eternal principles	مبادئ عالية خالدة	همه گيرازلى وابدى اصول	١٦	٢٥
Characterless opportunist	الذي لا مبدأ له ولا غاية	بى اصولا، نرا ابن الوقت	٨	٢٧
General will	الشيئة العامة	خواهشى عام	١١	٣٠
Ultimate problems	المسائل النهائية	مسائل عاليه	١٤	٣٠
Social Life	الحياة الاجتماعية	مجلسى زندگى	١٣	٤٩
National Behaviour	الخطوة القومية	قوى طرز عمل	١٤	٤٩

النهضة العربية في العصر الحديث

— حقائق تاريخية عنها —

مقدمة البحث

رد على كاتب فرنسي

وجد الأستاذ الرئيس محمد كرد علي في مجلة «لاروس» الباريزية مقالاً لكاتب فرنسي عن «العالم العربي» جاءت فيه حقائق ، وجاءت فيه تمويهات ، أملت عليها الأهواء السياسية ، منها ما يتنافى وأبسط المعلومات الجغرافية ، مما دعا الأستاذ الرئيس الى الدفاع عن «الحقائق الموهمة» برد مقتضب ولكنه مفهم ، ظهر منشوراً في الجزء الرابع من مجلة انجمن العلمي العربي (تشرين الاول ١٩٤٨) تحت عنوان «تمويه الحقائق» ومما جاء فيه قول الرئيس :

ومن أغرب التمويه الذي وقع لهذا الكاتب : ان نصارى لبنان وسورية هم الذين بعثوا النهضة العربية ثم تولت مصر الى كبرها ، وهي نعمة طالما رددتها بعض جهلة اللبنانيين ، فزعموا ان لبنان سبق مصر التمدن وانه هو الذي علمها ومدنها ، مع ان مصر تقدمت لبنان الى العلم بنحو جيلين . والدليل ان مدارس الطب واللغات والترجمة والادارة والصنائع والهندسة في مصر أنشئت قبل انشاء الجامعات الأميركية واليسوعية في بيروت بأكثر من خمسين سنة ، وما كان في لبنان ولا في سورية وفلسطين قبل ان تنهض مصر من يقيم للعلوم المادية وزناً . وبينما كانت كتب الطب والزراعة والحیوان والنبات والكيمياء والفنون الحرة والتاريخ والجغرافيا وغيرها تتناقلها الأيدي في العالم العربي ، وهي من تعريب المصريين الذين تعلموا في أوروبا على عهد حكومة محمد علي الكبير - كان ابن لبنان لم يعمل الى أكثر من السواعة « ١٥ » .

راهب تغضب الحقائق

وكان الأب يوحنا الفاخوري البولسي ممن قرأ رد الأستاذ الرئيس ، فغضب

من الحقائق تنشر ، وفيها انتقاص مما يدعيه أمثاله ، وكان غضبه مقالاً نشره في « مجلة المسرة » التي تصدرها في حريصا « لبنان » البطريركية الكاثوليكية ، بلغ اثنتي عشرة صفحة من العدد التاسع الصادر في تشرين الثاني سنة ١٩٤٨ . وجاء محشواً بمثل هذه الجمل والألفاظ :

١ - لم ينزه قلمه - يريد الأستاذ الرئيس - عن الطعن باللبنانيين في شيء أو كثير من الاحتقار والازدراء .

٢ - دبدبته التحرش بلبنان واللبنانيين .

٣ - كتابة يتأبأها كل من اطلع على حقيقة التاريخ ، وترفع عن الأوهام والعصبيات .

٤ - في كلام الأستاذ من « تمويه الحقائق » ومن التعريض بالكرامات ما يدعو الى تنفيده وتمييز غثه من سمينه .

٥ - وانتالتمجب اشد العجب من ان « علماً » من علماء العربية ، و « مؤرخاً » من مؤرخي العرب ، و « رئيساً » للمجمع العلمي العربي يجرؤ على مثل هذه الكتابة ، والمناداة بأراء بعيدة عن الصواب ... كذا ! .

٦ - من أين استقى الأستاذ معلوماته ؟ أمن اقوال بعض الجرائد ، أم من وحي الهمم والم عاطفة الهاجعة ، أم من بعض « كتابيب القرية » ؟ ... !

٧ - وفي هذا القول أيضاً اندفاع عاطفي أكثر مما فيه علم حقيقي .

ونحن اذ نذكر هذه الجمل يخاطب بها الأستاذ الرئيس مثل الأب فاخوري ، نمر عليها من الكرام فهي دون ما يجب الاهتمام له من « عالم » او « مؤرخ » فضلاً عن « رئيس مجمع علمي » ، ويميزنا الرد على ما في المقال من « تمويه جديد للحقائق » .

الحقائق التي تضمنها رد الأستاذ الرئيس

تضمنت الفقرات التي أغضبت الأب فاخوري من رد الأستاذ الرئيس على الكاتب الفرنسي الأمور التالية :

١ - ان مصر تقدمت لبنان الى العالم بنحو جيلين :

٢ - ما كان في لبنان ولا في سورية وفلسطين ، قبل ان تنهض مصر ،
من يقيم للعلوم المادية وزنا .

٣ - بينما كانت كتب العلوم تنشر في مصر لم يكن الرجل العادي في لبنان
يهتم لاكثر من الكتب الكنسية .

تحديد البحث الذي سنعالجه

هذا هو الموضوع الذي أضرمه الأب يوحنا فاخوري ، وادجب علينا بذلك
ان نبحث عن الحقيقة لتعرضها سافرة فتكون فصل الخطاب في هذا الموضوع
الدقيق . ونحن سنفرد بحثاً خاصاً للكلام عن الحقائق التي تضمنها كلام الأستاذ
الرئيس ، ثم نعالج في بحث آخر المظاهر المختلفة للنهضة العربية التي جاء الأب
فاخوري على ذكرها ، ونخصص بحثاً ثالثاً للكلام عن الفكرة العربية في دولة
محمد علي ، ثم نختم كلامنا ببيان حدود الخدمات التي أداها اللبنانيون لآداب اللغة
العربية كما يعترف بذلك المنصفون .

* * *

المبحث الأول

اثبات الحقائق بالأرقام

أسبقية مصر الى العلم

لم يطلق الأستاذ الرئيس قوله : « ان مصر تقدمت لبنان الى العالم بنحو جيلين »
اطلاقاً بلا حجة ، بل أردفه بالسند القوي ، وألحقه بالدليل الواضح الذي لا غموض
فيه ولا لبس ، اذ قال مباشرة بعد جملة المذكورة : « والدليل ان مدارس الطب
واللغات والترجمة والادارة والصنائع والهندسة في مصر أنشئت قبل انشاء الجامعات
الاميركية واليسوعية في بيروت بأكثر من خمسين سنة » .
وأنا لا أعتقد ان صحة هذا الدليل الذي قدمه الأستاذ بتطرق اليها أدنى شك
عند أقل الناس الملمين بتاريخ التعليم في مصر وفي سورية ، ونظرة واحدة الى تواريخ

انشاء المدارس في عهد محمد علي تكفي برهاناً لغير المكابرين ، وهذا جدول
باسماء تلك المدارس وسنة افتتاح كل منها :

- ١ - مدرسة للموسيقى العسكرية انشئت سنة ١٨٢٤
- ٢ - مدرسة الحرية التجهيزية = = ١٨٢٥
- ٣ - مدرسة اركان الحرب = = ١٨٢٥
- ٤ - مدرسة الطب والصيدلة = = ١٨٢٦
- ٥ - مدرسة الكيمياء العملية = = ١٨٢٩
- ٦ - مدرسة المشاة = = ١٨٣١
- ٧ - مدرسة الفرسان = = ١٨٣١
- ٨ - مدرسة المدفعية = = ١٨٣١
- ٩ - مدرسة البحرية = = ١٨٣١
- ١٠ - مدرسة طب الحيوان = = ١٨٣١
- ١١ - مدرسة التعدين = = ١٨٣٤
- ١٢ - مدرسة الهندسة = = ١٨٣٤
- ١٣ - مدرسة الزراعة = = ١٨٣٧
- ١٤ - مدرسة الولادة = = ١٨٣٧
- ١٥ - مدرسة الادارة والحسابات = = ١٨٣٧
- ١٦ - مدرسة الآلسن والترجمة = = ١٨٣٧
- ١٧ - مدرسة الصنائع والفنون = = ١٨٣٩
- ١٨ - مدرسة القوايل = = ١٨٤٢

هذه هي المدارس التي افتتحها محمد علي لتدرس العلوم المختلفة باللغة العربية ،
وقد بلغ عدد تلامذتها سنة ١٩٣٩ ما يقرب من « ٩٠٠٠ » تلميذ^(١) ، كانوا
تباشير النهضة العربية بما اكتسبوه من علم وثقافة شهد بدرجةها الرفيعة كثير

(١) راجع : تاريخ التعليم في مصر وتاريخ الأقطاب العربية .

من الأجانب ، نقل وشلا منها لمعرفة ذلك المستوى الذي أوجده محمد علي في مدارس أحب ان تكون نواة نهضة الأمة العربية بأسرها . قال « سكوت » في كتابه عن مصر ^(١) : « وكان طلبة مدرسة المدفعية يتعلمون الحساب والهندسة والجبر والرسم والاستحكامات ولغة أجنبية ، فاما الانكليزية او الفرنسية او الايطالية ، أما اللغة التركية فكان الجميع يتعلمونها على السواء » . وقد حضر الأمير بوكروموسكو الألماني بعض التمارين الحربية ، وما وصفها به قوله : « ولا أذكر مطلقاً اني رأيت قبل اليوم تمريناً يقوم به طلبة ما بهذا المستوى النادر ^(٢) » .

أما مستوى مدرسة الطب فيكفي أن نذكر ان مديرها الطيب الفرنسي « كلوت » أحب اثبات مقدرة طلابه فاستصحهم معه في احدى السنوات الى باريس وجعلهم يؤدون امتحاناتهم مع الطلبة الفرنسيين في جامعة باريس سواء بسواء . وحتى مدرسة الموسيقى لم تعد من يشهد بمهارة طلابها فقد ذكر « سانت جون » ان بعض كبار الأجانب قد زاروها « واعجبوا ببراعة تلاميذها في فهم الموسيقى الغربية ، وعزف أدق القطع لأهمر الموسيقيين الايطاليين والفرنسيين ^(٣) » .

ان كل هذه المدارس التي أنشأها محمد علي ، تم افتتاحها كلها خلال الربع الثاني من القرن التاسع عشر ، بينما يعرف أقل الناس اطلاقاً على تاريخ تأسيس الجامعتين الامريكية واليسوعية في بيروت ان الأولى أسسها المبشرون الامريكيون سنة ١٨٦٦ ، وان الثانية أسسها الآباء اليسوعيون سنة ١٨٧٤ ؛ وما أظن أحداً يماري في هذه الحقائق الثابتة وهي تعطي الدليل القاطع على صحة ما أورده الأستاذ الرئيس ، نحن لا نشك مطلقاً بثقافة الأب فاخوري وسعة اطلاعه ، ولا نشك أبداً بأنه يعرف كثيراً من الأدلة التي تؤيد كلام الأستاذ الرئيس ، كما أننا لا نشك انه قرأ كتب جرجي زيدان وقوله : « وظلت مدرسة الطب المصرية

(١) الجزء الثاني ص - ٢٣١ عن ثابت .
 (٢) في كتابه عن مصر ص - ١٧٦ عن ثابت .
 (٣) في كتابه ج ٢ ص - ٤٠٠ عن ثابت .

وحيدة في العالم العربي نحو اربعين سنة ريثما أنشئت المدرسة الكمية الاميركية في بيروت^(١) .

تأخر ظهور العلوم المادية في لبنان

وقال الأستاذ الرئيس في رده : « وما كان في لبنان ولا في سورية وفلسطين قبل ان تنهض مصر من يقيم للعلوم المادية وزناً » وقوله هذا لا يحتاج الى دليل وقد قدمنا الكلام عن المدارس التي افتتحت في عصر محمد علي لتدريس العلوم المادية ، من طب وهندسة ورياضيات ، والتي أمدت مصر بعلماء عاملين يوم لم يكن في سورية ولا في لبنان علماء عاملون ! وهل يمكن القول بأسبعية لبنان في العلوم المادية ولم تكن الجامعتان الأميركية والبسوعية قد افتتحتا عندما كانت مدارس مصر تخرج الأطباء والمهندسين والضباط ؟ ولم يقل أحد بأنه كان في لبنان قبل هاتين الجامعتين مدارس للطب او للهندسة ، الا ان يكون هذا من قبيل « الاوهام » التي يجب أن يترفع عنها « العلماء » و « المؤرخون » ، وجميل هذا الاستشهاد بكلام المؤرخ المحقق جرجي زيدان الذي استند الأب فاخوري كثيراً الى أقواله في الرد على الأستاذ الرئيس ، ولكنه ما نقل عنه الا ما يرضي كبرياءه ورغبانه ، قال زيدان^(٢) :

« للمدارس الحديثة في سوريا تاريخ يختلف عن تاريخ المدارس في شقيقتها مصر فقد علمت ان الباعث على انشاء المدارس المصرية رغبة محمد علي في النهوض بالأمة المصرية واحياء آداب اللغة العربية ، أما سوريا فكان الباعث على انشاء المدارس فيها على الأكثر منافسة الارساليات الدنيقة او البعثات التبشيرية . ولقد عدد زيدان المدارس التي كانت في لبنان قبل سنة ١٨٦٠ ، اذ بدأت النهضة الحقيقية^(٣) ، على حد قوله ، فكانت كلها من مدارس الكهنة والارساليات

(١) تاريخ آداب اللغة العربية ج ٤ ص ٣٧ .

(٢) « » » » ج ٤ ص ٤٦ .

(٣) « » » » ج ٤ ص ٤٧ .

الدينية والتبشيرية الأجنبية ، وأقدم المدارس التي يمكن أن تذكر في تاريخ النهضة العلمية يعود تاريخها الى سنة ١٨٣٤ يوم افتتح الآباء العازاريون مدرسة «عبطورا» وتبعهم سنة ١٨٣٥ القس «طمصن» بفتح مدرسة في «بيروت» ثم في «عبيد» سنة ١٨٤٧ ، وفي هذه السنة نفسها فتح الآباء العازاريون مدرسة «غزير» ، وبكفي للمقارنة ان تذكر ان مجموع المكاتب الابتدائية التي انشئت في القطر المصري من سنة ١٨٣٣ حتى سنة ١٨٣٦ بلغ ٦٧ مكتباً^(١) . وفي تقرير رسمي مرفوع من قبل مدير ديوان المدارس سنة ١٨٤١ ان مدارس الحكومة الابتدائية موزعة في القطر المصري على الشكل التالي :

٣	مدارس بالقاهرة فيها	٦٠٠	تلميذ
١	مدرسة بالاسكندرية فيها	٣٠٠	تلميذ
١	مدرسة بلسيوط فيها	٢٠٠	تلميذ
٤٥	مدرسة بالأقاليم في كل منها	١٠٠	تلميذ
٥٠٠		٥٥٠٠	

وفي سنة ١٨٣٦ - ١٨٣٧ الدراسية كان في كل من القاهرة والاسكندرية مدرستان ثانويتان فيها ٢٠٠٠ طالب ، وفي سنة ١٨٣١ - ١٨٣٢ الدراسية كان عدد تلامذة معهد الطب ٣٠٠ ، تلك المدرسة التي أمدت الجيش المصري خلال خمس سنوات منذ تأسيسها بنحو من ١٥٠ طبيباً^(٢) .

ولست أدري بعد كل هذا أبقى الأب فاخوري على اعتقاده بان العلوم المادية في لبنان كان لها شأن موزون قبل ان تعنى بها مصر ، وقبل أن يأمر محمد علي بفتح أبواب المدارس من أجل «تعليم وتثقيف أبناء العباد^(٣)» ؟ !

حال لبنان عندما بدأت مصر بنشر الكتب العلمية

يذكر الاساذ الرئيس في كلامه كتب الطب والزراعة والحیوان والنبات

(١) تاريخ التعليم في عصر محمد علي من ١٨٩٠ .

(٢) تاريخ التعليم في عصر محمد علي من ٢٦٥ .

(٣) دفتر ٥٨ ص ٩٢ الى عمرم آغا في ١٩ ذي القعدة ١٢٤٩ راجع تاريخ التعليم .

والكيمياء والفنون الحربية والتاريخ والجغرافيا، التي نشرت بمصر يوم كان لبنان فقيراً من كتب هذه العلوم لعدم وجود المدارس التي تدرسها، أو وجود علماء يمتنون بها، وكل من يتصفح تاريخ الحركة العلمية في مصر يعرف قيمة الكتب التي طبعت في عصر محمد علي والتي أخذت بحق تصل حاضر الأمة العربية بماضيها بعد ان انقطعت عن العلوم المادية زمناً طويلاً .

وبكفي أن نذكر ما اتصل بنا من أسماء الكتب العلمية التي أشار إليها الأستاذ الرئيس وطبعت في عهد محمد علي، والتي سبق انتشارها بين أيدي القراء في العالم العربي انشاء الكيتين الاجنبيين في لبنان بنحو ربع قرن أو يزيد . ونحن لا ندعي استقصاء كل ما طبع من الكتب العلمية في مصر ايام حكم محمد علي، وما على الراغبين في الاستقصاء الا الرجوع الى الكتب التي عالجت هذا الموضوع أو زيارة المكاتب العامة ليتحققوا بأنفسهم ويلمسوا بأيديهم آثار تلك النهضة العجيبة، وسنذكر فيما يلي المطبوعات سنة فسنة :

سنة ١٨٣٢ (١٢٤٨ هـ)

١ - القول الصريح في علم التشريح

٢ - المنفعة في سياسة الصحة

٣ - قانون الصحة

سنة ١٨٣٣ (١٢٤٩ هـ)

٤ - رسالة في علم اليطارية

٥ - التوضيح لألفاظ التشريح (في علم اليطرة)

سنة ١٨٣٤ (١٢٥٠ هـ)

٦ - رسالة في الطاعون

٧ - رسالة في علاج الطاعون

٨ - متعى الأغراض في علم شفاء الأمراض .

سنة ١٨٣٥ (١٢٥١ هـ)

٩ - رسالة فيما يجب اتخاذه لمنع الجرب والداء القرنجي

١٠ - مبلغ البراح في علم الجراح

١١ - كتاب التشریح العام

١٢ - التحفة الفاخرة في هيئة الأعضاء الظاهرة

سنة ١٨٣٦ (١٢٥٢ هـ)

١٣ - نبذة في تطعيم الجدري

١٤ - دستور الأعمال الاقرباينية لحكام الديار المصرية

سنة ١٨٣٧ (١٢٥٣ هـ)

١٥ - نبذة في أصول الفلفة الطيعة

١٦ - نبذة في التشریح المرضي

١٧ - كتاب الاقرباين

١٨ - قانون تعليم الماكر الجهادية المشاة

سنة ١٨٣٨ (١٢٥٤ هـ)

١٩ - الأزهار البديعة في علم الطبيعة

٢٠ - كتاب الأربطة الجراحية

٢١ - الدراسة الأولية في الجغرافية الطبيعية

سنة ١٨٣٩ (١٢٥٥ هـ)

٢٢ - نزعة الأنام في التشریح العام

٢٣ - الأصول الهندسية

٢٤ - تحفة الرياض في كليات الأمراض

٢٥ - المادة الطبية اليطرية

سنة ١٨٤٠ (١٢٥٦ هـ)

٢٦ - المعجالة الطبية فيما لا بد منه لحكام الجهارية

- ٢٧ - متعى البراح في علم الجراح
 ٢٨ - روضة الازكيا في علم الفسيولوجيا
 ٢٩ - ضياء النيرين في مداواة العينين
 ٣٠ - ثمرة الاكتساب في علم الحساب
 ٣١ - كتاب الجبر والمقابلة

سنة ١٨٤١ (١٢٥٢ هـ)

- ٣٢ - الدر اللامع في النبات وما فيه من المنافع
 ٣٣ - تزهة المحافل في معرفة المفاصل
 ٣٤ - الأقوال المرضية في علم بنية الكرة الأرضية

سنة ١٨٤٢ (١٢٥٨ هـ)

- ٣٥ - تزهة الرياض في علم الأمراض
 ٣٦ - طالع السعادة والاقبال في علم الولادة وامراض النساء والأطفال في جزأين

سنة ١٨٤٣ (١٢٥٩ هـ)

- ٣٧ - رسالة في مرض الحمى
 ٣٨ - نبذة في تطعيم الجدري
 ٣٩ - روضة النجاح الكبرى في العمليات الجراحية الصغرى
 ٤٠ - أحسن الأغراض في التشخيص ومعالجة الامراض في اربعة مجلدات
 ٤١ - رضاب الغائيات في حساب المثلثات
 ٤٢ - افاضة الأذهان في رياضة الصبيان

(يتبع) الدكتور عدنان الخطيب



فهرس الجزء الثالث من المجلد الرابع والعشرين

الصفحة

٣٢١	الألفاظ السريانية في المراجع العربية (٦)	• • • • •	للطريقك مار اغناطيوس انرام الأول
٣٤٣	كتوز الأجناد (١٢)	• • • • •	للأستاذ محمد كرد علي
٣٥٥	تحقيقات مجيبة (٤)	• • • • •	للأب مرمجي النونكي
٣٧٢	جزء من رواية أبي عمر الزاهد غلام ثعلب (٢)	• • • • •	للأستاذ أ. ج. اريري
٣٨٥	دراسات لما قبل التاريخ في سوريا	• • • • •	للأب يوسف نصر الله
٣٩١	خطوة رسالة المآخذ	• • • • •	للأستاذ عبد القادر المغربي
٣٩٥	القول الناجع في انقلاط الشائع	• • • • •	للدكتور مصطفى جواد
٤١٧	الموفي في النحو الكوفي	• • • • •	للأستاذ محمد بهجة اليطار
٤٣٣	البلاغة بين اللفظ والمعنى	• • • • •	« نعم الحمفي »

التعريف والتقد

٤٥٠	كتاب في السياسة	• • • • •	للأستاذ محمد كرد علي
٤٥١	نظرة عامة في فكرة الحق والالتزام	• • • • •	« محمد بهجة اليطار »
٤٥٥	خلال الأيام	• • • • •	للدكتور سامي الدهان

آراء وأبناء

٤٥٨	نص حكام ثعلب بين الفقه والدين	• • • • •	للأستاذ عبد القادر المغربي
٤٦٢	ثلاث رسائل من منشوراتنا العربية	• • • • •	« مسعود الندي »
٤٧٠	النهضة العربية في العصر الحديث	• • • • •	للدكتور عدنان الخطيب

مجلة المجمع العلمي العربي

١ تشرين الأول سنة ١٩٤٩

٩ ذي الحجة سنة ١٣٦٨

الألفاظ السريانية في المعاجم العربية

- ٧ -

تابع حرف الفاء

المفتحة كمحدثه : طائر اسود أصل ذنبه أبيض (الشرتوني ٩٣٨) لعلها معربة من السريانية **فككوو** (الباب والدليل)^(١) .

افتقد : افتقد الشيء طلبه عند غيبته **أفكاد** Efkad : أورد حنين بن اسحق هذه اللفظة في قوانينه في الألفاظ المنسوبة إلى عثايشوع وإلى ص ٢ قال : **أفكاد** **أفكاد** Ethsqadt , Ethbait ومعناها : افتقدت أي طلبت ، واستشهد بآية وردت في سفر صموئيل الأول ٢٠ : ٢٧ وقد

(١) **فككوو** faqouo : ثمر التين قبل نضجه أوردما ابن بهلول عمود ١٥٩٨ واليد أودو في معجمه ٢ : ٣٣٩ . وذكرها صاحب الباب ٢ : ٣٣٨ والدليل ص ٦٠٣ وعرباها بالفتحة ولم ترد في المعاجم العربية وإنما يستعملها عامة أهل الشام . وقال ابن بهلول أيضا في جمها **فككوو** : التين الأخضر .

« الفالنج » وأصله بالسريانية (فالغا) ويقال له أيضاً « فلنج » وقال ابن سيده في المحكم : يقال للقفيز بالسريانية « فالغا » وأعرجه العرب فقالت « فالج » ١٢ : ٢٦٤ . وفي اللسان « والفالج والفلج » مكيال ضخيم معروف ، وقيل هو القفيز وأصله بالسريانية « فالغا » فرب . وفي الأساس ٢ : ٢١٢ فلجوا الجزية بينهم قسموها ، واكتل بالفلج والفالج وهو مكيال ضخيم ، ويقال لقاسم أنصباء الجزور : المفلج . فلج الشيء بينهم كفلججه قسمه نصفين ، والشيء شقه فلجج بين اي نصفين . والفلج النصف ، والفلج المكيال الذي يقال له بالسريانية (فالغا) وفي معجم البلدان ٦ : ٣٩٣ الفلج في لغتهم القسم يقال هذا فلجي اي قسمي . وفي مجلة الجمع مج ١٦ - ٥٩ وما بعدها عن المغرب في ترتيب العرب للمطرزي المتوفى سنة ١٢١٣ م « الفالج في التهذيب نصف الكر الكبير ، والفلج : المكيال الذي يقال له بالسريانية (فالغا) ومنه حديث عمر ، انه بعث حذيفة وابن حنيف الى السواد (ففلجا) الجزية على أهله ، فرضاها وقسمها ، وانما أخذوا القسمة من هذا المكيال لأن خراجها كان طعاماً . ومنه : الفالج : في مصدر المفلوج لأنه ذهب النصف . (عن ابن دريد) ١٥ . فلنا المادة مريانية **فَلَّي** ، **فَلَّي** Falègh , Flagh : فلج . شطر ، قسم ، قاسم ، فلج ، شطر ، قسم و **فَلَّي** Pelgo : فلج ، شطر ، قسم ، داء الفالج . و **مَفَلْجُونُو** Mfalghono : مفلج ، مقسم و **فَلْجُو** Folgho : فلج مكيال ، فالج (داء معروف) (١) .

(١) قيد : لياقة شمع لا تزال مستعملة في بعض ريع السريان في ما بين النهرين والشام ، أخذت من لفظة **فَلَّي** Fanto الفارسية ، ومعناها مصباح ، (فانوس اليونانية Phan - os) فندق : قال الجواليقي ص ٢٣٩ : « الفندق باقة أهل الشام ، خان من هذه الخانات التي ينزلها الناس مما يكون في الطرقات والمدائن » اللفظة يونانية Pantokhei - on المنزل ، محط للرحال . قلنا السريان يلفظونها **فندق** ، **فندق** Foudqo , Fandqo وقلبوها **فندق** Foutqo أيضاً .

فُهر : الفهر تعريب قوريم ج فُور بالعبرية ومعناه قرعة ، وهو عيد لليهود يسمونه عيد القوريم . اخذه السريان فقالوا فيه فُهرمة / Fouhro وعنوا به : دعوة ، وليمة ، مأدبة . قال ماري بن سليمان في كتاب المجدل ص ٣ و ٤ وقد أورد اللفظة بالحاء (فخر تبعاً للسريانية « وكان الخموس لهم عادة عمل الفخر وكان للشبان فخر وهو دعوة يجتمع الناس فيها على وجه الدين بشرائط معينة . . . واعتل بعد أيام خليفة رئيس الفخر » وفي الأساس ١ : ٢٢٠ وكانهم (اليهود) خرجوا من فُهرم وهو مدراسهم تعريب 'فهر' بالعبرانية . فُهرمة / Fouhro .
 قَيْجَن : القَيْجَن : السذاب ، قال ابن سيده في المختص عن ابن دريد ١٠ : ١١ « ولا أحسبها عربية صحيحة » ومثله في شفاء الغليل ص ١٤٧ قَيْجَنُ
 Fegno وفي الجواليقي ٢٤٢ قال أبو بكر « السذاب لغة شامية وقال في ٣ : ٣٥٧ ولا أعلم للسذاب اسماً عربياً لأهل الحجاز ، إلا أن أهل اليمن يسمونه (الخُتف) »

* * *

حرف القاف

قاري : قال صاحب أقرب الموارد « القاري من دخل في أصفر درجات الرهبانية (نصرانية) ويستدرك عليه أن القاري » من دخل في إحدى درجات الشمسية الصفري ، ووظيفته تلاوة كتاب الله على جماعة المؤمنين » وكذا غلط صاحب المحيط بقوله « القاري هو المتنسك المتعبد » واللفظة سريانية هُهْمُل
 • Korouio

قافوزة : قافوزة : قال التبريزي في تهذيب الاصلاح : القافوزة مولدة وانما هي القافوزة ، والقافوزة وهي اناة من آنية الشرب ١ : ١٧٨ . وقال الاسكافي ص ٥٧ الصاعرة المشربة ، والقافوزة نحوها . وقيل هي للشراب جلد مرقق .
 وقال الجواليقي ص ٣٧٣ « وقال (الليث) القافوزة اناة من آنية الشراب وهي القافوزة والقافوزة أيضاً . ويقال انها معربة ، وليس في كلام العرب ما يفصل

الف بين حرفين مثلين مما يرجع الى بناء (ققز) ونحوه . والجملة الأخيرة من كلام الليث قلها عنه صاحب اللسان . وخلص الخفاجي هذا الشرح في شفاء الغليل ص ١٥٨ وفي القاموس : القاقوزة ، مشربة او قدح او الصغير من القوارير والطاس . وقال ابن قتيبة في أدب الكاتب : ولا تقل قاقوزة . قال الاقيشر الأسدي :

افنى تلادي وما حُجمتُ من نَسَبٍ قرعُ القواقيزِ افواه الأباريق^(١)
وزعم صاحب الأغاني ١ : ٢٢٣ انها فارسية معربة . اقول هي لفظة صريانية **ܟܘܥܘܙܐ** Kocouzo : ومعناها : دُبَّة ، زُجاجة ، قارورة ، وقيل الصغيرة من القوارير^(٢) .

قانونة البناء : نُرْ ، زنج . صريانية **ܟܢܘܢܐ** Knouno
Knountho : شاقول البناء .

قُدُس : وقُدُس ومشتقاتها مادة سامية . قُدُس ، طَهْر ، وتبارك ، وقُدُسُه الله طَهْرُه وتبارك عليه ، والقُدُس الطَهْر والبركة ، والقُدُوس من اسماء الله جل ثناؤه أي الطاهر المنزه عن كل عيب . وبالسريانية **ܟܕܝܫܐ** Kadesh وفي سفر الأيام الأول ١٨ : ١١ « وهذه أيضاً قدسها الملك داود للرب » أي جعلها مقدسة خاصة بخدمة الله ، وفي سفر اللاويين ١٩ : ٢٤ « يكون كل ثمرها قُدُساً لتحجيد الرب » وفيه أيضاً ١١ : ٤٤ « لأنني قدوس » وفي المزمور ٩٣ : ٥ « بيتك تليق القداسة يا رب طول الأيام » ومنها المقدس ، وفي سفر الخروج ١٥ : ١٧ « لقد أقمت يا رب مقدسك موضعاً لسكنائك . **ܟܕܝܫܐ** Koudsho **ܟܕܝܫܐ** Kadisho قدوس ، قدس . **ܟܕܝܫܐ** Kadishoutho **ܟܕܝܫܐ** Koudsho

(١) الأغاني ١١ : ٢٧٦

(٢) قانون : فريضة ، سنّة ، قال ابن سيده في المحكم « قانون كل شيء ، طريقه وقيل له ، وأراها دخيلة » . والقانون أيضاً : تشيد متور يتلوه الروم والسريان في أدينتهم ، واللفظة يونانية الأصل Kanōn ومنها اتخذها السريان **ܟܢܘܢܐ** Konouno والعرب .

Makdsho مقدس . وقُدس الأقداس : وهو موضع من الهيكل كان يدخله عظيم الأُجبار عند اليهود مرة في السنة ، وعند المسيحيين السريان : هو المذبح الذي عليه يُقرب الكهنة والأُجبار القربان الإلهي ، ويعني أيضاً القبة التي تظلل هذا المذبح ܡܕܝܬܐ ܩܕܝܫܐ ، ܩܕܝܫܐ Kdoush , Koudshe وفي شعر أُمّية بن أبي الصلت ورد « المقدّس » بمعنى القدوس قال :

فكل مُعَبَّرٌ لا بدَّ يوماً وذي الدنيا يصيرُ إلى الزوال
وبقَى بعد جِدَّتِهِ ويَبْلَى سوى الباقي المقدس ذي الجلال

ومن المادة :

القُدّاس : وهو القربان الإلهي من الخبز والخمر الذي تُتلى عليه دعوات خاصة ، لفظة مسيحية سريانية ܩܕܝܫܐ Koudsho والجمع قداديس ^(١) . والفعل : قَدّسَ ܩܕܝܫ Kadesh : أقام القداس . ومنها :

القَدِّيس : وهو المؤمن الذي يسير بحسب الشريعة الإلهية ويتوفى طاهراً فاضلاً ، سريانية مسيحية ܩܕܝܫܐ Kadisho وهي (قديسة) ܩܕܝܫܐ Kadishto وجمع الأولى قديسون والثانية قديسات ^(٢) . وورد فعل ܩܕܝܫ أي طَهَّرَ ويرر في العبرية Qaddeshe و ܩܕܝܫ : قَدّس (معجم يرون ص ٥٦٥) وفي اللغة الأكدية : Uqaddash : طَهَّرَ ، قَدّس ، و Qaddushu : نَقَّى ، قَدِّيس ، ومن السريانية أخذتها الحبشية فجاء فيها Qaddash : قَدّس ، بَارَك ، أقام القداس ، و Qeddus قَدِّيس ، قَدّوس الخ . ومن السريانية اقتبست العربية هذه المادة .

(١) وُجِعَ في كتاب انناموس للروم : قَدّاسات ، قال في قوانين ايغانيوس عدد ١٠١ : القَدّاسات التي تُقدّس في ... » وهكذا في كتاب مصباح الظلمة للقس ابي البركات ابن كبر القبطي الذي طبع الجزء الأول منه في باريس سنة ١٩٢٨ قال « وترتيب طقوسها واوضاعها في الآحاد والأعياد والصلوات والقَدّاسات » ص ٨ و ٥٣ .

(٢) ورد هذا اللفظ في رسالة كتبها الخليفة المقتني لأمر الله إلى الحسن بن أحمد الطار الهمداني قال « فان الأب القديس النقيس » أخذاً من الاستعمال المسيحي ، وأضاف إلى قوله « خامس أولي العزم » (معجم الأدباء لياقوت ٨ : ١١) .

قرب : القربان لله قدمه — وقرب الكاهن فلاتاً ناوله القربان — (نصرانية ،
 سريانية وتوافقها العبرية) קָרֵב Karēb والاسم القربان :
 قُربان : في اقرب الموارد : القربان كل ما يقترب به الى الله تعالى من
 ذبيحة وغيرها ، وعند اليهود ما يقدمونه من التقدمة ، وما يقدمه الكاهن من
 الخبز والخمر (نصرانية) وفي كتاب المرشد لابن جرير السرياني : الباب ٥١
 « القربان » اسم سرياني دخيل في اللغة العربية معناه الهدية ويسمى قراب أيضاً
 واشتقاقه من الدنو والقرب « ١٥ » ، وفي سفر التكوين ٤ : ٣ « قدم من اثمار
 الأرض قرباناً » وفي القرآن : « اذ قربا قرباناً » وفي طبقات الأطباء ١ : ١٤٦
 « صحة القربان بالخبز والخمر — وحكي الكلي ان النعمان دخل (الدير) في بعض
 اعياده فرأى امرأة تأخذ قرباناً . فدعا الراهب الذي قربها وسأله عنها » .
 كُورْبُونُ Kourbono ، لفظة سريانية توافقها فيها اللفظة البابلية Kurbannu
 او Kurbannu بمعنى : عطية ، مقدمة ، والفعل Karabu : ومعناه اكرم
 الآلهة بالصلاة . « الديانة الآثورية البابلية للآب بولس دورم ص ٢٨٤ و ٢٤٧ »
 والعبرية « معجم يرون ص ٦٠٥ » .

قربان : فصل معين من كتاب الله العزيز يُقرأ في البيعة قبل القداس في
 الآحاد والأعياد وغير ذلك والجمع قربانات ، وهو لفظ سرياني كُورْبُونُ Kériono
 وفي تاريخ عمرو بن متى ص ١١٩ « وقرأ عليه القربان الاول ابراهيم قس دير
 مار كليليشوع ، والقربان الثاني ابو الفرج قس بيعة درب القراطيس » .
 قريب : بمعنى عراب اي كفيل المعتمد ، لفظ سرياني مسيحي كُورْبُونُ Karibo .
 قَسْطَل : قال ياقوت في معجم البلدان ٧ : ٨٦ « القسطل في لغة العرب الغبار
 الساطع ، وفي لغة أهل الشام الموضع الذي تغترف منه المياه ، وفي لغة أهل
 المغرب : الشاه بلوط الذي يؤكل » وقال الخفاجي في الشفاء ص ١٦٣ هو غير
 عربي عربي المولدين . قلنا هو بالمعنى الذي يريد به أهل الشام سرياني كُورْبُونُ

kastolo ومعناه عين ماء ، وقال مؤلف كثر اللغة السريانية ٢ : ٤٤٥ « ومنه في حلب المواضع التي تغترف منها المياه في شوارعها » .

القَس : قَسَّ فلان قُسُوسَةً وقَسِيَةً ، صار قَسِيَسًا وجمع القَس قسوس ، ومثله القَسِيَس وجمعه قَسِيَسُونَ وقُسَاتَان وأَقِيَّة . وهو دون الاسقف وفوق الشماس ، والقَسِيَسه درجة لا رتبة . فان بعض الرتب تتقدم عليها كرتبة اخور اسقف ، ورأس الدير ، ومقدم الكهنة . واللفظة ومشتقاتها سريانية كَشُ kasho كَشَمَعًا kashisho كَشَمَعَةً kashishoutho ومعناها اللغوي : الشيخ ولا فعل بالسريانية يعني معنى القَس . ومع هذا فقد قال ابن ابي أصيبعة في طبقاته ٢ : ٨٩ في جنازة سهلان الطبيب الملكي « ثم أخرج من الكنيسة بعد ان قُسَّ عليه بقية ليلتهم الى دير القصور » اي صلى القسوس عليه . ولم يرد هذا الفعل لا في السريانية ولا في العربية . ويُستدرك على صاحب الأساس في قوله ٢ : ٢٥١ « قَسَّ النصارى رؤسهم وكبيرهم » وعلى الاسكافي في قوله ص ١٩١ « القس كبير النصارى المتعبدين » وكذا قول التاج ٤ : ٢١٧ « رئيس النصارى في الدين والعلم » ، وقول الجوهري : القَسَّ رئيس من رؤساء النصارى في العلم والدين ، والقيومي في المصباح ص ٢٧٤ « القسيس بالكسر عالم النصارى والقس لغة فيه » وخصوصاً قول الفيروزابادي ٢ : ٢٤٠ « القس » (بالفتح) رئيس النصارى في العلم » وقد تقدم مؤلف الجاسوس ص ٣٤٠ وكل من هذه التعريفات مغلوطة فيه لا يثار اللغويين التقليد على الاجتهاد . فاس القس رأس المسيحيين ولا رئيسهم ولا كبيرهم ولا عالمهم . وانما هو « خادم الكهنوت عندهم أي خادم دينهم وإمامهم في أمور عبادتهم » . ومثله سيفي الخطأ قول صاحب شفاء الغليل ص ١٧٨ في المطران أنه عابد النصارى ! وصوابه « انه رئيسهم في الدين والعلم وقاضي امورهم الشرعية » ^(١) .

(١) قَسَّ : حطب ، قاش ، يبس كل نبات ، وفي المزمور ٨٣ : ١٣ « مثل القس للمعلم الربيع » وصيحه الوَقَش وهو صار الحطب الذي تشبع به النار . وفي ذيل أقرب الموارد -

قِطَّ : هِرَ ، سَنُور في بعض اللغات ، قال في الجمهرة ١ : ١٠٨ « ولا احسبها عربية صحيحة » قلنا هي سريانية وفيها لغات قَطْلَا ، قَطْلَا ، قَطْلَا ، قَطْلَا ، قَطْلَا

• kitto , katou , kéto , kato

قَطْلَب : معربة من السريانية : قَطْلَا أَكْهَوَة - kotélabouï ومعناها اللفظي « قاتل أبيه » قال فيه دليل الراغبين « شجر دقيق الورق شديد الحمرة له حب نحو العنب اخضر فاذا نضج كان احمر كالياقوت » ويمثل هذا عرفه الشرتوني ٢ : ١٠١٦ وقال فيه الشهابي ص ٦٠ « قَطْلَب : جنس جنبات حرجية من فصيلة الخلتجيات » و ص ٩٠ « ولم أجدها في التاج ولا في اللسان » . قَطُونَا : الذي يضاف اليه يزر قطونا ويقال له حشيشة البراغيث ولسان الحمل ، أعجمي معرب ، وفي شفاء الغليل ص ١٥٩ « أعجمي معرب » هو لفظ سرياني الأصل قَطُونَا katouno ^(١) .

قفور : قال الجواليقي في المعرب ص ٢٦٨ : « القفّور والقافور لغة في الكافور » قال ابو بكر أحسبه ليس بعربي « وضبط اللسان والقاموس أولهما . وقال ابو بكر بن دريد : فأما الكافور المشوم من الطيب فأحسبه ليس بعربي محض لأنهم ربما قالوا « القفور والقافور » وقال الازهري : وكذلك الكافور ، الطيب يقال له قفّور . وقال السيوطي في الكافور « المذكور في سورة الانسان : ه « كن مزاجها كافوراً » ذكر الجواليقي وغيره انه فارسي معرب (الاتقان ص ١٤٠) وكذلك قال بفارسيته الثعالي (فقه اللغة ص ٣١٨) والمطران ادّعى شير . وفي أقرب الموارد : القافور والقفّور : كافور الطيب . وقال الفيروزابادي ٢ : ١٢٨

- من اللسان : القَشَّ : ما يُكَنَس من المنازل أو غيرها . وهي بالسريانية قُشَل ،

قُشَل ، قُشَل kesho , keshtho , kshosho جلمنى الذي أورده .

(١) قطيفة : كساء له سَحْل (ابن سيده ٤ : ٧٩) ملاءة ، مشعة ، كساء له سَحْل متفرق

يُتَخَف به : قُشَل kashtho وهي مما توافقت فيها اللتان .

«الكافور طيب معروف يكون من شجر مجبال بحر الهند والصين يُظَلَّ خلقاً كثيراً وتألفه السمورة» وخشبه أبيض هش، ويوجد في أجوافه الكافور وهو أنواع ولونها أحمر، وإنما يبيض بالتصعيد» وفي معجم الألفاظ الزراعية ص ١٢٦ «Camphre : كافور مادة عطرية بيضاء متبلورة تستخرج من شجر الكافور» وفي ص ١٦٢ «كافور شجر أخضر لامع يستخرج الكافور من ورقه» وفي معجم كيران الفرنسي ص ١٢٧ «انه ينبت في الهند والصين واليابان» وفي معجم شامبرس الانكليزي ص ١١٤ «اب اللفظة بالهندية Kapur وبلغة مالاي : Kapura» .

واللفظة بالسريانية لغات ثلاث : **ܩܦܘܪ** (قفور) و **ܩܦܘܪܐ** (قفور) و **ܩܦܘܪܐ** (قفور) و **ܩܦܘܪܐ** (قفور) (ابن بيلول ع ١٨٢٠ وكنز اللغة السريانية ٢ : ٤٤٢ ودليل الراغبين ٦٩٣) أما العرب الأقدمون وان كانوا قرأوا «الكافور» في القرآن لكنهم لم يعرفوا كنهه . قال ابو حنيفة الدينوري في كتابه الأخبار الطوال المطبوع في ليدن سنة ١٨٨٨ ص ١٣٤ «فدخلها المسلمون (يريد المدائن) فاصابوا فيها غنائم كثيرة ووقعوا على كافور كثير فظنوه ملحاً فجعلوه في خبزهم فأمر عليهم» وفي تاريخ الطبري مج ٤ : ١٧٥ «قال حبيب بن صبيان «دخلنا المدائن ... وأتيننا على كافور كثير فما حسبناه الا ملحاً فجعلنا نفعجن به حتى وجدنا حرارته في الخبز» .

ومع احصاء دوفال هذه اللفظة في عداد الألفاظ السريانية (٣ : ١٧٥) فانتا نرجع نجارها الهندي بدليل منابتها في الهند والصين ، ومن الهندية نقلها السريان على طريقتهم بالقاف دون الكاف ، وبهذا الوضع تلقاها منهم العرب . قال جرير (ديوانه ص ١٩٤) .

قالت فدنك مجاشع فاستنشقت من مخربه عصاره القفور
ومثل القفور والكافور : القفل : وليس هو فارسي الأصل كما زعم الثعالبي

في هذه اللغة من ٣١٨ والشرتوني في معجمه من ٩٤٤ لكنه منسكربتني الأصل Pippali^(١) ، ومن هذا اللسان اقتبسته السريانية والفارسية والعربية واليونانية Peperi واللاتينية Piper والانكليزية Pepper والفرنسية Poivre . وهو بالسريانية ܦܦܠܐ ، ܦܦܠܐ : Felfé , Felfel^(٢) .

قلاية : قال الخفاجي في شفاء الغليل من ١٦٦ « قلاية ويقال قلاية من اللغة الرومية وقد عرّبت قديماً ووقعت في كتب العهد ٠٠٠ وهي بناء مرتفع كالمنارة تكون لراهب يتفرد فيها وقد لا يكون لها باب ظاهر ، والصومعة دونها وهي معروفة . كذا في كتاب الكنائس » واصوب من هذا : ان القلاية لفظة لاتينية الأصل Cellula ومعناها غرفة صغيرة او غرفة صغيرة لراهب او راهبة ، أخذاً من Cella وتعني : غرفة ، مخدع ، معبد لاقامة انصاب الآلهة (قاموس Thiel ص ٢٥٤ و Petit larive ص ٢١٠) وذكر يرون في معجمه ص ٥٨٨ أيضاً أنها باليونانية kella و kelliou . ومن اللاتينية نقلها السريان الى لغتهم فقالوا ܟܠܐܝܬܐ (قلايتا) كما قالوا أيضاً kélo والأولى أشهر وآنس ، ومعناها : قلاية ، كوخ ، حجرة ، كرح ، صومعة الراهب (دليل الراغبين ٦٢٨) وتوسعوا فيها فاطلقت أيضاً على منزل البطريرك والأسقف وعم استعمالها فرق النصرانية في الشرق ، وجمعها قلايات وقلاي . ويستدرك على من قال يونانيتها او باقتصارها على دار الأسقف ، كالبستاني والشرتوني في معجميهما والاب لويس شيخو .

القُلب : بضم القاف : السوار ، جاء في الاساس ٢ : ٢٧٠ « وفي يدها قُلب فضة ، سوار يشبه بقلب النخلة في ياضها وهو شحمتها أي الجمار » والقلب يكون من ذهب او فضة او نحاس ، فلا يشترط فيه البياض . وهو

(١) معجم شامبرس ص ٥٨٥ .

(٢) وضبطها (مكانه) بكر الفاء الثانية أيضاً ܦܦܠܐ Felfélé (مفتاح اللغة

الآرامية ص ١١٥) .

في السريانية **ܟܘܠܒܐ** koulbo وورد في نبوة اشعيا ٣ : ٢١ في النقل السرياني البسيط « **ܟܘܠܒܐܝܗܢܝܐ** koulbaïhène : أساورهن . »

قَمَصَ : القَمَصُ الجراد اول ما يخرج من بيضه **ܟܡܣܐ** kamso في نبوة يوشع « **ܦܫܬܐ ܕܩܡܥܐ ܒܐܟܠܐ ܐܪܥܐܝܐ** » ١ : ٤ ، مما توافقت فيه اللغات .

قَنَابِرِي : جاء في القاموس : القنابري بقلة الغُملول وفي ٣ : ٢٤٠ التُملول كمصفور ، بنت نبطية قنابري وفارسيته بُرغُشت ، ويسمى شجرة البهق بكثرة في أول الزرع في الأراضي الطيبة المنبتة للشوك والعوسج . وفي ٤ : ٢٦ الغُملول بقلة تؤكل مطبوخة ، وفي موضع آخر سماه الكُملول بالفم . قلنا الحرف سرياني **ܟܘܢܒܐܪܐ** kounboro قال فيه الدليل : خردل برّي ، قنبر ، قافان ، بقلة الغُملول . ويظهر ان تملول وكمول لغتان في غُملول او تصحيف .

قَوْصَرَّة : وعاء من قصب يرفع فيه التمر من البواري (اللسان) قال الجواليقي ص ٢٢٧ « قال ابو بكر في الجمهرة ٣ : ٣٦٣ : لا أحسبها عربية صحيحة وان كانوا قد تكلموا بها وقد جاءت في الشعر الفصيح قال الراجز :

أفلح من كانت له قَوْصَرَّةٌ يأكل منها كلَّ يوم مرة

وفيه أيضاً ٢ : ٣٥٨ « فاما القوصرة التي تسميها العامة قوصرة فلا أصل لها في العربية وأحسبها دخيلاً وقد روى لعلي بن ابي طالب » قلنا ورد في السريانية **ܟܘܣܪܝܬܐ** kousārtho وتعني : قدير صغيرة ، وعن ابن مبر وشوينة قُديرة صغيرة ، وفي معجم يرون ص ٥٩٦ وعاء ، فلا نعلم اذا كانت القوصرة من هذا الحرف الذي أفصح دوفال باصله السرياني ؟

قُوق : القوق طائر من طير الماء طويل العنق قليل نخض الجسم ، وأنشد بعضهم : كأنك من بنات الماء قوق . (اللسان والعياب وحياة الحيوان ليلدميري) وفي أقرب الموارد : القاق والقوق طائر مائي طويل العنق ، وفي معجم ابن جيلول ع ١٨٢٩ **ܟܘܟܐ** koko : اليضاني والعَقَمَق ، الغيب وقيل ملك

الحزين وقيل الواق ، وقال ابن سروشويه : هو أبيض طويل العنق ويسمى العمق الأفت وهو اليفاني ثم ذكر انه في صدره حمرة وهو يحب قراخه حباً شديداً ، وسماء دليل الراغبين : ابو زريق ، يجمع !

ووردت اللفظة في التوراة السريانية البسيطة ، مز ١٠١ : ٦ « وشابت القوق في البرية » (الترجمة السدياقية وترجمة سمعديا الفيومي المتوفي سنة ٩٢٢ م . وأنت ترى اختلافهم في تعريف هذا الطائر واسمائه ، وفي معجم الشهابي ص ١٩٠ تعريف للقاق لا ينطبق عليه ، ومع ان اسمه في العبرية « قَات » (يرون : ٦٠٢) فقد ذهب الكرمللي ان اللفظة عريية (لغة العرب ٨ : ٣٢٦ و ٣٥٩) ونحن نحسبها سريانية .

قام : قام بمعنى 'نشر وُبعت من الرمس ، ومنه القيامة : للبعث والنشور ، استعمال مسيحي خاص أخذاً من العبرية والسريانية : **ܡܡܥܬܐ** / **kīomto** ^(١) . قَيْقَلَان : في مبادي اللغة للاسكافي ص ١٩ « والمُردي والقَيْقَلان : خشبة يدفع بها السفينة ورأسها في الأرض ، قال الشاعر :

أدارى صدرها بالقَيْقَلانِ »

ولم نعثَر على لفظه القَيْقَلان في المعاجم وأراها سريانية الأصل **ܡܡܥܬܐ** kikno ومعناها ، مِهَاز ، مَنخَرَة .

قيوم : القيوم من الأسماء الحسنى ، لفظه سريانية **ܡܡܥܬܐ** kīomo و **ܡܡܥܬܐ** koīoumo ومعناها : القيم ، الوصي ، الوكيل ، الدائم ، الكائن . ولا تعني : الذي لا ينام كما زعم الواسطي ، ولا الذي لا يند له . لكن : الدائم الكائن او الدائم الباقي . ولا الذي لا يبدء له كما وهم الشرثوني (١٠٥٤)

(١) مما عربه الكلدان من السريانية لفظه « قِيَامُوث » **ܡܡܥܬܐ** / **kīomoutho**

ومعناها : موسيقى ، فن الغناء والترنم ، قال عمرو الطبرهاني في المجلد ص ١١٥ في ترجمة الجاثليق سريشوع الرابع « كان عالماً وله معرفة بالتسايح ، حافظاً لقياموث وجميع ما يقال في البيعة » .

او « القائم الحافظ لكل شيء والمعطي له ما به قوامه » كما ذهب الراغب الاصفهاني
 في المفردات ص ٤٢٨ . وفي نبوة أشعيا ٨ : ٢١ « اني انا الرب القيوم »
 « الدين والدولة ص ٨٢ » وفي مسالك الأبصار للعمري « الدَيوم » وزان القيوم
 ومعناه الدائم ^(١) .

* * *

(١) مما يستدرك على الشرتوني قوله ص ١٠٣٨ « القامصة بطاركة أقباط النصارى » وهو
 غلط ظاهر سواه : قامصة بالصاد جمع قتم ، مقدمو قسوس الأقباط أو خوارتهم ، وليس
 بطاركتهم ، أخذاً من لفظة « اينومانس » اليونانية Hégoumène ومعناها زائر ، مدبر
 كالبريودوط ، وورد في كتاب التاموس لروم : اقنوم جمه اقامة وهو معرب « ايكونومس »
 وورد في توقيع كتبه أحد ملوك مصر لبطريك الأقباط « مالكا ازمة كل أسقف وقتس
 ومطران » (صبح الأعنى للقلقشندي ج ١١ : ٤٠٢) وانظر الجوهرة النقية لابن سبع
 اللبكي ص ٩٣ .

ويستدرك على السيوطي قوله في الاقتان ص ١٤٠ في « قل » قال الواسطي هو الدبا
 بلسان العربية والسريانية ، قال ابو عمرو ، لا أعرفه في لغة أحد من العرب ، انه فارسي معرب «
 فانه ليس من كلام السريان وانما الدبا **وَحَلْ** Débo يعني : دُبابَة .

ومن الألفاظ السريانية المربة التي لم ترد في كلام النحهاء ، قصم : **صَمَم** : كَن ،
 سحر ksam **صَمِهْ صَحْ** ، **صَمُوحْ** koçoumo , kaçomo : عراف ، ساحر
صَمِهْ صَحْ koçoumtho : ساحرة وكذلك هي في العبرية (معجم برون ص ٩٠٠)
 قال ابن النديم في الفهرست ص ٤٥٢ « فيزجرون عليه ويقصمون » وأورد المطران اغايوس
 النجفي في كتاب العنوان ص ٦٨ و ٧٠ القاسوم والقاسومة بمعنى الساحر والساحرة .
 ومن الألفاظ الطيبة : قيروطي : مرم من شمع وزيت يتداوى به ، وردت في تحرير مسائل
 نحين بن اسحق **صَمِهْ صَحْ** korouto .

ومما يفيد ذكره لفظة : قيطون : جاء في اللسان : وقيل بلغة أهل مصر وبربر ، وهو
 بيت في جوف بيت وهو الخدع بالمرية ثم أورده في بيت لأبي دعلج الجمحي . قال الجواليقي
 ص ٢٧٢ قيطون أعجمي معرب ، والجمهرة ٣ : ٣٨٨ وفي عقاء النليل ص ١٥٧ « قيل
 هو رومي معرب » قلنا هو يوناني التجار khoiton (معجم برون ٥٨٣) ومن اليونانية
 أخذه السريان **صَمِهْ صَحْ** kaïtouno : مخدع ، خلد ، خباء . ومن السريانية
 أخذه العرب .

حرف الكاف

كابوس : قال ابن دريد ١ : ١٢٩ « الكابوس الذي يقع على النائم احسبه مولداً » وفي التاج : انما هو التيدلان وهو الباروك والجاثوم ، وفي الشفاء ص ١٦٨ كابوس هو مولد كما في الزهر . قلنا هو معرب من السريانية **ܕܚܕܘܬܐ** Cobousho .

كاث : الكاث مشدداً ما ينبت مما يتناثر من الحصيد فينت عاماً قابلاً ، قاله ابن شميل ، زرّيع . قلنا هو حرف سرياني **ܕܟܬܐ** kétho وقع في كلام مار افرام **ܕܟܬܐ ܕܟܬܐ** ، وليست لفظة واحدة كما أوردها بعض اصحاب دواوين اللغة السريانية فقالوا فيها كاث الكاث ، ولكنها لفظتان معنهما كشف الزرّيع لأن الكث يعني الكشف .

كاهن : الكاهن الذي يقدم الذبائح والقرايين وخادم الدين ومقرب الأقداس : لفظة سريانية وعبرية (معجم برون ص ٢٢٧) **ܕܟܗܢܐ** kohno ، والفعل كهن : قام بوظيفته من تقديم ذبيحة وتبخير وغير ذلك **ܕܟܗܢܐ** kahene والاسم ، الكهنوت : **ܕܟܗܢܐ ܕܟܗܢܐ** kohnoutho وأفصح أقرب الموارد بسرنايته .
كيسة : السنة الكيسة التي يُسرق منها يوم وذلك في كل أربع سنوات فيزاد على شهر شباط فيصير ٢٩ يوماً ، فعيلة بمعنى مفعولة ومعناها مقحم فيها ويقابلها البسيطة ، وكبس السنة يوم ، زاده فيها . أحسبها سريانية الأصل **ܕܟܝܫܬܐ** kbishto .

— ومن الألفاظ العامة : قنن الجوز أي لّته : **ܕܟܢܐ** kéno و **ܕܟܢܐ** kentho و **ܕܟܢܐ** knono . وقبيلة وجهاً قبيلات : لفظة معربة من السريانية **ܕܟܢܐ** و **ܕܟܢܐ** : قرى ، دعوة ، وليمة : جاء في كتاب التاموس للروم في القانون المئة والثامن من قوانين ايفانيوس القسطنطيني « أيّ كاهن رأى يأكل أو يشرب في القبيلات وحوايت الباعة والمراتين ... فليُقرّز » ٥١ .

كَتَّان : قال الشرتوني ص ١٠٦٦ « الكَتَّان نبات يُزرع بمصر وما يليها له زهر أزرق في حجم الحمض وله يَزْرُرُ يُعصر ويُستصبح به ويُتسجج منه ثياب . وحذف الأعشى منه الألف للضرورة وسماه الكتن » وقال فيه الشهابي ص ٣٩٣ « جنس نباتات معظمها عشبية من فصيلة الكتانيات يزرع نوعها الشائع للحصول على أليافه ، وتزرع الأنواع الأخرى الآتية لزهرها » وعد منها اثني عشر نوعاً . وفي كتاب الجواليقي ص ٢٩٧ قال أبو هلال « وقال بعضهم في الكتان انه فارسي معرب » وأضاف الناشر ما يأتي : قال ابن دريد ٢ : ٢٨ الكَتَّان لفظ عربي معروف ، وإنما سمي كَتَّاناً لأنه يُنخَسُّ ويلقى بعضه على بعض حتى يَكْتَنُ ، وذلك ان الكتن هو التلّج والتوسخ او الدَرَن والوسخ « ١ هـ . وفي المصباح ص ٨٠٩ عن ابن دريد « وسمي بذلك لأنه يَكْتَنُ أي يسود إذا ألقي بعضه على بعض » ١ هـ وفي سفر اللاويين ١٦ : ٤ « يلبس قميص كَتَّان مقدّماً » وهو بالسريانية كُتْونو kétono ومنه نَحْتُوا كُتْوناً وكُتْوناً koutinto , koutino ومعناها : قميص كتان وغيره ، وجاء في أقرب الموارد ٢ : ١٠٦٦ « الكَتَّونة : القميص يلبسها الكاهن ، نصرانية سريانية » .

كِبْرِيت : قال الجواليقي ص ٢٩٠ « قال ابن دريد (٣ : ٢٩٥ و ٣٧٤) الكِبْرِيت الذي يوقد فيه النار لا أحسبه عربياً صحيحاً » وفي سفر التكوين ١٩ : ٢٤ « فأمطر الرب على سدوم وعمورة كِبْرِيتاً وناراً » كُتْوناً Kébrito وأحصاه دوفال ص ١٢٣ في الألفاظ التي توافقت فيها السريانية والعبرية ، ويرون في معجمه ص ٢٢٦ .

كُرَّاث : جاء في معجم الشهابي ص ٥٠٨ « بقل زراعي من فصيلة الزنبقيات ، وقد تكون الكلمة من أصل سامي لأن لها أشباهاً في الآرامية والآثورية » هي بالسريانية كُتْوناً Cartho وردت في سفر العدد ١١ : ٥ « والقشاة والبطيخ والكُرَّاث » .

كُرَّاز : الكرَّاز ، الكبش يحمل خرج الراعي وقيل هو من المعز الذي يحمل الراعي في عنقه جرماً فتبعه بقيتها . وفي الدليل : تيس كبير يحمل خرج الراعي ، وفي المعجم السرياني العتيق : الكبش الذي يتقدم الغنم : **كُرَّاز** / Carozo .

كُرَّاز : الكرَّاز بضم الكاف القارورة وقيل كوز ضيق الرأس . وفي معجم الأدباء ١٨ : ٩٢ كراز بالتحقيق ، وفي المصباح ٨١٧ قال ابن دريد : تكلموا به ولا أدري أعربي أم عجمي . قلنا هو سرياني **كُرَّاز** / Carozo وفيه ثلاث لغات **كُرَّاز** ، **كُرَّاز** ، **كُرَّاز** ، **كُرَّاز** / Carzo , Crouzo , Crozo ومعناه كوز ضيق الرأس ، وبهذا الاسم يعرفه أهل ماردين وديار بكر وما اليها وهو من أوعية الماء كبير الحجم ضيق الرأس وجمعه كُرَّازان مثل غُرَّبان .

كُرَّاس : الكرَّاس الجزء من الكتاب يحتوي في الغالب على ثمان ورقات وكذلك الكرَّاسة ، وفي الأساس ٢ : ٣٠٣ « في هذه الكرَّاسة عشر ورقات » ، قال الاسكافي ص ٩١ « الكرَّاسة ما تكسرت أوراقه وتلبَّدت » حرف سرياني **كُرَّاس** ، **كُرَّاس** / Courrotho , Courroco ، **كُرَّاس** ، **كُرَّاس** / Coursto^(١) .

كِرَّاح : بيت الراهب ، صومعة ، وفي مسالك الأبصار ص ٣١٤ « بالخيرية موضع يقال له الاكُيراح فيه دير ، والاكُيراح قباب صغار يسكنها الرهبان يقال للواحد منها الكِرَّاح » لفظة سريانية **كُرَّاس** / Courho والفعل **كُرَّاس** / Ethcrab : سكن الكِرَّاح .
قال نابغة بني شيبان :

(١) كُرَّة : قدر نحاس مدوّرة يذاب بها القير : سريانية **كُرَّاس** / Coro ذكرها

ابن سهل وكنز اللغة ودليل الراغبين الذي انفرد عنها بلفظة (كُرَّة) ولم نجدها في المعجم

م (٣)

السريانية . ومنها **كُرَّاس** / Corio .

آلَيْتُ جُهْدًا وَصَادِقٌ قَسَمِي يَرْبُ عَبْدٌ تَحْتَهُ الْكَرَّخُ
يَظَلُّ يَتْلُو الْإِنْجِيلَ بِدَرْسِهِ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ قَلْبُهُ طَفَعَ

(شعراء النصرانية لشيخو ٢ : ٢٩)

كَرَّخ : جاء في أقرب الموارد : كَرَّخَ الماءُ إلى مواضعه كَرَّخًا : ساقَهُ
فهو كَارِخ (سوادية) وفي معجم البلدان ٧ : ٢٣١ الكَرَّخ بالفتح ثم السكون
وخاء معجمة ، ما أظنها عربية إنما هي نبطية ، وهم يقولون كَرَّخت الماء وغيره
من البقر والغنم إلى موضع كذا أي جمعته فيه في كل موضع وكلها بالعراق ،
ثم ذكر كَرَّخ بالجداء ، وكَرَّخ البصرة ، وكَرَّخ بغداد ، وهو محلة كبيرة فيها
بناها المنصور وغيرها « قلنا المادة سريانية حَرَّخ Crakh : كَرَّخَ ساقَ الماء
إلى مواضعه . و حَرَّخ Carkho ومدلولها : مدينة مسورة ، حصن ، قلعة
وقعت في كتاب شرائع البلدان لبرديسان قال ص ٧ : « لَا وَحَدًا حَرَّخًا
» ولا ان يبنى أكراخًا » و حَرَّخ Carokho : سَوَّاقِ الماء إلى مواضعه ،
سقاء الأرض ونحوه . وأورد ابن جيهلول عن ابن مردوشويه عمود ٩٢١ ان
الكرخ يعني مدينة صغيرة . ثم ان نهر كرخابا معناه النهر المكتنف المدينة
حَرَّخ Carkhoio^(١) .

كَرَّز : وعظ ، نادى ببشارة الانجيل ، وصرَّح الشرطوني ١٠٧٦
بسريانيتها : فهو كَارَز ، ومعناه أَصْحَابُ Akhrèze و حَرَّزُ Corouzo :
واعظ ، بشير ، مؤذِّن . والكرازة : الدعوة إلى الدين والوعظ والانداز
حَرَّزُ Corouzoutho وهذه المادة يعم استعمالها في فرق النصرانية

(١) من معاني حَرَّخ Crakh أحاط ، اكتف ، دار ، طاف . ومن المادة

« الكَرَاخة » وفي القاموس وأقرب الموارد : الشُّفَّة من البواري سوادية . و حَرَّخ Crokhto
منها لفافة ، غشاء ، منديل .

عامة . وجرت على الألسنة من عهد متقدم ، وفي قوانين ايفانيوس ٨٢ « فان كانوا كاروزين بحسن العبادة » ^(١) ووردت مراراً في كتاب مصباح الظلمة للقس ابي البركات ابن كبر القبطي في أواسط القرن الرابع عشر كقوله ص ٥٢ و ٥٣ في ذكر بناء البيعة وتكريزها وتكريز البطارقة والأساقفة والقسوس والشمامسة وأراد بها تقديس البيعة ورسامة البطريرك ومن دونه . ووردت فيه بمعنى الدعوة الى النصرانية قال ص ١٣٥ « وهي بيعة رسولية لأنها بُنيت على أساس البشارة الانجيلية بالكراسة الرسولية » ، واستعمل بعضهم فعل (كرز) للتبويه باسم الاسقف والمناداة به في أثناء الصلوات ، ومنه في المجلد لماري بن سليمان ص ١١٢ « قال ولم يُكرز له في عدة بلاد » واستعملوا المصدر بلفظه الأصلي فقالوا « الكاروزوث » والكاروزة ومنه « زاد في كاروزة » الرمش » المجلد لعمر بن متى ص ٩٨ . يريد الدعاء الذي يُنوّء فيه بالجائليق والأسقف وغيرهما ويتلى مساء .

(يتبع)

مار اغناطيوس افرايم الاول برصوم

بطريرك انطاكية وسائر المشرق للسريان الارثوذكس

(١) وفي مقال ليوحنا بن مينا الكاتب القبطي ذيل به مقالة لحنين بن اسحق « قاله وعد التلاميذ بارسالهم لكراسة الأمم » (مباحث فلسفية دينية نشرها القس بولس سباط ص ١٩٩) .

معجم الدكتور : أ . فيشر

وصفه ونقده

للمشرق الألماني الكبير الدكتور أ . فيشر عضو مجمع فؤاد الاول للغة العربية - معجم عربي كبير الحجم متسع المادة أسهب فيه ، وأطال في شواهد . وقد نعي الدكتور الى مجمع فؤاد في ١٢ شباط سنة ١٩٤٩ عن اربع وثمانين من عمره . قضى منها أربعين سنة في جمع شوارد هذا المعجم وترتيب جزازاته واعداده للطبع . وكان الدكتور في الدورة الثالثة للمجمع فؤاد (سنة ١٩٣٦ م) قدم الى المجمع تقريراً عن معجمه الذي مازالت جزازاته في بلده ملتحماً منه النظر فيه وإصدار قرار بطبعه على نفقة المجمع وتلى التقرير على الأعضاء في جلسة ٧ ابريل من السنة المذكورة . فكان مما قال فيه :

(قصدي من هذا المعجم أن أضمنه كل اللغة العربية الأدبية الخاصة بزمان الجاهلية وبثلاثة القرون الأولى بعد الهجرة) .

وقال أيضاً : (وجمعت في معجمي كل الكلمات بلا استثناء التي في دواوين امرء القيس وفلان وفلان .

وهنا سرد أسماء دواوين العرب في الجاهلية والاسلام) وما أكثر مخطوطاتها وشروحها في مكاتب المانيا) وذكر في ماسرد من أسماء المصادر المفضليات والحماسين ومقامات الحريري والاصمعيات وامثال الميداني وصحبي البخاري ومسلم وكامل المفرد والسيرة النبوية وتاريخ الطبري والاصطلاحات النحوية والحديثية !! وقال في آخر التقرير (ويمكنني إتمام تصنيف المعجم وطبعه في ست سنين واقترح ان ينشر جزء فجزء في كل جزء ١٢٠ صفحة) .

فكم يكون عدد أجزاء هذا المعجم العربي ؟ ومع هذا فلم يكن الدكتور مؤلفه يحسن الكلام باللغة العربية فكان اذا تكلم كدُّ نفسه وأجهد أعصابه^(١). وبعد أن انتهت تلاوة التقرير تذاكر الأعضاء في أمره فكان حوارهم يدور حول التساؤل عن جزازات المعجم وكثرتها وماذا عساه تكون عليه من الصحة والدقة ولماذا لم تطبعه حكومة ألمانيا وعمما اذا كانت ميزانية الجمع المصري تفي بطبعه ونفقات تصحيحه ومن يقوم على ذلك ؟ وهل يطبع باسم الجمع أو يكون أساساً للمعجم الكبير الذي أزمع الجمع تأليفه أو 'تشرى الجزازات وتحفظ في دار الجمع فيكون منها ثروة أساسية لأعمال الجمع'. وقال الأستاذ نللينو: سعى بعض شركات المطابع في أوروبا لطبع معجم الدكتور فأبى مفضلاً إهداءه الى مجمع فؤاد العربي ليكون طبعه له إحدى مفاخره.

وانتهى حوار الأعضاء الى لزوم احضار الجزازات قبل كل شيء ثم ينظر في ما يجب عمله من شيء. وقدم الدكتور نموذجات من معجمه ليطلع عليها أعضاء الجمع فاختلفت أنظارهم فيها ثم أسدل الستار عليها وبقي الجدل يعود حواليتها في كل مناسبة وفي كل دورة تقريباً.

ومرت على ذلك مراحل عدة آخرها ما قرأناه أخيراً في الصحف المصرية من ان مجمع مصر قرر شراء جزازات المعجم بالف وخمسمائة جنيه وهذا بالطبع تمهيد لطبعه على نفقة الجمع.

وكنت لأول عرض نماذجه على الجمع درستها وتناولت بالنقد والملاحظة بعض مواد وهي مادة (أخذ) وما سرده المؤلف من معانيها. والمؤلف — وان أشار الى ان من المعاني ما هو حقيقي وما هو مجازي — لكنه أبهم الفرق بين المعاني الحقيقية والمجازية إيهاماً يوقع القارئ في حيرة من تفهم ما يقرأ. ولم يستطع المؤلف أن يجعل القارئ يميز بينها وبذلك يفوته تذوق البلاغة

(١) وتقرير الدكتور منشور في (محاضر جلسات الجمع) الطبعة سنة ١٩٣٧ م ص ٣٨٠

العربية في كثير من الأساليب وكثير من التعابير . وأودعت ملاحظاتي تقريراً قدمته الى رئاسة المجمع تلي في إحدى جلساته نصت فيه القول على فعل (أخذ) وما أخذته على المؤلف في سرد معانيه .

وبمناسبة ما جاء في الصحف من اقتناء مجمع مصر للمعجم رأيت أن أنشر تقريرى المذكور أو مؤاخذاتي في مجلة مجعنا العلمي تقديراً لفضل الدكتور المؤلف وتنوياً بخديته للفتنا العربية وتنويراً للرأي العام العربى فيعرف كيف يستفيد من ذلك المعجم وإلى أي حد يستطيع أن يثق به ويعول عليه .

وطريقة المؤلف في إيراد مواد معجمه انه في مادة (أخذ) مثلاً يذكر مرادفات فعل (الأخذ) في اللغات السامية القديمة ثم يذكر مادة (أخذ) وما تفرع عنها من المشتقات . وإذا كان في بعض المشتقات غرابة يذكر المصدر الذي اقتبس منه ذلك المشتق ثم يعود الى معاني (أخذ) ومدلولاتها فيسردها تحت رقم متسلسل طويل الذيل غير عابئ بتكرار المعاني ولا بدخل التفسير : يجب انه يسرد معاني وانما هو يسرد شواهد لمعنى واحد مجازي أو كنانى . وهذا هو نص تقريرى المقدم الى مجمع مصر بتاريخ ٢٥ يناير سنة ١٩٣٦

*
**

لا يخفى ان الطريقة المتبعة في عرض مادة من مواد اللغة أن يذكر أولاً معناها الحقيقي مقروناً بمثال يوضح طريقة استعمال ذلك المعنى . ثم يذكر المعنى المجازي مقروناً بمثال كذلك . غير ان الأفضل في بيان المعنى المجازي ان لا يقتصر فيه على المثال الواحد بل تذكر أمثلة كثيرة . وذلك لتعدد طرق المجازات والكنائيات . وهذا ما رأيناه مائلاً في مادة (أخذ) التي قرأناها في النموذج المعروض علينا من معجم زميلنا الفاضل الدكتور أوغست فيشر : فقد ثوخى في الأمثلة والشواهد التي استكثر منها زيادة الايضاح حتى أنه قسم طرائق استعمالات فعل (الأخذ) الى ٣٢ قسمًا أو بحثاً أودع كل بحث عدة شواهد على الاستعمال الواحد :

غير ان أعظم ما يلاحظ على الزميل المؤلف في هذه التقاسيم (التكرار) في الأقسام و (التداخل) فيها ولولا هذا لكانت بحوث فعل (أخذ) من حيث استعمال معانيه لا تتجاوز الثلاثة كمنفسير اليه في آخر التقرير - ولكانت شواهد هذه الاستعمالات أقل بكثير مما ذكر .

وها أنا ذا أسرد البحوث أو الأقسام التي ذكرها قسماً قسماً ثم أدل على ما فيها من تكرار وتداخل زادا عن العادة حتى تمتي المتفقه في أسرار لغة العرب والمعجب بمعجم الأستاذ فيشر لو تنزّه المعجب عن هذا التكرار وعدم الدقة في تصنيف معاني فعل (الأخذ) :

(البحث الأول) :

ذكر فيه المؤلف أن فعل (الأخذ) يكون بمعنى إمساك الشيء والقبض عليه باليد ونحوها . وهذا هو المعنى الحقيقي لفعل (الأخذ) وقد مثل له بأمثلة كثيرة . منها آية (خذها ولا تخف) وقول النابغة (وأخذتها قسراً) وقلت لما اقمدي (وقد تجلى المعنى الحقيقي في هذين المثالين ووضح أكل وضوح . ومن الأمثلة التي خفي فيها المعنى الحقيقي وكان ينبغي ذكرها في المهاني المجازية آية (خذوه فغلوه) إذ أن الأقرب في فعل (الأخذ) فيها أن يكون معناه استيلاء الملائكة على المجرم وحيازته باحدى طرق الحيازة اللائقة بهم وبروحانيتهم لا أنهم أخذوه بأيديهم أو قبضوا عليه بأذرعتهم . ولو سلمنا هذا المثال للمؤلف لانسلم له المثال الثاني وهو ما في الحديث الشريف : (إن الله ليحلي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته) . فان معنى (الأخذ) المنسوب الى الله هنا ليس من معنى القبض ولا الامساك باليد في شيء . أو يقال ليس الأخذ في هذا الحديث أخذاً حقيقياً وإنما هو كناية عن الاحاطة بالمجرم وحيازته والتمكن منه . فكان الواجب ذكر هذا الشاهد في أقسام المجاز لا الحقيقة .

(البحث الثاني) :

قال المؤلف ان الأخذ فيه بمعنى (الحيازة) وهذا معنى مجازى كما لا يخفى : لأن القبض على الشيء باليد ونحوها سبب حيازته ، والحصول عليه ، فيكون إطلاق (الأخذ) على (الحيازة) من قبيل إطلاق السبب وإرادة المسبب . ومن العجيب ان يخالف المؤلف عاداته فيقتصر على مثالين لمعنى الحيازة مع أن معظم الأمثلة التي ذكرها في الأقسام التالية هي من قبيل (الحيازة) وتصلح أن تذكر في بحثها هذا .

(البحث الثالث) :

قال المؤلف ان الأخذ فيه يكون بمعنى أن يذهب المرء بأشياء ظلاماً أو غصباً ، ومثل لذلك بأمثلة منها آية (وكن وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصباً) وحديث (مَنْ أَخَذَ شَبْرًا مِنْ أَرْضِ ظَلَمٍ فَانْهَ يَطْوِقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ سَبْعِ أَرْضِينَ) ولا يخفى أن هذا القسم هو القسم الذي سبق بعينه : فان الأخذ فيها كليهما بمعنى الحيازة . وكون (الأخذ) وقع بوجه الظلم لا يستدعي أن يكون غير (الأخذ) الواقع على وجه العدل حتى يكون هذا قسمًا وذاك قسمًا . واختلاف الفعلين في فاعليهما أو مفعوليها أو سائر متعلقاتها لا ينبغي ان يسبب اختلافًا أو تعددًا في أصل معنى الفعلين : فالأكل أكل سواء قلنا أكل زيد أو بالملقة . وسواء قلنا أنه أكل على الأرض أو على المائدة .

ومن تأمل كلام المؤلف وجدده في تصنيفه لمعاني (أخذ) قد أقام الاختلاف في الفاعل أو المفعول أو المتعلق سببًا لجعل الفعل الواحد فعلين . واعتبار معناه معنيين . وهذا من أهم ما يؤخذ على الدكتور الفاضل في تأليفه هذا ولا سيما ان كان جرى هذا المجرى في جميع مواد الكلمات التي أودعها معجمه .

(البحث الرابع) :

قال المؤلف ان (الأخذ) فيه بمعنى القبض على الشيء في الحرب . يعني فيكون فعل أَخَذَ هنا بمعنى غنم .

وتقول في هذا القسم أو البحث ما قلناه في سابقه : من أن أخذ الشيء في الحرب هو الحيازة نفسها . وكونه في الحرب لا يجعل له معنىً جديداً مستقلاً . وقد مثل له بآية (وعدكم الله مقامكم كثيرة تأخذونها) وظاهر أن (الأخذ) في هذه الآية بمعنى الحيازة . ومن العجيب أن المؤلف مثل لهذا النوع من الأخذ أيضاً بقول ذي الرمة (أخذنا أباهم يوم دارة مأسى) فجعل الأخذ بمعنى (الفتيمة) مع أنه بمعنى (الأسر) الذي عُقد له البحث التالي وهو :

(البحث الخامس) :

والأخذ فيه بمعنى أسر الشخص وسبيته . ولا يجوز أن يجعل هذا قسماً مغايراً للأقسام التي قبله : فإنها كلها من بابة واحدة أعني الحيازة والاستيلاء .

(البحث السادس) :

(الأخذ) فيه بمعنى صاد الحيوان وهذا أيضاً مكرر مع ما قبله إذ الصيد حيازة أيضاً واختلاف المفعول في أخذ المال إذا غنمه ، وأخذ الرجل إذا أسره ، وأخذ الظبي إذا صاده - لا يحدث اختلافاً ولا تنوعاً في فعل (الأخذ) الذي معناه الحيازة كما ذكرنا مثاله آنفاً .

(البحث السابع) :

الأخذ فيه بمعنى فتح بلدًا أو تغلب على أرض . وهذا أيضاً تكرار . لأن أخذ البلد والتغلب على الأرض حيازة لها وإحاطة بها وحصول عليها .

(البحث الثامن) :

(الأخذ) فيه بمعنى أن يغلب أحداً أو يقهر جيشاً أو عدواً نحو (ما يشك اللعين في أخذك الجيش) وهذا أيضاً حيازة واستيلاء فهو كسوابقه .

(البحث التاسع) :

بمعنى حبس مجرمًا . وقد مثل له المؤلف بشواهد إن صح أن المراد بها الحبس كان الحبس أيضاً من قبيل الحيازة بل هو الحيازة بأكل معانيها وأتم

صورها . على أننا نعتقد ان الأخذ الوارد في الشواهد المذكورة ليس بمعنى الحبس بل بمعنى الحقيقي وهو القبض على الشيء وإمساكه وضبطه . وإذا كنا نفهم الحبس منه فقد حصل هذا الفهم بمعونة المقام ، ودلالة القرائن ، فقول أخوة يوسف (نَحْذُ أَحَدَنَا مَكَانَهُ) ليس بمعنى احبسه بل امسكه . والسياق يدل على أن إمساكه يكون لأجل حبسه . وهذا لا يستدعي الذهاب الى أن فعل (الأخذ) يكون بمعنى الحبس كما لا يخفى .

وليس الأخذ بمعنى الحبس أيضاً في الشاهد الآخر . وهو قوله : (في اليكر يؤخذ على اللوطية ؟ قال يُرْجَم) : فإن الأخذ فيه بمعنى القبض والامساك الحقيقيين : أي انه 'سئل عن القبض عليه وهو على تلك الحالة . وليس الأخذ بمعنى الحبس أيضاً في قوله (فَأَخَذَ طَعَامًا فَرَفَعَ إِلَى الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ) بل معناه 'ضبط وأمسك ثم قيد الى الخليفة . وهكذا نرى المؤلف قد أدخل في القسم الذي عقده لمعنى الحبس ما لا يصلح له من الشواهد .

(البحث العاشر) :

قال المؤلف ان (الأخذ) فيه بمعنى أن يمنع شخصاً ويكفّه (empêcher) ومثل له بقول عمر بن الخطاب كما في حديث البخاري (فَأَخَذَتْنِي وَاللَّهِ أَخَذًا كَسَرْتَنِي عَنْ بَعْضِ مَا كُنْتُ أَجِدُ) .

نرجح أن يكون المراد بالأخذ هنا غير المنع والكف ، وربما كان بمعنى الغلبة والتأثير في النفس . ويكون المعنى غلبتني أم سلمة رضي الله عنها غلبةً كَسَرْتَنِي وَصَرَفْتَنِي نَفْسِي . فالمنع والكف لم يستفد من فعل (أَخَذَ) وإنما استفيد من فعل (كَسَرَ) ففي كتب اللغة (كَسَرَ فُلَانًا عَنْ مَرَادِهِ صَرَفَهُ عَنْهُ) . نعم يكون (الأخذ) بمعنى الكف والمنع إذا عُدِّي بعلى يقال (أَخَذَ الْأَمِيرُ عَلَى يَدِ فُلَانٍ) إذا منعه وكفّه عن الشر . وقد فات المؤلف ذكر هذا المعنى المهم من معاني (أخذ) .

(البحث الحادي عشر) :

(أَخَذَ) بمعنى حجز على مال . كذا قال المؤلف . والحجز في لغة الفقه والقانون أن يحال بين المالك وبين التصرف في ملكه . وقتاً . ولا نظن أن (الأخذ) ورد في اللغة بهذا المعنى ، بل لو فهم منه هذا المعنى لكان مفهوماً بطريق اللزوم أو بعمونة السياق . كما إذا قلنا (أخذ القاضي مال فلان لقاء دين عليه لفلان) فمعنى أخذ المال في هذا المثال حازه واستولى عليه فقط وبفهم معنى توقيع الحجز بدلالة السياق .

والشاهد الذي ذكره المؤلف من قول الطبري وهو فأخذها (أي أَلَفَ الخِوان) لا صلة له بمعنى الحجز . وإنما معناه الحياة والاستيلاء ، إلا إذا كان هناك ما يدل على أن المراد من أخذ الأخوة حجزها لغرض قانوني أو إداري .

(البحث الثاني عشر) :

(الأخذ) بمعنى الطعن في الشخص ، ومثّل له المؤلف بقوله (أخذه بلسانه) وهذا المعنى لا غبار عليه . وربما اعتبر مجازاً من معنى القبض باليد : فكما أن من قبض على إنسان فقد استولى على حريته بالقهر والاستدلال . كذلك من طعن فيه بلسانه فقد استولى على عرضه وكرامته بالقهر والاستدلال .

(البحث الثالث عشر) :

(أخذ) بمعنى تمكّن من شخص أو حيوان فقتله . وليس هذا المعنى بصواب في ما نظن ، وما ذكره المؤلف من الشواهد لا يدل عليه . وإنما بعضها يدل على معنى القبض والامساك . وبعضها يدل على معنى الحياة والاستيلاء ، ثم يفهم القتل من الأخذ الوارد فيها بعمونة القرائن لا بالوضع اللغوي . وفرق ما بينهما . وقول حسان (تقتلهم والسيوف فأخدم) لا شاهد فيه وإنما معناه أن السيوف تصيبهم وتتناولهم كما تتناول الأيدي الشيء المأخوذ ومتى تناولتهم السيوف الكثيرة جرحتهم جراحاً كثيرة ومتى جرحتهم كذلك قتلهم . فأخدمهم بالسيوف

سبب للقتل . وليس هو القتل بعينه ومثله قوله (فَإِنْ أَخَذَ الْكَلْبُ زَكَاةً)
إذ أن معنى أَخَذَ الْكَلْبُ لِلصَّيْدِ إمساكه له بفمه . وهذا قد يؤدي الى قتله
فيعتبر قتله زكاة له .

ومثله قول ذي الرُّمَّة (أَخَذْنَا عَلَى الْجَفْرَيْنِ آلَ مُعَرِّقٍ) أي استولينا عليهم
فكان استيلاؤنا مفضياً الى قتلهم . وقول المؤلف بأن شارحا شرح قول ذي الرُّمَّة
فقال (أَخَذْنَا . قَتَلْنَا) لا يصلح حجة : لأن هذا الشارح أراد تفسير (الأخذ)
بلازمه لا بمعناه اللغوي .

(البحث الرابع عشر) :

(أَخَذَ) بمعنى أهلك واستأصل ، ومثَّل له بقول المتنبي (وَالضَّرْبُ بِأَخَذِ
مَنْكُم فَوْقَ مَا يَدَّعِ) ولا شاهد فيه : لأنَّ الأخذ هنا بمعنى التناول والاستيفاء
فالشاعر جعل الضرب شخْصاً يتناول من أجسامهم ونفوسهم ويجوز منها لنفسه
أكثر مما يتركه منها . وهذا يؤدي الى هلاكهم وفنائهم .

(البحث الخامس عشر) :

(أَخَذَ) بمعنى عاقب وعذَّب ، ومثَّل المؤلف له بأمثلة ليست من معنى العقاب
أو العذاب في شيء . وإنما المراد بها القهر والغلبة . وسياق الكلام هو الذي
يدل على أن هذا القهر وقع عقاباً أو تعذيباً لهم . نحو آيات (أَخَذْنَاهُمْ بِغْتَةٍ)
(وَكَذَلِكَ أَخَذُ رَبُّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى) (فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ) الى غير ذلك ،
وكأنها تدل على أن الله استولى عليهم بالقهر والغلبة ، فكان هذا عقاباً أو تعذيباً .
بل إن آية (ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ) لا دليل فيها على أن (أَخَذَ)
بمعنى عاقب بل هي بمعنى أن الله قهرهم وغلبهم ، فكان هذا عقاباً لهم .

نعم قد يكون (الأخذ) بمعنى العقاب اذا عُدِّي الى المفعول الثاني بالباء
فيقال (أَخَذَ الْقَاضِي الْمَجْرِمَ بِذَنْبِهِ) أي عاقبه عليه ، فيفسر حينئذ الأخذ بالعقاب .
وهذا مما فات المؤلف ذكره أيضاً .

(البحث السادس عشر) :

ذكر المؤلف في هذا القسم ثلاثة معانٍ مجازيةٍ لأخذ وهي (أعجب) يقال أخذ بقلبي إذا أعجبني وخطبني . و (أسكر) يقال أخذ الشراب برأسه . و (نوم) نحو (لا تأخذه سِنَّةٌ ولا نومٌ) . وهذا القسم موضع ملاحظة أيضاً إذ ليس الأخذ فيه بمعنى ما ذكر . وإنما معناه الحيازة والاستيلاء وقد جاءها معنى (الإعجاب) و (السكر) و (النوم) من السياق أو من كلمات الشراب والنوم ونحوها . فليس هذا القسم إذن إلاّ أخاً للأقسام السابقة التي وقع الأخذ فيها بمعنى الحيازة والاستيلاء والغلبة .

(البحث السابع عشر) :

بمعنى إصابة الشخص بالأمراض والعوارض الجسمية . وقد مثل له بقوله (أَخَذَتْهُ الْحُمَّى) و (أَخَذَتْهُ سُمَّةٌ أو بُعَّةٌ أو رِعْدَةٌ) الخ . وكل ذلك لا يحسن جعله قسماً من معاني (أخذ) بل هو داخل في الأقسام السابقة التي جاء فيها (الأخذ) بمعنى الغلبة والتناول والاستيلاء .

ومما يستغرب في هذا القسم أن المؤلف جعل (الأخذ) فيه بمعنى الاختناق واستشهد له بحديث البخاري وهو (فلما دخلت سارةً على الجبار) ذهب يتناولها يده فأخذ) . ولا يخفى أن أخذ هنا بمعنى أخذه الله بقهره فكفّه عن سارة ، أو أن (أَخَذَ) بمعنى سحر كما سيذكره المؤلف في البحث (الواحد والعشرين) . وقد احتج المؤلف على أن (أَخَذَ) بمعنى (اختنق) بما جاء في الشروح وهو قولهم (اختنق حتى صار كأنه مصروع أو نحو المصروع) وهذا ذهول من المؤلف لأن الشراح إنما أرادوا بيان الحالة التي طرأت على الجبار بعد أن قهره الله أو بعد أن أثر فيه السحر : فكان كالمصروع الذي يظهر على فمه الزبد على هيئة المحتنق . أما أن الأخذ يكون بمعنى الاختناق فلا اظنه صواباً .

(البحث الثامن عشر) :

يكون الأخذ بمعنى أن يعترى الشخص حالاتٌ نفسانيةٌ نحو (وتأخذه عند

المكارم هزوة (فَأَخَذَهُم مِّنَ الْيَمِّ مَا أَخَذَهُم) (فَأَخَذَتْنِي غَضَبَةٌ فَلَطَمَتَهَا) . الى غير ذلك مما في الاستشهاد به نظر : لأنه كله من معنى الغلبة والاستيلاء فهو متكرر مع الأقسام السابقة .

(البحث التاسع عشر) :

بمعنى أصاب الناس واعتراهم عذابٌ أو مصيبة نحو (فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ) (فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ) (أَخَذُوا بِالسِّنِينَ) (وَلَا تَأْخُذْكُمْ فِيهِ لُومَةُ الْإِثْمِ) ونقول في هذا القسم ما قلناه في ما قبله وقبل قبله .

(البحث العشرون) :

بمعنى أَخَذَهُ المطر نحو (أَخَذَهُمُ الْمَطَرُ) أو (أَخَذَتْهُمُ السَّمَاءُ) و (أَخَذَنَا جَارُ الطَّبَعِ) وهذا أيضاً لا يدل على معنى جديد للأخذ بل كل ما ذكر من الأمثلة بمعنى الحيازة والغلبة . وجار الضبع : السيل الشديد يجر الضبع من وجارها .

(البحث الحادي والعشرون) :

بمعنى انسحر . قال القراء في تفسير (أَخَذَتْهُ الْأُخْدَةُ) ان معنى (الْأُخْدَةُ) السحر ، وهذا معنى جديد للأخذ غير ما تقدم . وان كان لدى التحليل الدقيق يرجع الى معنى الغلبة والاستيلاء ، كما مر في القسم السابع عشر الذي مثل له المؤلف بقصة الجبار مع سارة « وَقَدْ أَخَذَتْ عَنْهَا » أي سحر . وليس السحر سوى عارض يصيب المسحور ويستولي على نفسه ومشاعره ثم يتصرف فيها كما يريد الساحر .

(البحث الثاني والعشرون) :

يكون الأخذ بمعنى أن تظفر العين شخصاً أي تراه : فكما يقولون (مَا ظَفَرْتُكَ عَيْنِي مِنْذَ حِينَ) يقولون (مَا أَخَذْتُكَ عَيْنِي مِنْذَ حِينَ) والمعنى فيها كليهما (مارأتك عيني) والأخذ في هذا الاستعمال مجاز كما لا يخفى : لأن العين تأخذ صورة ما تراه أي تتلقاها وتتقبلها أخذاً وتقبلاً يشبه أن يكون

حقيقياً : كما يأخذ الورق الحساس صورة ما يقع عليه في التصوير الفوتوغرافي .
فالأخذ بمعنى الابصار - ان لم يكن حقيقة - فهو مجاز وكان حقه أن يذكر
في أحد قسمي الحقيقة المجاز اللذين ذكرهما المؤلف .
(البحث الثالث والعشرون) :

بمعنى أن تجهر العين شخصاً . وفسروا معنى (تجهره) بأن نراه عظيماً .
فيقال مثلاً : (فلانة امرأة ملاحه تأخذها العين) و (كان سعيد لا تأخذه
العين) كل ذلك بمعنى استعظام الشيء والاعجاب به . ولكن هذا المعنى كان
ينبغي أن يذكر في البحث السادس عشر مع المعاني المجازية التي منها الاعجاب
بالشيء . و (ملاحه) أبلغ من مليحة .
(البحث الرابع والعشرون) :

(أخذ) بمعنى تناول الشيء أي قبض عليه باليد . نحو (نخذ أربعة من
الطير) (فلما سكت عن موسى الغضب أخذ الألواح) (كان يأخذ الرطب
يمينه) إلى غير ذلك من شواهد المعنى الحقيقي التي مرّ نظيرها في القسم الأول
المعقود لإمساك الشيء والقبض عليه فهو مكرر .
وبما يلاحظ على المؤلف أنه أقحم في خلال شواهد هذا الباب عبارة مؤداها
أن كلمة (أخذ) تكون في مواطن كثيرة زائدة لا تفيد معنى الأخذ ، وإنما
تفيد معنى تصوير الحالة وتأكيد القصة . لكنه لم يذكر لنا موطناً واحداً من
تلك المواطن الكثيرة لفهم ما هو مراده .

(البحث الخامس والعشرون) :

(أخذ) بمعنى لبس الثياب والسلاح نحو (أخذ رداه) (أخذت ثوبي)
(خذوا زينتكم) (أخذت الأرض زخرفها) . لكنني لا أظن أن هذا المعنى
غير المعنى الحقيقي الذي هو تناول والإمساك باليد مكنى به عن اللبس .
فاذا قلنا أخذ ثوبه بمعنى لبسه لم يكن المراد أن معنى الأخذ هو اللبس وإنما
المعنى أنه أخذه لغرض أن يلبسه .

وهذا كما اذا قلنا (اخذ قلعه) وتكرر منا هذا الاستعمال : فان الأخذ حينئذ يصبح مراداً به الكتابة . لكن لا يصح ان يقال ان (اخذ) بمعنى (كتب) ، وانما المراد به معناه الحقيقي . والكتابة فهمت من السياق وقريبة ذكر القلم ، وكذا يقال في أخذ الثوب والسلاح والزينة .

(البحث السادس والعشرون) :

(أَخَذَ) بمعنى (شرب) ومن أمثله قوله (ألا تأخذوا لبناً ؟) . والحق ان معنى الأخذ هنا كما في أخذ الثوب . اما الشرب فيفهم بقريته ذكر اللبن . كما فهم الألبس من ذكر الثوب . ولو جملنا اللبس والشرب من معاني أخذ لصح لنا ان نقول ان من معاني اخذ ركب الفرس وركب القطار : في ما إذا قلنا أخذ فلان فرساً الى العزبة ، او اخذ فلان قطاراً الى طنطا .

(البحث السابع والعشرون) :

(أخذ) بمعنى آوى شخصاً واجاره نحو (فليلقه اليم بالساحل يأخذه عدو لي وعدو له) وفي الطبري (تلکم صاحبکم في بني جمع اذهبوا فخذوها فذهبوا اليها فأخذوها) . الى غير ذلك من الشواهد وكلها لا تدل على الإيواء والإجارة ، وانما تدل على معنى الأخذ الحقيقي لغرض الإيواء أو الإجارة ، كما مر في أخذ الثوب لغرض اللبس ، واخذ اللبن لغرض الشرب .

(البحث الثامن والعشرون) :

بمعنى تزوج امرأة كما في حديث (لما أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم صفية) ويقال ان الأخذ فيه كما في السابق ولا شاهد فيه على معنى جديد للأخذ .

(البحث التاسع والعشرون) :

بمعنى اشترى شيئاً بالثمن نحو (أخذ الدار بعشرين الف درهم) ونحو (أخذ الجار الدار بالشفعة) و (خذه ولو بقوطي مارية) الخ . وهو ايضاً ليس معنى جديداً لأخذ وانما هم تجاوزوا فيه عن الشراء ، فيحسن ان يذكر في جملة المعاني المجازية .

(البحث الثلاثون) :

بمعنى اقترض شيئاً كما في حديث (من أخذ أموال الناس يريد أداءها أخّر)
ولا شاهد فيه أيضاً لمعنى جديد وإنما هو المعنى القديم المتكرر .

(البحث الحادي والثلاثون) :

بمعنى النيل والحصول على الشيء نحو قول الحمامي (وأخذني الحمد بالثمن
الرييح) ونحو (لا يأخذون الملك إلا غصباً) وهذا أيضاً لا معنى جديد فيه ،
وإنما هو بمعنى الاستيلاء والحيازة . وبدل عليه قول المؤلف في عنوان بحث الحيازة
(حصل على) ومعنى (حصل على) حاز الشيء حيازة فكان يحسن أن تذكر
شواهد هذا البحث مع شواهد بحث (الحيازة) في القسم الثاني .

(البحث الثاني والثلاثون) :

الأخذ بمعنى المحافظة على الأمر ومنه حديث (وإنما يؤخذ من أمر رسول الله
صلى الله عليه وسلم الآخر فالآخر) والأخذ هنا بمعناه الحقيقي كما لا يخفى ،
وإنما فهم معنى المحافظة من سياق الكلام لا من الوضع اللغوي .

*
**

انتهت الأقسام أو البحوث الاثنان والثلاثون . وعندى أنه يمكن ارجاعها
الى ثلاثة بحوث مستقلة متحاجة :

(١) بحث تذكر فيه المعاني الحقيقية الأصلية للأخذ ويقتصر فيه من الشواهد
على أوضحها دلالة .

(٢) بحث تذكر فيه كلمات (الأخذ) الدالة على معنى الحيازة والاستيلاء
والغلبة والقهر . وهو معنى معظم كلمات (الأخذ) الواردة في لغة
فصحاء العرب وقد استشهد بها المؤلف .

م (٣)

(٣) بحث تذكر فيه ضروب من المعاني لفعل (أَخَذَ) قد تجوزوا فيها أيضاً عن معنى الاستيلاء والغلبة لكنه تجوز في غاية الخفاء واللطافة بحيث أصبح كأنه معنى جديد للاستيلاء .

وهذا كتجوزهم في التعابير الآتية :

- ١- أَخَذَهُ بِلِسَانِهِ إِذَا عَابَهُ
- ٢- أَخَذَ فُلَانٌ إِذَا سَحَرَ
- ٢- مَا أَخَذَتْهُ أَي مَا أَبْصَرَتْهُ
- ٤- فُلَانٌ تَأْخُذُهُ الْعَيُونُ أَي تَتَعَطَّطُهُ
- ٥- أَخَذَ فُلَانٌ زِينَتَهُ أَي لَبَسَ ثَوْبَ زِينَتِهِ

هذا ما أردت بيانه في ملاحظاتي هذه على معجم الزميل الكريم الدكتور فيشر . ومن تصفح هذا النموذج أدرك ما لحضرتة من التبحر في لغتنا العربية الشريفة ومن سعة الاطلاع على تاريخ كلماتها . ومختلف أساليبها وتعابيرها وشواهدا ، مع الثبوت والاحتياط والأمانة في النقل جزاء الله عن عمله خير الجزاء .

المصري

اسماء النبات والحيوان في المعجمات العربية

من المعلوم أن المعجم كتاب تُدرّج فيه مفردات اللغة على حروف المعجم ،
او على طريقة اخرى ، وتعرّف . فاذا جعل فيه ألفاظ ليست في تلك اللغة ،
أو عرفت ألفاظه تعريفاً ناقصاً او مغلوطاً ، عدّ معجماً سقيماً .

واسماء النبات والحيوان في معاجمنا القديمة كانت تعرّف على حسب معرفتهم
بتلك المواليد . وكانت هذه المعرفة ناقصة لا تتعدى بعض الأشكال الخارجية
البارزة للنبات او للحيوان . وكانوا يجهلون المظهر ، ولهذا لم يتمكنوا من معرفة
خلايا الأحياء ونسجها مما هو ضروري لتفريق بعضها عن بعض ، وتصنيفها
ضرورياً فأنواعاً فأجناساً ففصائل الى أعلى حلقة من حلقات التصنيف المتبع في
أيام الناس هذه .

وعندما صُنفت المعجمات العربية أيام الخليل بن احمد الفراهيدي وتلميذه
الليث وابن دريد والأزهري والجوهرى وابن سيده وغيرهم من القدماء ،
وابن منظور والفيروزآبادي والزيدي ممن جاءوا بعدهم ، كانت علوم المواليد
والكيمياء والطبيعة كلها في حال بدائية بسيطة ، لا تتجاوز ما كان يعرفه اليونان
والفرس والسريان ، وما أضافه العرب الى تلك العلوم . وكانت من النتائج
الطبيعية لذلك حصول إيهام وتشويش في تعريف بعض النباتات والحيوانات ،
واهمال عدد عظيم مما لا ينبت او لا يُزرع في جزيرة العرب أو في البلاد التي
امتد اليها سلطانهم .

وعندما كنت أصنف «معجم الألفاظ الزراعية» بالفرنسية والعربية كنت
أصادف في معاجمنا القديمة عجائب وغرائب تتعلق باسماء المواليد . وهذه العيوب
كثيرة . وهاكم منها بعض ماله صلة بالنبات والحيوان :

أولاً - خلوة المعاجم من أسماء كثير من النبات والحيوان : لم تمتد الفتوحات العربية الى أمريكا ، ولا الى الشرق الأقصى ، ولا الى كثير من الأصقاع الشمالية والجنوبية من الكرة الأرضية . ولذلك لبث علماء العرب جاهلين بمعظم نبات تلك البلاد وحيوانها . ولبث معاجنا القديمة خالية منها . وهي الآن مؤلفة . وبعضها له تأثير كبير في مرافق الانسان الاقتصادية . فمن النباتات الزراعية التي كانت مجهولة في تلك الأيام التبغ والذرة الصفراء (الذرة الشامية) والبرتقال والماندرين والكاكاو والونيلية والأناس والقشدة والبنادوري (الطماطم) والفليفلة والرايتنجية والمغنولية والزينية والدهلية الخ . الخ .

ومن دقائق النبات فطور مجهرية كثيرة تفتك بالزروع على أنواعها . ومن الحيوان حشرات لا تعد ولا تحصى تفتك بمختلف النباتات المزروعة ، او بشجر الحراج ، او بالألبسة ، او بالحيوانات الدواجن . وكل هذه الأحياء وغيرها لا ذكر لها في المعاجم العربية القديمة . وهذا يعد نقصاً شديداً ، لأن تلاميذ مدارس التجهيز والزراعة والطب والصيدلة وغيرها يحتاجون جميعاً الى معرفة ما استقر عليه الرأي من أسماء عربية لتلك المواليد . ولا يجوز ان يركب كل مؤلف رأسه ، فيضع لها أسماء من عنده مهماً للقواعد المتبعة في وضع المصطلحات العلمية . كما لا يجوز ان يترك أمرها للعامة تسميها بأسماء كثيراً ما تكون نائية او عجيبة .

ثانياً - خطأ أعيان المواليد في التسمية : قلت ان تصنيف الأحياء ،

على حسب خصائصها الداخلية والخارجية ، شيء لم تعرفه الاجيال القديمة . ولذلك كثيراً ما كانوا يخلطون في التسمية بعض الأنواع المتقاربة ببعض ، على حين ان كلاً من تلك الأنواع 'بعد اليوم' مستقلاً عن الآخر . فمعجمتنا مثلاً لم تفرق بين الأرز والعمر والصنوبر والسرور ، فسمت كل نوع من هذا الشجر بلعم الآخر . ومعناه انني اذا وقفت أنا وأنت أمام ابرة من أرز لبنان ، وقلت لك ما هو اسم

هذه الشجرة ؟ أجبتني بأنها تسمى أرزة وعرعرية ومروية وصنوبرية ! وإذا أريتك شجرة صنوبر وسألتك عن اسمها : أجبت أيضاً بأنها تسمى الأرز والعرعر والسرو والصنوبر وهكذا . فتأمل نتائج الخلط في تسمية اعيان المواليد .

ومن الموصف ان يكون هذا الخلط في التسمية كثيراً . وفيما يلي بعض الأمثلة :

لقد عرفوا الأوزن بالبط اي جعلوهما شيئاً واحداً ، على حين ان كلا منهما نوع ينتسب الى جنس مستقل عن جنس الآخر . وقالوا ان القتب نوع من الكتان ، وهما من فصيلتين مختلفتين ، ليس في تحليتهما تشابه . وجعلوا اللوز والبندق نباتاً واحداً ، وأين هذا من ذاك ، فالأول من الورديات ، والثاني من اليوطيات . وهكذا جمعوا بين الكرب والسلق على حين ان الأول من الصليبيات والثاني من السرمقيات . وأطلقوا أسماء الثيل والنجم والتجيبيل والتجوير والعكرش بلا تمييز على عدة نباتات من التجيبات كل منها هو اليوم نوع مستقل عن الآخر . وعرفوا الأتقليس بالجوري . وشتان ما بين هذين النوعين . لأن كلا منهما ينتسب الى فصيلة من السمك ، فالأولى تسمى السلوريات والثانية الأتقليسيات . وهكذا سموا كثيراً من انواع النبات والحيوان بأسماء انواع اخرى ، اما لجهلهم بها ، واما لقرب بعضها من بعض ، وصعوبة التمييز بينها علمياً في أيامهم .

اما الأسماء التي ضلوا في معرفة مدلولاتها فهي أيضاً كثيرة : فاذا راجعت مادة سَمَق في اللسان مثلاً تجد . يقول : السَمَق السَمَم وقيل المرزنجوش ، والسَمَق الياسمين وقيل الآس . قلت أين السَمَم من المرزنجوش او من الياسمين او من الآس ؟

وإذا قُتشت فيه عن معنى كلمة جُلجُلان ألفيته يقول : والجلجلان ثمرة الكزبرة وقيل حب السمسم ، وقال ابو الفوث الجلجلان هو السمسم في قشره قبل ان يجصد . وقال ابن الأعرابي يقال لما في جوف التين من الحب الجلجلان .

وفيه ان التقدة هي الكسبرة والكروية ، وان الينبوت هو الخروب والخشخاش
والأناغورس وخروب المعزى وهو ايضاً شجرة مثل شجرة التفاح الخ . فهل رأيت
مثل هذا في معجم من معاجم اللغات الأوربية ؟

وبتضح من هذه الأمثلة انهم كثيراً ما اطلقوا الكلمة الواحدة على أكثر
من نبات واحد ، إما لجهلهم بمدلول تلك الكلمة ، وإما لأنها كانت تدل على
نباتات مختلفة لدى بعض القبائل او في بعض الأقطار العربية . ولكن كل هذا
لا يجوز ان يظل على حاله في معجم علمي حديث . وقصارى ما يمكن ان يذكر
فيه كون الكلمة الفلانية تدل على كذا (نبات واحد معلوم) ، وان ' يذكر في
الشرح كونها تدل لدى العامة على نبات كذا او كذا في هذا القطر العربي او ذاك .
ثالثاً - تفسير الألفاظ بغير التفسير العلمي الحديث : راجع كلمة طير في اللسان

مثلاً تجد ابن منظور يقول : « والطير معروف اسم لجماعة ما يطير » . وراجع
كتاب الطير في المخصص تجد ابن سيده يدرج في جملة الطير الجراد والزناير
والذباب والنحل وغيرها من الحشرات التي تطير . فكل ما يطير هو عندهم طائر ،
على حين ان الطير في العلم الحديث حلقة من حلقات تصنيف الحيوان ، والحشرات
حلقة اخرى أهم من الأولى وبعيدة عنها في التخلية . وطيران بعض الحشرات
لا يسوغ جعلها مع الطير في حلقة واحدة .

وكلمة حشرة نفسها لا تدل في معاجمنا على كل ما تدل عليه كلمة « Insecte » في
علم الحيوان . فهذه اللفظة الأخيرة تطلق على صف معلوم من المفصليات . فكل
حشرة لها بنية متسقة التركيب ، اي انها تتألف دائماً من ثلاثة اجزاء واضحة
هي الرأس والجوشن (اي الصدر) والبطن (اي البطن) . ويكون في الرأس
العيون والفم والزبانيان اي القرنان . وفي الجوشن ثلاث حلقات عليها ثلاثة ازواج
من الأرجل لا تزيد ولا تنقص . ولذلك اطلق بعض العلماء على الحشرات
اسم سدامية القوائم .

اما في كتب اللغة العربية فالحشرات هي الدواب الصغار أياً كان مكانها في التصنيف . فالقنفذ عندهم حشرة ، وكذا القار والجُرذ والحرباء والعظاية وغيرها . وهكذا جملوا هذه الحيوانات في عداد الحشرات ، على حين انها جعلت في التصنيف في حلقات بعيدة عن حلقة الحشرات . فالقنفذ من صف الثدييات ومن رتبة الحشريات اي آكلات الحشرات ، والقار والجُرذ هما ايضاً من الثدييات ومن رتبة القواضم . اما الحرباء والعظاية فمن العظاء . وهي كلها بعيدة عما يسمى حشرات في علم الحيوان .

واذا أنعمنا النظر في كلمة شجرة نجد ان الشجرة علمياً هي كل نبات معمر له ساق خشبية جزؤها الأسفل عار بسيط وفوقه اما متسق من الورق (كما في النخل) ، او عدد من الشعب فالفروع فالأغصان فالأوراق (كما في المشمش مثلاً) . ويتضح من هذا التعريف العلمي الحديث للشجرة انه يجب ان تكون معمرة اي ان تعيش سنين ، وان يكون لها ساق خشبية لا ساق هشة رخصة عشبية ، وان يكون للشجرة الواحدة ساق واحدة عارية الأسفل .

وهذه الشروط لاوجود لها في تعريف الشجرة في معجماتنا العربية . فالشجر فيها هو من النبات ما قام على ساق ، او ما سما بنفسه ، دق أو جل ، قاوم الشتاء او عجز عنه . ولهذا اذا راجعنا فيها أسماء بعض النباتات العشبية ، سنوبة كانت او محولة ، نجدهم يعبرون عنها بكلمة شجرة . فالخشخاش فيها شجرة ، والخردل شجرة ، والخطمي شجرة ، والخبازي شجرة ، والكرسنة شجرة صغيرة ، والثقار اي شقائق النعمان شجرة الخ . ومن المعلوم انها كلها أعشاب سنوية لا أشجار بالمعنى العلمي الحديث .

هذه ثلاثة أمثلة على كلمات لم تعرف في معجماتنا تعريفاً علمياً . ولتصور حال التلميذ الذي يدرس الموالييد في المدرسة عندما يفتش عن الحرباء في المعجم فيجد انه حشرة ، او يفتش عن الزنبور فيلقبه طيراً ، او عن الخطمي فيلقاه شجراً .

وكيف يوفق بين النصين نص كتاب المواليد ونص المعجم العربي؟ فهذه التعريفات واشباهها في معاجمنا لا تصلح لهذه الآراء، ولا بد من تعديلها، إلا إذا أردنا أن نظل هذه المعاجم في واد والعلوم الحديثة في واد.

رابعاً - نسق التحلية لأعيان النبات والحيوان: من أهم عيوب معاجمنا التقصير المشين في تحلية أعيان النبات والحيوان. فمعظمها لم توصف بأكثر من أنها نبت أو نبات أو شجر أو عشب أو بقل أو حيوان أو طائر أو ما أشبه ذلك. وإذا كانت مبذولة، يضيفون إلى هذه الكلمة لفظ «معروف» كأنه من الطبيعي أن يكون المطالع عارفاً بالاسماء التي يفتش عنها. وهو لو كان عارفاً بها لما احتاج إلى معجم. فالتعريف معروف، والخنظل معروف، والسحر شجر معروف، والكتان معروف، والسحاق معروف، والسوسن هذا المشوم، والشحرور طائر الخ. الخ. والأعيان التي حلوها جاءت تحلية كثير منها ناقصة أو مفلوطة. وهي في الحالين بعيدة عن التحلية العلمية التي يجدها المطالع في كتب المواليد المسببة أو في معاجم اللغات الأوربية الكبيرة. ولا يمكن أن تكون تحلية القدماء للمواليد صالحة لأننا هذه، لأن القدماء كانوا جاهلين بالأسس التي قام عليها تصنيف الأحياء. وعندني أن ابن البيطار أهم عالم عربي وصف النباتات الطبية وغيرها في مفرداته، ولكن هذه التحلية على جلالة قدرها لا تتمدى ببعض الأشكال الخارجية لتلك النباتات. وشتان ما بينها وبين التحلية الدقيقة الجامعة للمانة التي يراها المرء في كتب النبات المسببة الحديثة. واختلاصة أن علوم الأحياء تقدمت كثيراً، ولهذا تبدلت تحلية المواليد وأصبحت تختلف عما كانت عليه في معاجمنا القديمة أو فيما صنف القدماء من كتب في النبات والحيوان والزراعة والمفردات الطبية. وكما أنه من أسباب إضاعة الوقت أن يراجع التلميذ هذه للكتب في غضبنا هذا، كذلك من أسباب إضاعة الوقت مراجعته لمعجمتنا القديمة بنية الوقوف على تحلية عين من أعيان المواليد فيها.

خامساً - تفسير الكلام بالفاظ أعجمية : لكل عين من أعيان المواليد اليوم

اسم علمي ثابت لا يتبدل . فمتى عرفت ذلك الاسم سهل عليك معرفة مدلوله .
والمعجمات الاجنبية الكبيرة تذكر الاسماء العلمية للمواليد دائماً . ومن البديهي
ان معاجمنا القديمة خالية منها ، اي ان مصنفى المعاجم القديمة لم يكن عندهم هذه
الوسيلة المهمة التي يرجع اليها في معرفة أعيان المواليد . ولهذا كثيراً ما كانوا
يختارون في طريقة التعريف بتلك الأعيان ، فتارة يعرفونها بأسماء مترادفة كقولهم
مثلاً ان الدُّرَّاقين هو الفِرْمَك ، والباذنجان الأنب والمغد ، وطوراً يحلون بها تحلية
بسيطة ، او يكتفون بقولهم انها معروفة . ومن جملة ما لجأوا اليه تفسيرهم الواضح
منها بأسماء غامضة أعجمية معربة وهو ما أعنيه في هذا البحث . فالفيروزابادي
مثلاً فسر كثيراً من أسماء النبات وغيرها بأسماء أعجمية فقال سيف القاموس :
الحبق هو الفوتنج ، وحبق الراعي البرنجاسف ، والبندق الجلوز ، والشمار
الرازيانج ، والفصفصة الاوسبست ، والزيل السرقين والسرجين ، وحس الدابة
فرجنتها ، والمحسة الفرجون الخ . والناس يعرفون اليوم الحبق والبندق والشمار
والفصفصة والزيل والمحسة ، ويجهلون الأسماء الأعجمية المقابلة لها .

فتفسير كلمات معلومة واضحة بكلمات مجهولة غامضة امر غير محمود .

سادساً - كثرة الأغلاط العلمية : من العبث ذكر الأغلاط العلمية

والخرافات المضحكة التي يصادفها الإنسان في المعاجم وفي كتب المفردات وكتب
الزراعة والطب القديمة . وهي في المعاجم اقل منها في الكتب الأخرى ، لأن
أعيان المواليد تعرف في المعاجم تعريفاً مقتضباً ، اما في كتب النبات والحيوان
والزراعة والطب فالمؤلفون يحتاجون الى الشرح ، ولذلك نجدهم يخطون في كثير
من الموضوعات خبط عشواء .

فمن الأمثلة على الأغلاط العلمية في المعاجم قولهم ان الدُّلَب (ويسمى الصنار)
لا نور له ولا ثمر ، وقولهم « المختص ج ١١ ص ١٥٧ » ان القرأص له ثمرة

كالبنادق ، ولكن لا تور له ولا حب ، وقولهم ان الأصل لا ورق له (على حين ان لبعض انواعه ورقاً صفاراً) ، وقولهم ان نبات البردي كنبات النخلة الا أنها لا تطول ، وقولهم ان العنق شجر يحمل مرة بلوطاً ومرة عنقاً (المخصص ١١ ص ٢١٤) الخ . وجميع ذلك فيه نظر . .

سابعاً - تبدل مدلول الأسماء : كثير من اسماء النبات تبدل اليوم بمدلولها ، فكانت في القديم تطلق على نباتات معروفة ، وأصبحت اليوم تطلق على نباتات اخرى . وخلو المعاجم القديمة من ذكر الاصطلاح الحديث تقص كبير فيها . وهاكم بعض الأمثلة على ذلك :

الاسم العربي	الاسم العربي أو الفرنسي	الاسم الفرنسي لمدلوله في الاصطلاح الحديث
البَلَّان	Balsamier	Sureau
القَبَقَب	الأزادرخت اي Azedarach	Erable
السَّجَم	اللفت اي Navet	Colza
الزَّئْبَق	دهن الياسمين ودهن الطيَّان ودهن الجَلِّ	Lis
الشَّيْلَم	الزُّوان اي Ivraie	Seigle
الكَشِيش	(عنب لا نوى له) ?	Groseiller
الزَّيْفُون	الخِلاف اي Elaeagnus	Tilleul
الفُلَّ	(نبات مجهول تحلته غير تحلية الفل المعروف)	Jasmin sambac

الخ .

ثامناً - اسماء عامية يفيد إقرارها : أعرف كثيراً من النباتات والحشرات ليس لها في المعاجم القديمة اسماء عربية خاصة ، ولكنها تعرف لدى الكافة باسماء عامية قديمة أو حديثة ، خفيفة على السمع ذاع استعمالها في بعض الأقطار العربية . فاسماء كهذه من المفيد أن تُدمج في عداد الألفاظ المقبولة . وفيما يلي بعضها :

الاسم العربي	الاسم العامي	الاسم العلمي	ملاحظات
بقة الزرع	السونة	<i>Eurygaster integriceps</i>	اشتهر لفظ السونة في الشام والعراق وإيران
سَنَطُ قَرْنِس	الفتنة، العنبر	<i>Acacia Farnesiana</i>	
بَلُوطُ الْبَرْتَقَال	المأل	<i>Quercus lusitanica</i>	المأل كلمة مشهورة في جميع جبال الشام
البوط الأشعر	العز	<i>Quercus cerris</i>	العز كلمة مشهورة في جبال العلويين
عَرَعَرُ الشام	الدق	<i>Juniperus communis</i>	الدق في جبال الشام
العرعر، العرعر الكادي، اللزاب		<i>Juniperus excelsa</i>	اللزاب كلمة مشهورة في جبال الشام

الخ .

ولا جناح علينا إذا ما أقررنا استعمال مثل هذه الأسماء ، فالقدماء ، أضافوا الى معاجم اللغة العربية أسماء نباتات لم تعرفها العرب في جزيرتهم ، بل عرفوها في الشام والعراق وإيران ومصر بعد الفتوحات ، كالسندبان تطلق على نوع من البلوط ، وكالابيل تطلق على الأرز وعلى نوع من العرعر ، وكالعرطيشا والزعرور والبرسيم واللوطس والبندق والدراقن ومثبات من أسماء المواليد الماثلة مما عربوه وأضافوه الى كتب اللغة .

تاسعاً - أسماء مواليد فيها تصحيف : كثير من الأقدمين كانوا يهملون التنقيط ، حتى إذا قام الذين جاءوا بعدهم بحصر المفردات في كتب اللغة ضلوا في بعض الكلم بين الباء والتاء ، وبين السين والشين ، وبين الصاد والضاد ، وبين العين والغين ، وبين الجيم والحاء ، وبين القاء والقاف ، وبين الراء

والزاي ، وبين الطاء والظاء ، وخلوا أيضاً بين الحروف المتقاربة ، فكانت مغبة ذلك رسم عدد كبير من أسماء المواليد ، ولا سيما العربية منها ، على أشكال شتى ، كالساق مثلاً فمن أسماء العُزْب والعُزْب والعُزْب (ومن العجيب قول صاحب القاموس أنها كلها بمعنى وليس فيها تعصيف) وكذلك السليم والسليم ، والجمع والجمع ، والشمخ والشمخ ، والنيوفر والنيوفر ، والشمخ والشمخ الخ .

أما رسم الأسماء العربية على أشكال شتى فهو كثير . فقد قالوا المرزنجوش والمرزنجوش ، والمردقوش ، والياسمين والياسمين ، والعبيثران ، والعبيثران ، والشونيز والشونيز الخ .

واعتقد أن إهمال الشكل في القديم كان سبباً مهماً آلى إلى ورود الأحرف على حركات مختلفة في أسماء المواليد العربية ، كقولهم الكرنب والكرنب ، والسبوت والسبوت ، والقنب والقنب وأمثال ذلك كثير جداً . ولا أظن أن اختلاف النطق لدى القبائل العربية هو السبب الداعي إلى اختلاف الحركات في أحرف الاسم الواحد ، لأن النباتات التي تدل عليها هذه الأسماء ليست منابتها جزيرة العرب .

اختلاصة : يتضح من هذا المقال الذي لم أخرج فيه عن أسماء المواليد ، أن معجمات العربية تشتمل على نواقص ومعايب كثيرة . وإنها لا تصلح لهذا الزمن . ومع ذلك من الإنصاف القول بأن علماء اللغة الذين صنفوا تلك المعجمات قد بذلوا جهداً كبيراً في تصنيفها ، وأنه كان من الصعب عليهم أن يأتوا بأحسن منها في تلك الأيام الخوالي . فهم يستحقون كل شكر على عملهم المجيد . والمقصرون هم علماء المصور الأخيرة الذين جمدوا ولم يعملوا شيئاً في إصلاح المعاجم القديمة وفي جعلها تسير العلوم والفنون الحديثة وتنسجم لها .

ولا شك أنه من أشق الأمور تناول المعجمات القديمة بالتشذيب والتنقيح بغية جعلها تستقيم على ما تريد لها . وأخون من ذلك تصنيف معجم لغوي جديد

بشتمل على الضروري من ألفاظ المعاجم القديمة ، وعلى ما يستقر الرأي عليه من
ألفاظ العلوم والفنون والاختراعات الحديثة . والمهم ان تعرف جميعها تعريفاً علمياً
صحيحاً ، اي على مقتضى المعاني في معارف هذه الأبناء .

وبما لا غنى عنه أيضاً تصنيف معجم فرنسي عربي وآخر انكليزي عربي ،
على ان يتضمن كل منهما أصح الألفاظ العربية المقابلة للحكم الأجنبية ،
وأهم المصطلحات العربية المرجحة للعلوم والفنون والآداب والفلسفة .

ولا شك ان هذا العمل شاق لا يضطلع به الا مجمع لغوي . واعتقد انه
ليس له إلا مجمع فؤاد الأول للغة العربية ، اذا جد واجتهد وعرف كيف
يستعين بوسائله وبجهود علماء اللغة والاختصاصيين بالعلوم الحديثة ومصطلحاتها .

مصطفى الشهابي

شعر ابن أبي حصينة

الأمير أبو الفتح الحسن^(١) بن أحمد بن عبد الجبار بن أبي حصينة^(٢) السلمي
المعري شاعر مكثّر عاش بين سنتي ٣٨٨ - ٤٥٢ . وكان قويّ العلة بالدولة
«المرداسية» التي حكمت مدينة حلب ونواحيها في تلك الحقبة (٤١٤ - ٤٧٨)
حظياً لديها ، كثير المدح لأمرائها . وله أشعار وأخبار مفرقة في كثير من
كتب الأدب والتاريخ (معجم الأدباء ج ٤ ص ٦٦ - ٧٥ . فوات الوفيات
ج ١ ص ١٢٢ - ١٢٣ . تاريخ ابن الوردي حوادث سنتي ٤٤٩ و ٤٥٢
تاريخ ابن عساكر ج ٤ ص ٣٠٥) وغيرها .

ومن أخباره أنه مدح مرة نصر بن صالح بن مرداس بحلب فقال له : تمنّ ،
فقال : أتمنى أن أكون أميراً ، فجعله أميراً يجلس مع الأمراء ويخاطب بالأمير ،
ثم وهبه يوماً مكاناً بحلب قبل حمام الواساني فعمله داراً وزخرفها ونقش عليها :

دار بنيناها وعشنا بها في دعة من آل «مرداس»

قوم يحوا يؤمّي ولم يتركوا علي في الأيام من باس

قل لبني الدنيا : ألا هكذا فليفعل الناس مع الناس

ولما تكامل بناؤها عمل دعوة حضرها نصر بن صالح فلما قرأ الأبيات قال :

يا أمير ، كم خسرت علي بنائها ؟ قال : يا مولانا مالي علم ، هذا الرجل قد

تولى عمارتها . فسأل الممار فقال : غرم عليها التي دينار مصرية ، فأمر نصر

باحضارها مع خلعة كريمة ، وبعد أيام حضر رجل من أراذل «المرة» ينز

بالزقوم ، فأمر نصر بجعله من أجناد «المرة» فقال أحمد بن محمد بن الزويدة المعري :

(١) سماه ابن عساكر وياقوت «الحسين» . (٢) وردت كلمة «حصينة» مضمومة

الحاء بالحركة في عدة مواضع من النسخة البغدادية ، ومفتوحة في النسخة الدمشقية .

أهل « المعرة » تحت أقبح خطة وبهم أناخ الخطب وهو جسيم
لم يكفه تأميره « ابن حصينة » حتى تجند بعده « الزقوم »
يا قوم قد سئمت بذاك نفوسنا يا قوم! أين الترك؟ أين الروم؟!
فاشتهرت الأبيات وسمعا الأمير أبو الفتح ، فافتحم باب ابن الزويدة ، ففتح
له وقال : الآن والله كان عندي « الزقوم » وقال : والله ما لي من الهجو ما لي
من كونك قرنت اسمي بابن حصينة ؛ فقال أبو الفتح قبّحك الله . وهذا هجو ثان .
ومن شعر أبي الفتح :

بكت عليّ غداة البين حين رأت دمي يفيض وحالي حال مهبوت
قدمتي ذوّبُ ياقوت على ذهب ودمعها ذوّبُ دُرٍّ فوق ياقوت
وقوله : أشرُّ من فاقة الزمان مقام حرٍّ على هوان
فاسترزق الله واستعنه فانه خير مستعان
وان نيا منزل بحرٍ فمن مكان الى مكان
وقوله : اذا المرء لم يرض ما أمكنه ولم يأت من أمره أحسنه
فدعه فقد ساء تدبيره ميضحك يوما ويكي سنه

وقد جمع بعض شعره في حياته مواظنه ومعاصره أبو العلاء المعري ، في ثلاث
مجلدات وشرح بعضه ، وتوفي أبو العلاء قبله بثلاث سنوات فرثاه بقصيدة ذكر
منها ابن الوردي وياقوت ١٦ بيتاً ، مطلعها :

العلم بعد أبي العلاء مضيع والأرض خالية الجوانب بلقع
ومنها : رفض الحياة ومات قبل عماته متطوعاً بأمرٍ ما يتطوع
عين تسهد للعفاف وللتقى أبداً وقلب للميمن يخشع

وطلق عليها ابن الوردي بقوله : فانظر الى مراثاه به هذا الرجل ووصفه من
تقاه ورفضه للحياة وتطوعه ، وهو أعلم به من الأجانب . ويقول ابن الوردي
أيضاً عن شعر أبي الفتح : (ج ١ ص ٣٦٦) : ولولا التطويل لذكرت من

شعر أبي الفتح كثيراً؛ فانه السهل الممتنع، سلس القياد، عذب الالفاظ،
حسن السبك، لطيف المقاصد، تعري عن الخشو. اهـ

وقد اطلعت على مجموعتين من شعره، احدهما في مكتبة «المجمع العلمي العربي»
بدمشق، والثانية في مكتبة دار الآثار ببغداد، فأما نسخة المجمع فقد نقلت
بالتصوير عن نسخة في مكتبة «الاسكوريال» في اسبانية، وتقع في (١٧٢ لوحة)
عن (٢٤٢ صفحة بقطع الثمن)، كل صفحة تحوي ١٢ سطرا، والكتابة نسخية
جميلة، مشكلة الحروف. وأول هذه النسخة:

فأراجع اللب يأنى أن يحمله وزراً هو رجح الأكمال في الأزر
وأخرها - بعد انتهاء قصيدة - :

سقيت الحيا أيها المنزل وجادتك أنواؤه المظلل

(آخر الجزء الأول من شعر أبي الفتح بن أبي حصينة السلمي، وتتلوه في
الجزء الثاني أرجوزة في هذا الممدوح أيضاً أنشده اياها بديها، وقد شرب على
فيض شاذروان، أولها :

لله يوم مؤذن بسعده عند فتى أمسى نسج وحده

والحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد النبي وآله الطاهرين وسلم تسليماً هـ .
وليس في هذه النسخة ما يدل على اسم جامع هذا الشعر . وقد يفهم من كلمة
وردت في (لوحة ١٣٤) أنه جمع في حياة الناظم وتلك الكلمة هي (وقال
أيضاً : وعرضتُ برجل اغتاني بحضرته) ثم أورد قصيدة .

أما تاريخ كتابة هذه النسخة فغير مذكور فيها، ولكنه سابق لعام ٧٨٧
حيث يوجد في هامش آخر صفحة منها كتابة لأحد مطالعها مؤرخة في ذلك
العام وفي ١١ شهر ذي القعدة منه . وكتابات آخر بعد هذا التاريخ .
وقص النسخة من أولها يسير قد لا يتجاوز مقدمة الديوان، وستة أبيات
من أول القصيدة الرائية التي مطلعها :

هل بعد شيك من عذر لمعتذر فازجر عن الغي قلباً غير منزجر
ويحوي هذا المجموع من شعر أبي الفتح ١١٥ قصيدة ومقطوعة ، كلها في مدح
الأمير 'ثمال بن صالح بن مرداس' ، الذي حكم مدينة حلب في قترتين من الزمن
(٤٣٣ - ٤٤٩ و ٤٥٣ - ٤٤٥) ، وآخر قصيدة مدحه بها ، ما هو في هذه
النسخة نظمها في سنة ٤٤٩ (انظر لوحة ١٣٣) . ولأبي الفتح أشعار كثيرة
في المدح والرثاء وغيرهما من فنون الشعر ، لا توجد في هذه النسخة التي هي
أوفى ما اطلعت عليه من شعر هذا الشاعر .

أما النسخة الثانية فهي وان كانت أقل شعراً ، وأحدث خطأ ، إلا أنها أعظم
قيمة ، وأعم فائدة ، إذ هي أثر جليل من آثار حكيم « المعرة » وفيلسوفها
أبي العلاء . ومن الغريب ان جميع من كتبوا عن أبي العلاء وتعرضوا لذكر
مؤلفاته من متقدمي الباحثين ومتأخريهم - ممن اطلعت على كتاباتهم - لم يتعرضوا
لذكر هذا الأثر ، سوى ابن العديم ، فقد أشار إليه في كتابه عن المعري بقوله
(ص ٥٤١ تعريف القدماء بأبي العلاء) : وجمع شعر الأمير أبي الفتح بن أبي حصينة
السلمي ، وشرح مواضع منه في ثلاث مجلدات .

وقد اقبلت لنا يد الحدثان بما جمعه أبو العلاء وشرحه من شعر أبي الفتح
قسماً صالحاً ، سأنحف من قراء « مجلة المجمع العلمي » من يرى منهم الإخبار
بهذا الأثر « العلاءي » متحفاً .

في ثبت المخطوطات التي أهداها الآباء الكرمليون لخزانة الآثار العراقية ،
والتي تبلغ ١٣٣٥ مخطوطاً ، كتاب رقمه (١٢٦١) واسمه (ديوان ابن أبي حصينة) .
يقع في مجلدة لطيفة الحجم ، قليلة الورق (صفحاتها ٢٠٠ قياس الصفحة
١٥ × ١٠ س ٠ م ٠ والمكتوب فيه ١٣ × ٨ ١/٢ س ٠ م ٠ وعدد السطور مختلف
٢٤ - ٢٠ سطراً ، والخط من نوع الرقعة ، بقلم دقيق ، وبعض الحروف
بشكل بالخرز كات .)
م (٤)

كتب في الصفحة الأولى من تلك المجلدة (النصف الأول من ديوان
الأمير الجليل أبو الفتح (كذا) الحسن بن عبد الله بن أحمد بن أبي حصينة السلمي)
ثم كلمات آخر تتعلق بمحتويات المجلدة بغير خط الكاتب الأصلي . وفي الصفحة
الثانية (بسم الله الرحمن الرحيم . قال الشيخ الأجل الأوحى أبو العلاء أحمد
بن عبد الله بن سليمان التنوخي رحمه الله : الدهر مدبد طويل ، يجوز أن يحدث
في آخره كما حدث في أوله ، لأن الله سبحانه قدير على المحتتمات ، كما حكم به
فهو آت ، تقدمت أسماؤه ، وجلت نعمائه ، ولا يمنع أن ينشئ (كذا) في هذا
العصر من الشعراء من هو لاحق بالمتقدمين . وشيبه من سلف من الفحول الأولين .
وكان مولاي الأمير الجليل أبو الفتح الحسن بن عبد الله بن أبي حصينة سألني
أن اسمع شعره ، فقرأ علي ما أنشأه من أنواع القريض ، فوجدت لفظه غير
مريض ، ومعانيه صحاح مخترعة ، وأغراضه بعيدة مبتدعة ، وهو وإن كان
متأخراً في الزمان ، فكأنه من قرط في عهد النعمان ، ومن سمع كلامه علم أنه
لم يفر شهادة ، ولا حرم في إبداع الكلم سيادة ، والحمد لله الذي خص بمدائحه
السيد الأجل ، تاج الأمراء ، فخر الملك ، أعز الله نصره ، وأعلى ذكره ،
وقد جمع الله الألسن على مدائحه ، كل لسان يبلغ مجهود الإنسان ، فعي بقدر
على كلام قليل ، وبلغ يصل إلى المقام الجليل ، وثالث يقتصر على النية ، وبأمل
بها بلوغ الأمنية ، وما زالت العرب في قديم الزمان تفتخر بالشعر وتجله ، ويعظمه
مكثر الحي ومقله ، وإنما عرضت الملوك أموالها للأعطية رغبة في ثناء باق ،
واستعداد من لا يمنح إلى الأباقي ، ويتفق في الزمان الواحد شعراء كثيرة (كذا)
لا يحمد منهم إلا قول الرجل أو الرجلين . وقد كان علي بن عبد الله بن حمدان
أقام سقياً للشعراء ، وتفرّد بتقريبهم دون (ص ٢ :) الأمراء ، فوحد إلى
قريبهم والبعيد ، والتمس عنده التوال الرغبة لا الزهيد ، فما اشتهر منهم إلا بقر
قليل ، منهم أحمد بن الحسين المنفي ، وأحمد بن محمد النامي ، والحارث بن سعيد

المعروف بابي فراس ، ورجل يعرف بابن كاتب المكنمري ، وهو أقلهم حظاً في مسير القصيد . ولما كان السيد الأجل تاج الأمراء ، فخر الملك ، مبرزاً في الفهم ، خالص الغريزة من التهم ، يعرف عقود الحكم معرفة الصيرفي ، قبض الله سبحانه له من يثني الغلة ، ويخلص مدى الدهر من الخلة ، فحديثه يعبر على الدهور ، والى أن يؤذن بنفخ الصور . وقد قال القائل :

يموت رديء الشعر من قبل أهله وجيده حيٌّ وان مات قائله

قال الأمير الجليل أبو الفتح الحسن بن عبد الله بن أحمد بن أبي حصينة السلمي ، أيد الله عزه ، يمدح الأمير الأجل تاج الأمراء ، فخر الملك ، سيف الخلافة وعصدها ، شرف المعالي ، بهاء الدولة العلوية ، وزعيم جيوشها المستنصرية ، علم الدين ، ذا الفخرين ، مصطفى أمير المؤمنين ، أبا العلوان ، ثمال بن الأمير الأجل أسد الدولة ، ومقدمها وناصحها ، أبي علي صالح بن مرداس السلمي رضي الله عنه وأرضاه ، وجعل الجنة منقلبه ومثواه -- وأنشدت بالرافقة سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة :

هل بعد شيبك من عذر لمعتذر فازجر عن الغي قلباً غير متزجر

ثم قصائد يبلغ عددها ٦٢ تزيد يوتها على (سبعماية والفييت) منها القصيدة التي تبلغ ٦٨ بيتاً والتفة التي لا تزيد على سبعة أبيات ، وكل هذه القصائد موجودة في نسخة «المجمع العلمي» ولكن النسخة البغدادية تمتاز بطول بعض مقدمات القصائد ، ففي نسخة المجمع (لوحة ٣٢) : وقال يمدحه أيضاً في جواب قصيدة جاءته من بغداد . وفي النسخة البغدادية (ص ٣٩) : وقال يمدحه وقد وصلت الى حضرته السامية من بغداد قصيدة أحمد بن طاهر بن أحمد صاحب دار العلم بها ، رضي الله عنه ، يمدحه بها ، ويتوسل به (كذا) اليه فعمل هذه القصيدة وأنشدها يوم مجلس سلامه بالشر المحروس وذلك في شعبان سنة ٤٣٧ وقد يختلف النسختان في تاريخ بعض القصائد (انظر لوحة ٧٦ من نسخة المجمع ، وص ٨٥ من النسخة البغدادية) وفي النسخة البغدادية قصيدتان هذا نص

مقدمتيها - ص ٨٢ (وقال يمدحه وأنشدتها في يوم ظهور^(١) ولد أخيه الأمير الأجل عز الدولة وشمسها ، أبي سلامة ، محمود بن الأمير الأجل ، خاصة الأمراء ، شمس الدولة ، ذي العزيتين ، أبي كامل ، نصر ابن الأمير الأجل شهاب الدولة أبي طاعن صالح ، وذلك بظاهر حلب سنة خمس وأربعين وأربعمائة :

خير الأحاديث ما يبقى على الحقب وخير مالك ما دارى عن الحسب
و ص ٨٥ (وقال يمدحه وهذه القصيدة عملها على لسانه [رحمها^(٢) الله تعالى]

يعاتب اليمن وذلك في سنة خمس وأربعين وأربعمائة :

ما قُدم البغي إلا آخر الرشد والناس يلقون عقي كل ما اعتقدوا
ومن ذكر تاريخ نظم هاتين القصيدتين ، يظهر أن جمع أبي العلاء لهذا الشعر وشرحه له ، هو من آخر مؤلفاته . وفي السنوات الأربع الأخيرة من عمره [توفي سنة ٤٤٩] . ويعزز هذا الرأي أن ابن العديم عدّ هذا الشرح آخر ماعدّ من مؤلفات أبي العلاء ، ويعززه أيضاً ما جاء في مقدمة الديوان من أوصاف ثمال بن صالح ، أوصافاً تدل على أنه كان في عهد كتابة تلك المقدمة أميراً . وآخر هذا القسم من المجموعة في ص ١٠٢ (بعد نهاية القصيدة الدالية التي مطلعها :
كم تكثران العذل والتفنيدا أفتحسبان المستهام رشيدا
وأخراها :

يبلى الزمان ولا يزال حديثها حتى تزول الراسيات جديدا
(تم النصف الأول من ديوان الأمير أبو الفتح (كذا) الحسن بن عبد الله ابن أحمد بن أبي حصينة السلمي (ووافق الفراغ من نساخته في فجر يوم السبت المبارك الخامس عشر من شهر رجب الفرد من شهر سنة أربع وخمسين وألف ، على يد الفقير إلى عفو الجليل ، الخليل بن خليفة العزيز . سمحه الله تعالى بتلوه

(١) ظهور تستعمل في نجد بمعنى « ختان » .

(٢) كلمة [رحمها الله تعالى] من زيادة النسخ .

في الجزء الثاني ان شاء الله تعالى وقال أيضاً يمدحه وهذه القصيدة عملها ردًا
على الأمير ابي الفتيان محمد بن سلطان بن حيوس شاعر أمير الجيوش الدزيري
في قصيدته التي يمدحه بها ، وبذكر مقتل شبل الدولة حيث يقول فيها :

ودع الألى مرقوا فإن بعادهم عن ذا الجنب لم عقاب مؤلم
أولاد «مرداس» لسيفك طعمة في كل ارض أنجدوا أو أتهموا

فقال ابن أبي حصينة محيياً له ، وذلك في سنة احدى واربعين واربعمئة :

مالي واللفصحاء لا تشكم كثر الجمان فماله لا ينظم
وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه اجمعين الطيبين الطاهرين .

وفي هذا القسم من المجلد خرم . سقط منه ورقة واحدة بين صفحتي ١٠٠ و ١٠١
لم ينتبه له مرقم الصفحات إذ آخر صفحة ١٠٠ هو بيت :

يُرَجَى كما ترجى الغمامة غفوه ويخشى كما يخشى الغمام انتقامه
وأول صفحة ١٠١ هو بيت :

حتى لظن الناس أن لكفه إحنًا على امواله وحقودا

وفي ص ١٠٣ من هذه المجموعة (شرح ديوان بن حصينة (كذا) للعلامة
أحمد بن سليمان الشهير بابي العلاء المعري سامحه الله تعالى والمسلمين) ثم في ص ١٠٤
(بسم الله الرحمن الرحيم : قال الشيخ الأجل الأوحى أبو العلاء احمد بن عبد الله
ابن سليمان التنوخي المعري رحمه الله في شرح القصيدة التي أولها :

هل بعد شيبك من عذر لمعتذر فازجر عن الفئ قلباً غير منزجر

قوله : ما اليض : يجوز فيه الرفع والتصب ، أما التصب فعلى ان يجعل
مفعولاً معه ، والرفع أجود وهذا البيت ينشد على وجهين . قال الشاعر :

فما أنا وال...^(١) في متلف يطيح بالذكى الضابط

(١) مكان النقط كلمة غير واضحة ، وكل البيت مضطرب مبهم المعنى .

وقوله : عن وجد يخامره ؛ اي يخالطه ، وأصل ذلك من خمر اللبن ، وأصل
الخامرة ان تكون بين شيئين يطيب كل واحد منهما الآخر ما يصيبه منه ،
فأما قولم يخامر ، في معنى مداح فانما يريدون به كالذي يستتر بالخمر وهو ما وارك
من شئ (كذا ولعله : شجر) • قوله : بشعب تعار : الشعب الطريق في الجبل ،
وتعار اسم جبل وهي تؤنث ، قال الشاعر :

أقفر من سرور قومي تعار فأروم فشابة فالديار

والضال وهو غير مهووز ما بقيت من الصدر على غير شط نهر • فان كان
على الماء فهو عبري ، وأصل الأعشار من قولم : قدر اعشار ، اذا كانت
مكسرة قد تشعبت ، وهو من جنس قولم : حبلى أرمات وارمام • وأما قول
الأعشى أو امرء القيس : في اعشار قلب مقتل ؛ فقد قيل فيه قولان : أحدهما
أن يكون من أعشار القدر ، أي قلبه قد تقطع فكأنه أعشار قدر • والآخر
ان يكون من أعشار الجزور وهي الأنصباء التي يضرب عليها بالقداح • والمرخ
شجر كثير النار ، من قولم اقدح بمرخ أو عفار ثم اشدد يدبك أو ارخ •
وأصل الحج القصد ، يقال حج القوم الرجل ، اذا أكثر التردد اليه ، قال
الراجز يصف فرساً بقوله : [ص ١٠٥]

ظل يحج وظلنا نحببه وظل يرمي بالحصى بتربه

وأصل الاعتماد الزيادة • وشرخ الشباب أوله ، ويقال شرخ وشخر على القلب ،
قال حسان :

ان شرخ الشباب والشعر الأمد ود ما لم يعاص كان جنونا

ويقال رجل شارخ وقوم شرخ ، مثل ما يقال : تاجر وتجر ، وصاحب وصحب •
والسمادة جمع سميدع ، وهذه الهاء تدخل للمبالغة فيقال الصياقلة والطبالسة •
والشم (كذا) اذا وصف به القوم أريد به التزه عن الدنيا ، والشم في الأنف
إشراف في القصة ، وورود في الأرنبة قال كثير :

.. أناس ينال الماء قبل شفاهم لهم واردات العرض ثم الأزانب
ويجوز : ولا عجب ولا عجباً ؛ فان نصبت فعلى المصدر ، وان رفعت جعلت « لا »
بمعنى « ليس » ومن شرح القصيدة التي أولها :

لأية حال حكموا فيك فاشتطوا وما ذاك إلا حين عمحك الوخط)
وأخر هذا الشرح في ص ١٨٦ (وقولهم : خذ ؛ من الشواذ ، والأصل فيه :
أؤخذ فجاءت على حرفين ، كما قالوا : كل والأصل : أكل (كذا) . ويقال
سعد الرجل بسعد فهو سعيد ، ولم يجاوز ذلك كما قالوا راحم ورحيم . وإنما
منعهم ان يقولوا : ساعد ، في معنى سعيد ، انه غير متعد ؛ فأشبهه « فعل »
الذي يجيء اسم فاعله على « فاعيل » مثل : كرم فهو كريم ، وظرف فهو ظريف ،
ويقال : أسعده الله ، وكان القياس ان يقولوا : فهو مسعد ، فاقترضوا على قولهم :
فهو مسعود ؛ كأنهم بنوه على سعد . وحكى قوم : سعدة الله وأسعده . انتهى
شرح ديوان ابن أبي حصينة بحمد الله وحسن توفيقه . وكانت الفراغ من
نساخته في شروق يوم السبت المبارك ، سادس شعبان المكرم من شهر سنة
أربع وخمسين والاف هجرية ، وذلك على يد الفقير الى عفو الملك الجليل ، الخليل
ابن خليفة العزيز المكي الرومي الخنفي ، عامله الله بلطفه الخفي والمسلمين) .
ويقع هذا الشرح في ٨٣ صفحة من هذه المجموعة ، وقد سقط منه ورقة
واحدة بين صفحتي ١٤٢ - ١٤٣ غفل عنها المرقم ، أو تغافل .

ويحتوي هذا الشرح على ايضاح الكلمات الغريبة من شرح ابي الفتح الموجود
في هذه المجموعة فقط . ثم باقي المجموعة من ص ١٨٧ الى ١٩٤ صفحات ييض
تركها الكاتب بعد أن كتب في أولها كلمة (ترجمة ابن أبي حصينة) وكأنه
أراد أن يكتب فيها ترجمة المذكور ، فنسي ، أو لم يعثر له على ترجمة
فتركها خالية .

ثم من ص ١٩٤ - الى - ٢٠٠ : ترجمة ابي العلاء المعري ، ليس فيها اسم
جامعها ، ولعلها من صنيع الكاتب وفيها تقول من تاريخ « قاضي القضاة » ومن
تاريخ « ابن خلكان » - كذا فرق بينها الكاتب - ومن تاريخ « الاسنوي »
ومن كلام « ابن الجوزي » وآخر ما جاء في صفحة ٢٠٠ من هذه الترجمة :
« وقد ذكر له بعض الفضلاء حكايات غريبة في الذكاء ، خوارق للعقل
قد تفرد بها ، وكذلك الحفظ لكل ما سمعه ، ووقفت قديماً على مؤلف ألفه
بعض الفضلاء وذكر فيه من أموره عجائب وغرائب ، وقد ذكرت في تذكرتي
المعروفة بالما ... »^(١)

وفي عقب هذه الصفحة « شيء من ذلك » وهو آخر كلمة في المجموعة .
وتم تقص ، والله أعلم به .

(الظهران)

محمد الجاسر

(١) كلمة أخفاها أثر التجديد فلم يظهر منها الا حرف « ال » .

أبو الفتح بن جني

عصره - مكاتبة العلمية - آثاره

عصره :

ليس شك في أن القرنين الثاني والثالث الهجريين كانا أزهر عصور الإسلام تأليفًا في العربية وعلومها وبحوثًا في قواعدها وآدابها فقد نبغ فيها جماعة من كبار المؤلفين مثل عيسى بن عمر الثقفي (١٤٩^(١)) وإبي عمرو بن العلاء (١٥٩^(٢)) والخليل بن أحمد الفراهيدي (١٧٥^(٣)) والفراء إبي زكريا يحيى (٢٠٧^(٤)) الذي قال عنه ثعلب : لولا الفراء لما كانت اللغة لأنه حصلها وضبطها ولولاه لسقطت العربية لأنها كانت تتنازع ويدعيها كل من أراد ويتكلم الناس على مقادير عقولهم وقرائنهم فتذهب . ومثل إبي عبيدة معمر بن المثنى (٢٠٩^(٥)) وإبي زيد الأنصاري (٢١٤^(٦)) الذي كان سيويبه إذا قال سمعت الثقة فقد عناه . ومثل إبي عمر صالح الجرمي (٢٢٥^(٧)) وإبن الأعرابي محمد بن زياد (٢٣٠^(٨)) والممازني إبي عثمان (٢٤٧^(٩)) والمبرد محمد بن يزيد (٢٨٥^(١٠)) وغيرهم . .

هؤلاء تفر من أعلام المؤلفين في القرنين الثاني والثالث يبينون لنا أمانة درجة رفيعة وصلت إليها العربية وعلومها ، ولكن ما أصيب به هذان القرنان

(١) ابن خلكان مطبعة الميمنية ٣٩٣/١	(٢) ابن خلكان مطبعة الميمنية ٣٨٧/١
(٣) » » » » ١٧٤/١	(٤) تزهة الألباء للأنباري ١٢٧. :
(٥) » » » » ١٠٥/٢	(٦) » » » ١٢٣ :
(٧) » » » » ٢٢٨/١	(٨) ابن خلكان ٤٩٢/١
(٩) » » » » ٩٢/١	(١٠) » » ٤٩٥/١

من ضياع الآثار والمؤلفات واتدماجها فيما ألف بعدها يهون من شأنها اذا قيسا الى القرن الرابع الذي جمع الى سعة البحث وعمق التفكير ونضج العقل العلمي تأليفاً كثيراً قيمياً موجوداً ؛ ففي هذا العصر نبغ الزجاج ابراهيم بن محمد بن السري ابو اسحق (٣١١ -) استاذ ابي علي الفارسي ، الذي قال عنه ابن الانباري : انه من اكابر أهل العربية ، صنف مصنفات كثيرة وكان صاحب اختيار في النحو والعروض ومن كتبه التي كان لها صدى بعيد وأثر عميق فيما ألف بعده من موضوعه ، كتاب المماني في القرآن ، والمذكر والمؤنث ، وفعلت وأفعلت ، والرد على فصيح ثعلب ، والأمثالي والاشتقاق ، وما ينصرف وما لا ينصرف ، وشرح أبيات سيبويه ^(١) . ومن نبغ في هذا العصر ابن السراج ابو بكر محمد ابن السري (٣١٦ -) تلميذ المبرد وأستاذ ابي سعيد السيرافي وابي علي الفارسي وابي الحسن الرماني والزجاجي . وهو صاحب المؤلفات القيمة ومنها كتاب الأصول في النحو وهو الكتاب الذي يقول عنه ابن خلكان من أجود الكتب المصنفة في هذا الشأن واليه المرجع عند اضطراب النقل واختلافه . وكتاب جمل الأصول ، وكتاب الاشتقاق ، وشرح الكتاب لسيبويه ^(٢) . ويقول ابن الانباري انه أخذ مسائل سيبويه ورتبها أحسن ترتيب وكان ثقة ^(٣) .

وفي هذا العصر أيضاً نبغ ابو بكر محمد بن احمد بن منصور الخياط السمرقندي (٣٢٠ -) استاذ ابي علي الفارسي والزجاجي . وقد جرت بينه وبين الزجاج مناظرة مشهورة وكان هذا ممن يخلط المذهبين الكوفي والبصري ، وقد ذكره أبو علي الفارسي في الرسالة التي كتبها الى سيف الدولة رداً على ابن خالويه ، وفيها يقول : « وأما قوله اني قلت ان ابن الخياط لا يعرف شيئاً فغلط في الحكاية ، كيف أستجيز ذلك وقد كنت ابن الخياط في مجالس كثيرة ، ولكنني قلت

(١) نزهة الألباء ٣٠٨ وابن خلكان ١١/١ وتاريخ آداب اللغة لزيدان ١٨١/٢ .

(٢) ابن خلكان ٣٠٥/١ . (٣) النزهة : ٣١٤ ومجمع الأدباء ١٠/٧ .

إنه لا لقاء له لأنه دخل بغداد بعد موت محمد بن يزيد (المبرد) ، وصادق أحمد بن يحيى - ثعلباً - وقد سمى شديداً لا يخرق الكلام سمعه ، فلم يمكن تعلم النحو منه ، وإنما كان يقوله فيما يؤخذ عنه على ما يليه دون ما كان يقرأ عليه ، وهذا أمر لا ينكره أهل هذا الشأن ومن يعرفهم ^(١) « وللخياط من المؤلفات : معاني القرآن ، وكتاب النحو الكبير ، والموجز ، والمقنع في النحو ^(٢) ، ولم يبق من آثاره شيء فيما أعرف .

ومن رجال هذا العصر أبو بكر محمد بن القاسم بن محمد بن بشار الأنباري (- ٣٢٧) الذي كان يقول احفظ ثلاثة عشر صندوقاً ، وقيل انه كان يحفظ مائة وعشرين تفسيراً للقرآن بإسانيدها ، وله تصانيف كثيرة في اللغة والأدب والعربية ^(٣) وكان من أعلم الناس في علم الكوفيين وأكثرهم حفظاً للغة ^(٤) . ومن رجال هذا العصر أيضاً الزجاجي أبو القاسم عبد الرحمن بن اسحق (- ٣٣٩) وقد أخذ عن استاذة الزجاج ونسب إليه ، وعلي بن سليمان الاخفش وابن السراج وابن دريد ^(٥) ، ومن آثاره الباقية كتاب الجمل وهو أعظم مؤلفاته وأكثرها انتشاراً ، وكتاب الأمالي وكتاب الزاهر ^(٦) .

ومن رجال هذا العصر المشهورين أبو سعيد السيرافي وأبو علي الفارسي وعلي ابن عيسى الرماني ومندرسهم فيما بعد درساً مفصلاً ، أما المغمورون في أيامنا هذه ممن كانوا مشهورين في ذلك العصر ولم فيه تأثير كبير فنذكر منهم : علي بن طلحة بن كرد ابن النحوي (- ٤٢٤) الذي يقول عنه

(١) ياقوت ، معجم الأدباء ٢٨٣/٦ وما بعدها . ويذكر الزبيدي في طبقات النحاة ابن الخياط أخذاً عن المبرد وانتقل عن ثعلب .

(٢) انظر معجم الأدباء ٢٨٣/٦ والنزهة : ٣١٢ .

(٣) ابن خلكان ٥٠٣/١ وجرجي زيدان ١٨٢/٢ . (٤) النزهة : ٣٣٠ .

(٥) النزهة : ٣٧٩ وابن خلكان ٢٧٨/٢ .

(٦) انظر تاريخ الآداب العربية لجرجي زيدان ١٨٣/٢ .

الحافظ السلفي : صاحب الفارسي وعلي بن عيسى الرماني وقرأ عليها كتاب صيبويه ،
والواسطيون يفضلونه على ابن جني وعلي بن عيسى الربعي . وصنف كثيراً ومن
كتبه كتاب اعراب القرآن في خمسة عشر مجلداً غسله قبل موته لتصفوه ^(١)
ومنهم احمد بن بكر العبدي أبو طالب (٤٠٦ -) أخذ العربية عن السيرافي
والفارسي والرماني ونفع فيها وألف كتاب شرح الايضاح ^(٢) .

ومنهم علي بن عبيد الله الدقاق أبو القاسم الدقيقي (- ٤١٥) وكان أحد
الأئمة في هذا الشأن أخذ عن الثلاثة : الفارسي والسيرافي والرماني ، وكان مباركاً
في التعليم وله شرح الايضاح ، وشرح كتاب الجرمي وكتاب العروض ،
وكتاب المقدمات ^(٣) .

ومنهم علي بن عبيد الله السلمي أو السسماني أبو الحسن (- ٤١٥)
أخذ عن السيرافي والفارسي وكان جيد المعرفة بالعربية ، صحيح الخط ، غاية
في اتقان الضبط ^(٤) .

ومنهم أبو العلاء صاعد بن الحسن بن عيسى الربيعي الموصل (- ٤١٢)
أخذ عن السيرافي والفارسي وكان عارفاً باللغة والأدب والأخبار دخل الأندلس
واتصل بالنصور بن أبي عامر فأكرمه واستبوزره ^(٥) .

ومنهم عبيد الله بن جرو الاسدي المعتزلي (- ٣٨٢) أخذ عن الفارسي
والسيرافي وكان ذكياً بارعاً قدمه أستاذه أبو سعيد السيرافي ليكون اماماً
لمعهد لدولة ^(٦) .

ومنهم محمد بن جعفر بن محمد الحمذاني المراغي (- ٣٧١) أستاذ بختيار بن
معز الدولة ، ألف الاستدراك لما أغفله الخليل ، والبهجة على غلط كامل المبرد .

(١) ياقوت معجم الأديباء ٢٢٦/٥ . (٢) ياقوت معجم الأديباء ٣٨١/١٠

(٣) » » » ٢٧١/٥ . (٤) » » » ٢٧٢/٥

(٥) » » » ٢٦٦/٤ . (٦) » » » ٤/٥

وقال ابو حيان التوحيدي : كانت قدوة في النحو والأدب مع حداثة سنه ولم أر مثله ^(١) ...

هؤلاء نفر من الأئمة كانت لهم ذكر بعيد في ذلك القرن ولكنهم أصبحوا مغمورين جداً في عصرنا على الرغم من آثارهم الكثيرة ؛ هذه الكثرة العظيمة من النحاة واللغويين تبين لنا خصب العصر من الوجهة اللغوية كما تبين لنا غنى البيئة التي عاش فيها مؤلفنا ابو الفتح بن جني ولا شك في انه قد استفاد منها كثيراً وتعلم فيها وناقش رجالها كما سنرى فيما بعد .

ثم انه من الجدير بنا أن نلاحظ أن كثرة هؤلاء العلماء كانوا يعتقدون مذهب الاعتزال عقيدة حتى أن القدماء قد لاحظوا ذلك فتحدثوا في كتب الطبقات عن طبقات من النحويين المعتزلة ، ذكر ياقوت في ترجمة أحمد بن علي أبي بكر الميموني الزرندي النحوي ان أبا الفتح منصور بن المعذر النحوي ذكر في كتابه جماعة من المعتزلين النحويين فذكر السيرافي والفارسي والرماني وأبا بكر الميموني وغيرهم ^(٢) . وقال في ترجمة أبي الحسن البوراني أن محمد بن اسحق ذكره في نحاة المعتزلة ، وأنه من طبقة أبي علي الفارسي .

وفي رأينا أن هذه الظاهرة تربنا ارتباط النحو والنحاة بالحركة الفكرية التي عيّل اليها المعتزلة في مجوئهم ، ولا يضعف هذا ما حفظه لنا المؤرخون من حملة أبي سعيد السيرافي على المنطق وأصحابه في مناظرته الشهيرة مع متى المنطقي فإن هذه الحملة ، على الرغم من مبالغة راويها أبي حيان التوحيدي ^(٣) في تضعيف قول متى ، لتربنا اهتمام النحاة بالمنطق اهتماماً جعل مثل متى يذهب هذا المنصب ويغالي في تفضيل العلم اليوناني والمنطق اليوناني على النحو العربي والأسلوب العربي مقالة

(١) ياقوت معجم الأدباء ٢٢٥/١ . وبنية الوعاة ص ٢٨ .

(٢) » » » ٢٢٩/٢ .

(٣) انظرها في الامتاع والمؤانسة ج ١/٨٠ وما بعدها .

تجعل أبا سعيد يفرط في الحملة على المنطق مع أنه بلا شك موقن بفضل المنطق اليوناني والعلم اليوناني على عقله وعلمه ، والحق أن أبا سعيد أوتي لساناً بليفاً فغلب خصمه وأصيب متى بالفشل لرككة لسانه وسوء أسلوبه ..

* * *

بعد هذا الذي ذكرناه عن النجاة عامة في هذا العصر وعن مناهم التعليمي خاصة نريد أن نهتم بدراسة شخصيات ثلاث كان لها الأثر الكبير في نجاة هذا العصر أجمعين وفي ابن جني خاصة وهم أبو سعيد السيرافي وأبو علي الفارسي وأبو الحسن الرماني وهم الذين رأينا اسمهم يتردد في ترجمة كل من ذكرنا من رجال هذا العصر وما ذلك إلا لخطير شأنهم وكثرة آثارهم ، وعمق تأثيرهم في غيرهم .

أبو سعيد السيرافي : هو الحسن بن بهزاد عبد الله المرزباني القاضي (- ٣٦٨) .

ولد بسيراف - على ساحل بحر فارس - حوالي سنة ٢٩٠ هـ وفيها ابتداء بتحصيل العلم ثم خرج من بلده قبل العشرين وثلاثمائة فمضى الى عُمان وتفقّه فيها على مذهب أبي حنيفة النعمان ثم رجع الى بلده ^(١) فأقام فيها قليلاً ثم رجع الى عسكر مكرم فأقام بها مدة قرأ فيها على محمد بن عمر الصمري المتكلم وكان بفضلته ويقدمه على جميع أصحابه ثم قدم بغداد فقرأ فيها على أبي بكر محمد بن علي مبرمان . وأبي بكر بن السراج كتاب سيوبه ^(٢) ثم اتصل بالقاضي أبي محمد بن معروف قاضي قضاة بغداد فقرأ هذا عليه العريّة ثم ولاء قضاة الجانب الشرقي نيابةً

(١) يذكر العلامة كرتكو في مقممة أخبار النحويين للسيرافي في ص ٤ : ان السيرافي قرأ في بلده على أبي ذكوان ، وعمل بن ذكوان وان أبا سعيد ذكر ذلك في آخر كتاب أخبار النحويين وقد رجعت الى عبارة السيرافي فلم نجد فيها ما يفيد أنه قرأ عليها وإنما قال [وقد كان من نظرائه أي المبردين في عصره ممن قرأ كتاب سيوبه على المازني جماعة لم يكن لهم نهاية مثل أبي ذكوان ووقع الى سيراف في أيام الزنج .. وعمل بن ذكوان] وهذه العبارة لا تفيد ان السيرافي قرأ عليها بل لها تفيد العكس لأن السيرافي ولد في أواخر القرن الثالث وأبو ذكوان وقع الى سيراف سنة ٢٥٧ أيام الزنج .

(٢) أخبار النحويين البصريين للسيرافي ص ١٠٨ وباقوت ١٢٥/٨ .

ولما رأى طيب سمعته وأمانته ولاء قضاء الجانين^(١) . وفي بغداد اتصل أبو سعيد بابن دريد فقرأ كتبه ونشر مذهبه^(٢) ، كما اتصل بابي بكر بن مجاهد فقرأ عليه القرآن ودرسا عليه جميعاً النحو . وبذكر الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد من شيوخه محمد بن أبي الأزهري البوشنجي (- ٣٢٥^(٣)) وعبد الله بن محمد بن زياد (- ٣٢٤) وقد عظمت مكانته في بغداد فالتف حوله علماءها ومتأدبوها وتخرج به جمهرة كبرى من الناس وليس أدل على ذلك مما يحدث به عنه أبو حيان التوحيدي وتلميذه صديقه المعجب بأدبه وفضله ودينه وخلقه .

قال أبو حيان : قال لي الوزير أين أبو سعيد من أبي علي ؟ وأين علي بن عيسى منهما ؟ وأين ابن المراغي من الجماعة وكذلك المزرباني . . . فكان من الجواب : أبو سعيد أجمع لشمل العلم وأنظم لمذاهب العرب وأدخل في كل باب وأخرج من كل طريق وألزم للجماعة الوسطى في الدين وأخلق وأروى للحديث وأففى في الأحكام وأفقه في الفتوى وأحضر بركة على المختلفين وأظهر أثراً في المقتبسة^(٤) ونقل ياقوت عن أبي حيان أيضاً من كتابه الذي ألفه في تقريب الجاحظ وقد ذكر جماعة من الأئمة كانوا يقدمون الجاحظ ويفضلونه فقال : ومنهم أبو سعيد السيرافي شيخ الشيوخ . وإمام الأئمة معرفة بالنحو والفقه واللغة والشعر والعروض والقوافي والقرآن والفرائض والحديث والكلام والحساب والهندسة ، أففى في جامع

(١) ياقوت ١٤٩/٨ .

(٢) هذا ما يذكره ابن الأنباري في النزعة ص ٣٢٢ وتنقله عنه دائرة المعارف الإسلامية - ٤٦٣/٤ ويلاحظ الأستاذ كرتكو ان لقاء السيرافي لابن دريد بعيد جداً حيث يقول : وأظن هذا محالاً فيما يتعلق بابن دريد لأنه توفي ببغداد سنة ٣٢١ وقد ذكرنا ان أبا سعيد لم يرحل من سيراف الا سنة ٣٢٠ ولم يسكن ابن دريد سيراف على ما قلنا قل وصوله الى دار السلام انظر ص ٧ من أخبار البحرين البحرين لسيرافي .

(٣) البنية : ١٠٤ .

(٤) الامتاع والمؤانسة : ١٢٩/١ وياقوت في معجم الأدباء ١٧٨/٨ مع اختلاف بسيط .

الرسافة خمسين سنة على مذهب أبي حنيفة فما وجد له خطأ ولا عثر منه على زلة
وقضى ببغداد ، وشرح كتاب سيبويه في ثلاثة آلاف ورقة بخطه في السلياني ،
فما جراه فيه أحد ولا سبقه الى تمامه انسان هذا مع الثقة والدبابة والأمانة
والرواية صام أربعين سنة وأكثر الدهر كله ^(١) .

وقتل ياقوت عن أبي حيان أيضاً كلمة من كتابه محاضرات العلماء جاء فيها :
قال أبو حيان حضرت مجلس شيخ الدهر وقريع العصر العديم المثل المفقود الشكل
أبي سعيد السيرافي وقد أقبل عليه الحسين بن مردويه الفارسي يشرح ترجمة المدخل
الى كتاب سيبويه من تصنيفه فقال له : علق عليه واصرف همك اليه فانك
لا تدركه الا بتعب الحواس ولا تتصوره الا بالاعتزال عن الناس فقال : أيد الله
القاضي انا مؤثر لذلك ولكن اختلال الأمر وقصور الحال يحول بيني وبين ما أريد .
قال : ألك عيال ؟ قال : لا . قال : عليك ديون ؟ قال : دربهات . قال :
فأنت ربح القلب حسن الحال ، ناعم البال ، اشتغل بالدرس والمذاكرة ^(٢) .
واعجاب أبي حيان التوحيدي بشيخه أبي سعيد كثير ، وشهاداته بفضله وعلمه
شهادات لها قيمتها في تبين مكانة أبي سعيد في عصره . ثم انه ليس أدل على
هذه المكانة من انتشار اسمه في العالم الاسلامي وكتابة أمرائه ، إذ ذاك اليه
يستفتونه فقد ذكر ياقوت نقلاً عن أبي حيان في الامتاع أن نوح بن نصر الساماني
كتب اليه كتاباً سنة ٣٤٠ وخاطبه فيه بالامام وسأله عن مسائل تزيد على
اربعمائة . وكتب اليه المزربان بن محمد ملك الديلم من اذربيجان كتاباً خاطبه فيه
بشيخ الاسلام وسأله عن مائة وعشرين مسألة أكثرها في القرآن وكتب اليه
ابن حنزة أمير مصر كتاباً خاطبه فيه بالشيخ الجليل وسأله عن ثلاثمائة كلمة
من فنون الحديث . وكتب اليه أبو جعفر ملك مجستان على يد أبي سليمان

(١) ياقوت معجم الأدباء ٨ من ١٥٠٠ . (٢) ياقوت معجم الأدباء ٨/ ٤٥٢ .

المنطقي كتاباً خاطبه فيه بالشيخ الفرد سألته عن سبعين مسألة في القرآن ومائة كلمة في العربية وثلاثمائة بيت من الشعر وأربعين مسألة في الأحكام وثلاثين مسألة في الأصول على طريق المتكلمين^(١) .

قلت : ويظهر ان ابا حيان التوحيدي كان سيرا فياً يميل الى ابي سعيد وبغالي في حبه ويتعصب له على خصمه الفارسي ابي علي فقد قارن بينهما في حضرة الوزير ابي عبد الله العارض في احدى مسامراته بعد ان ذكر محادثة ابي سعيد لمنطقي وفوزه عليه وسؤاله العارض عن مكانة السيرا في بين علماء عصره فتحدث التوحيدي عنهم فرداً فرداً وكان مما قاله عن ابي علي الفارسي : وأما ابو علي فأشد تقيداً بالكتاب وأشد اكباتاً عليه وأبعد من كل ماعداه مما هو علم الكوفيين وما تجاوز في اللغة كتب ابي زيد وأطرافاً مما لغيره ، وهو متقد باللفظ على ابي سعيد وبالحمد له كيف تم له تفسير كتاب صيبويه من أوله الى آخره بغريبه وأمثاله وشواهد وأبياته (وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء) لأن هذا شيء ما تم للمبرد ولا للزجاج ولا لابن السراج ولا لابن درستويه مع سعة علمهم وفيض كلامهم^(٢) . وحكي ياقوت عن ابي حيان أن تلاميذ ابي علي كانوا يحملون على السيرا في أيضاً فاجتمع أبو حيان الى بعضهم مرة فقال : انكم لا تزالون تعتنون فيه وتزرون على مؤلفه فما لكم وله ؟ فقالوا : نريد أن نرد عليه ونعرفه خطأ . قال أبو حيان فخلصوه واستفادوا منه ولم يرد عليه واحد منهم .

وإنما يبلغ ابو سعيد هذه الرتبة لأنه قضى عمره في الدراسة والتعليم والنسخ والقضاء ، وكان الى ذلك زاهداً متين الخلق كبير النفس . قال الخطيب البغدادي : كان ابو سعيد زاهداً لم يأخذ على الحكم أجراً إنما كان يأكل من كتب يمينه فكان لا يخرج الى مجلس الحكم ولا الى مجلس التدريس حتى ينسخ عشر ورقات

(١) ياقوت معجم الأدباء ١٣٩/٨ والامتناع ١٢٩/١ مع اختلاف بسيط .

(٢) الامتناع ١٣١/١ . (٥) - ٢

يأخذ اجرتها عشرة دراهم تكون بقدر مؤنته . وكان بعيد القرين لأنه كان يقرأ علوم الدين والرياضيات واللغة والأدب وهو في كل هذا إماماً في الغاية وإماماً في الوسط^(١) .

هذا وقد تخرج به جمهرة من الفحول الأجلة كابن خالويه الحسين بن حماد الإمام المشهور^(٢) وإسماعيل بن حماد الجوهري صاحب الصحاح^(٣) وإبي علي الحسن بن إبراهيم الصائبي^(٤) وعلي بن المستنير حفيد قطرب^(٥) وغيرهم ممن رأيت فيما تقدم . أما آثاره فهي : شرح كتاب سيويه ، وألفات القطع والوصل ، وأخبار النحويين البصريين ، وشرح مقصورة ابن دريد ، والافتتاح في النحو ولم يتمه فتممه ابنه يوسف ، وكان يقول وضع أبي النحو في المزايل بالافتتاح يريد أنه سهل ، وشواهد كتاب سيويه ، والوقف والابتداء ، وصناعة الشعر والبلاغة ، والمدخل إلى كتاب سيويه ، وصفة جزيرة العرب^(٦) . ويقول الأستاذ كرنكو في مقدمة أخبار النحويين^(٧) « ولم يذكروا شروحه للآيات الواردة في الجمهرة في اللغة لابن دريد فان هذه الشروح موجودة في المجلد الثاني والثالث من النسخة المحفوظة في ليدن وقد أدخلت هذه الشروح في المطبوعة حين هذبت الجمهرة للطبع » . قلت ولم يذكروا أيضاً ما يذكره صاحب شذرات الذهب من أن له كتاباً اسمه (كتاب الأنفال) .

(يتبع)

اسعد طلس

- | | | |
|--------------------------------|--------------------------|-------------------|
| (١) ياقوت معجم الأدباء ٨/١٤٥ . | (٢) ياقوت ٤/٤ . | (٣) ياقوت ٢/٢٦٦ . |
| (٤) » » » ٨/١٥٣ . | (٥) » » ٨/١٧٨ . | |
| (٦) ياقوت ٨/١٤٩ - ١٥٠ . | (٧) أخبار النحويين ص ٨ . | |

ولاية دمشق

في العهد السلجوقي

نصوص مستخرجة من تاريخ دمشق الكبير الحافظ ابن عساكر
(مخطوطة الظاهرية تاريخ رقم ١)
مدها وحققها

صلاح الدين المنجد

محرر

تحديد الزمن

تقصد بالعهد السلجوقي^(١) الحقبة التي تبدأ بيزوال السلطان الفاطمي وخروج
جند المصريين من دمشق بدخول مقدم الفزاتس بن اوق اليها عام ٤٦٨ هـ .

(١) انظر تفسير سوافاجه لكلمة سلجوقي في :

Sauvaget , Quatre Decrets Seldjoukides p. 7. Beyrouth 1947 .

وأحسن مصدر لفهم تاريخ السلاجقة بدمشق هو ذيل تاريخ دمشق لقلانسي (تحقيق امدرود
١٩٠٨) وينظر ما كتبه الأستاذ كرد علي في الجزء الأول من خطب التمام وما كتبه في دمشق
مدينة البحر والشعر (القاهرة ١٩٤٤) وما تذكره في المصادر الآتية . ويُقرأ عن السلاجقة
بصورة عامة :

تاريخ دولة آل سلجوق للأصبهاني (لندن)

الفتح الوهمي للنبني (مصر)

الحكاية السلجوقية لليزدي (لندن)

تواريخ آل سلجوق لمحمد بن ابراهيم (لندن)

W. Barthold, Histoire des Turcs d'Asie Centrale. Paris 1934

(Adaptation Française par. Mme Donkis)

E. de Zambaur, Manuel de Généalogie et de Chronologie pour
l'histoire de l'Islam . Hanovre , 1927 .

ويرجع الى مصادر أخرى عن السلاجقة في كتاب :

رائد التراث العربي ، اقتباس صلاح الدين المنجد . بيروت ١٩٤٦ (فصل السلاجقة) .

وقتعي بخروج آخر البوريين منها ودخول نور الدين محمود بن زنكي اليها عام ٥٤٩ هـ وتأسيسه الدولة النورية فيها .

وهي حقبة قصيرة امتدت ثمانين عاماً وعاماً ، ولكنها كانت من أكثر العهود شأناً في تاريخ دمشق وأعظمها أثراً في تطورها ونهضتها ومستقبلها . وما العهود التي تلت هذه الحقبة ، أيام نور الدين والأيوبيين ، الا امتداد لها ، ونمو للأعمال التي بدأت فيها .

وقد امتازت هذه الحقبة بأمور جديدة عامة حملها معهم السلاجقة وأتباعهم عندما هبوا يدفعهم مثل أعلى ديني يريدون الدفاع عنه والمحافظة عليه ، ورغبة في التوسع الاقليمي يودون تحقيقها . فنشروا هذه الأمور في كل مكان بلغوه ، وكانت دمشق احد المراكز التي نشروها فيها . كما أنها امتازت بأمور أخرى خاصة بدمشق وحدها .

كيف دخل السلاجقة دمشق

في سنة ٤٦٣ هـ جمع انسر بن اوق^(١) - مقدم الأتراك الفزّ بالشام - جنده ، وكان احد قادة الب ارسلان ، وقصد ارض فلسطين فافتتح الرملة وبيت المقدس ، وظرد الفاطميين منها ، وأخذ يواصل الغارات على دمشق . وكانت فلسطين ومصرية تحت سلطان الفاطميين ما عدا حلب ، فقد كان فيها بنو مرداس . واستمر انسر يغير على دمشق سنوات حتى استطاع ان يتولي عليها سنة ٤٦٨ هـ مستفيداً من الحصار الاقتصادي الذي لجأ اليه بقطع الميرة عنها ورعي زروعها خارج اسوارها سنوات . فآدى ذلك الى فقدان القوات ثم غلاء الأسعار . ثم جلا اهلها وضعفت المقاومة فيها ودخل انسر اليها . وكان آخر وال فيها من قبيل الفاطميين معلى بن منزو .

(١) أبتها غروته ، « آبق » وهو خطأ .

كان اتسر طموحاً ؛ فقد حاول ان يفزو مصر سنة ٤٦٩ هـ ، فعاد عنها مدحوراً مهزوماً . ودفعت هزيمته الفاطميين أن يستعيدوا فلسطين ودمشق . فخرج نصر الدولة الجيوثي من مصر سنة ٤٧١ هـ ونزل على دمشق محاصراً لها . فاستولى على أعمالها وأقام 'بضابقتها' . وكان في شمال سورية تنش بن الب رسلان ، وكان قد قصد الشام يريد اخذ حلب من بني مرداس . فاتفق هو ومسلم بن قريش العقيلي أمير الموصل على اخذها . ولكن مسلماً خلف وعده وتخلف عن مساعدته فلم يستطع تنش ان يستولي عليها وحده . فلما خاب أمله من اخذ حلب ، توجه الى دمشق مليئاً دعوة اتسر لتجديته . ولم يلبث نصر الدولة أن رحل عن دمشق عندما اتاه خبر قدومه . وخرج اتسر فالتقى تنش وسلم البلد اليه . ثم قبض تنش على اتسر وأخيه فقتلها . فخلص له الحكم وحده ، واستقام له الأمر فيها وفي أعمالها ، وفي فلسطين . وهكذا أصبحت دمشق للسلاجقة ، واخذوا يتوارثون الحكم فيها ^(١) .

أعمال السلاجقة بدمشق

آ - الأمور العامة :

نحن نذكر من هذه الأمور التي قام بها السلاجقة في كل مكان ، ما كان مسرحه دمشق .

(١) انظر عن دخول السلاجقة دمشق :

R . Grousset , Histoire des Croisades t . I , Introduction , p . XLV . Paris 1948 .

J . Sauvaget , Esquisse d'une Histoire de la Ville de Damas . dans (Revue des Etudes Islamiques 1934 , Cahier IV- p, 450 et suiv) .

وفيل تاريخ دمشق للفلاحي ص ٩٨ ، ١٠٨ ، ١١٢ . والكامل في التاريخ لابن الأثير ج ١٠ ص ٧٠ ، ٧٢ (ط . اوربة) . وخطط الشام للأستاذ كرد علي . الجزء الأول . ومادة « تنش » هـ في دائرة المعارف الإسلامية .

أ - القضاء على المذهب الشيعي

بدأت محاربة المذهب الشيعي بدمشق بقطع الدعوة للخليفة الفاطمي الذي يمثل هذا المذهب وإعادة الدعوة للخليفة العباسي الذي يمثل السنة . وكان الفاطميون قد دخلوا دمشق سنة ٣٥٩ هـ فما زال يدعى لهم على المنابر حتى جاء اتسز - فكان أول ما فعل إبطال الدعوة لهم ، وإبطال الأذان بحج على خير العمل وما يتبعها من سب للصحابة . وهذه ظاهرة شيعية ذات شأن ، سبقت دمشق حلب في إبطالها . فانها لم تبطل في حلب التي كانت مركزاً شيعياً ذا شأن إلا فيما بعد ، بعد خمس وسبعين سنة ، على يد نور الدين عام ٥٤٣ هـ .

وبدئ بتأسيس المدارس لنشر المذاهب الفقية . فقامت أول مدرسة بدمشق - وهي الصادرة - عام ٤٩١ هـ . فسبقت دمشق في تأسيس المدارس القاهرة . وقامت في هذه الحقبة ست مدارس للحنفية وواحدة للشافعية واثنان للحنابلة . وكان بناء مدارس الحنفية والشافعية من الأمراء ، أما المدرستان الحنيلتان فبناهما تاجر وعالم .

وبتأسيس هذه المدارس ورد على دمشق من الشرق علماء كبار ، قدر سوا فيها . وشجع الولاة والأمراء العلماء وقرئ بهم .

وماعد على زوال المذهب الشيعي أن أهل دمشق أنقسم كانوا على عداة معه . وهو عداة قديم . ولم يستطع هذا المذهب ، حتى في أيام الفاطميين ، أن يثبت فيها أركانه . حتى أن العلماء والمحدثين الذين كانوا يدرسون في المسجد الأموي في هذه الحقبة الفاطمية - أي قبل تأسيس المدارس - كانوا حنفية أو شافعية . فلما دخل نور الدين دمشق فيما بعد ، كان المذهب الشيعي قد قضى عليه فلم يزل عناء في طمس مظاهره ، بل انصرف الى قتال الصليبيين

وتحصين المدينة ، وبناء الجوامع والمدارس والربط والخوانق والمشافي ^(١) .

٢ - محاربة الباطنية والاسماعيلية

وثمة خطوة ثانية خطاها السلاجقة في محاربة الشيعة هي القضاء على الباطنية والاسماعيلية في دمشق . فقد كان فيها كتلة من الباطنية تعمل على نشر مبادئها . وكانت تعتمد في نشر هذه المبادئ الى العنف ولا تحجم عن اغتيال من يعاندها . ولقد اغتالت هذه الفئة نظام الملك في بغداد ، واغتالت الأمير مودود في مسجد دمشق . وقد زاد شأنها في دمشق عندما ورد اليها داعي الباطنية بهرام من بغداد سنة ٥٢٠ هـ فتلقاه الوزير المزدقاني بالترحاب وأمر بتسليمه بانياس ، وكانت ثغراً ذا مكانة ، لتكون له مأمنًا وملجأ . فعظم أمر بهرام واتبعته العامة والغوغاء . يقول القلانسي : « فضاقت صدور الفقهاء والمتدينين والعلماء وأهل السنة والمقدمين ، وأحجم كل منهم عن الكلام فيهم والشكوى لواحد منهم دفعا لشرهم ، لأنهم شرعوا في قتل من 'يعاندهم ومعاذة' . يوازروهم ويرافدهم ، بحيث لا ينكر عليهم سلطان ولا وزير ، ولا يقل حد شرهم متقدم ولا أمير » .

وكلام القلانسي يوضح لنا شدة شوكة هؤلاء الباطنية ، واستياء الفقهاء والعلماء والمقدمين ، والخوف الذي دب في النفوس منهم وسكوت اولى الأمر عنهم . هذا الاستياء الشديد ، كان لا بُد أن يؤدي الى انفجار أو ثورة .

وبعد عامين في سنة ٥٢٢ هـ قتل بهرام داعي الباطنية . فقام مقامه اسماعيل العجمي . فبادر الوزير المزدقاني الى مساعدته . وعاد الباطنية الى ما كانوا عليه

(١) انظر : ذيل تاريخ دمشق للقلانسي ص ١٠٨ ، ١٠٩ .

خطط الشام لكردي علي الجزء الأول .

دور القرآن بدمشق (المقدمة) لصلاح الدين النجدي . دمشق ١٩٤٦ ص ٧٠٦

دمشق مدينة للشعر والحر لكردي علي ص ٢٠ .

تنبيه الطالب للنصبي دمشق ١٩٤٨ .

Sauvaget , Comment étudier l'Histoire du Monde Arabe .

(Revue Africaine , N° 406 - 409 , 1946) .

من شدة وشوكة . وكثُر أذاهم ؛ فازدادت شكوى الناس من الخاصة والعامة .
وبلغت النقمة عليهم نفوس الأمراء وعلى رأسهم تاج الملوك .
رأى تاج الملوك أن الوزير المزدقاني هو ساعد الباطنية ، وأنه لن يستطيع
الفتك بهم . قبل أن يفتك به . فدير أن يقتل . وتم اغتياله وهو خارج
من مجلس تاج الملوك نفسه . ثم أحرقت جسده بعد أيام . وصحب مقتله ثورة
الأحداث والأوباش بدمشق على الباطنية أنفسهم ، وكانوا قد ذهلوا لمقتل الوزير .
ويصف القلانسي هذه الثورة فيقول : « فانطلق أهل دمشق فقتلوا من ظفروا به
منهم ، وكل متعلق بهم منهم اليهم ، وتبعوهم في أماكنهم واستخرجوهم من مكائهم
واقنوم جميعاً تقطيعاً بالسيوف وذبحاً بالخناجر . وجمعوا مصرعين على المزابيل .
وقبض منهم نفر كثير اتجأوا إلى جهات يحمون بها ، فأريق دماؤهم هدراً .
وُصلب عدد منهم على شرفات سور دمشق . . . »

وقد ساعد على هذه الثورة شحنة البلد ورئيسه ، وبالغا في التحريض على ذلك .
هذه الثورة تظهر مبلغ الحقد ، الذي كان يكنه أهل دمشق ، على الباطنية .
وهي صورة لنفسية أهل دمشق . يصبرون صبراً طويلاً على الأذى حتى تحسب
أنهم ضعاف لا حياة فيهم ، ويالقون في تلقى الأذى حتى تحسب أنهم يريدون
الذل ، ثم يثورون فجأة ثورات عنيفة شديدة عنيفة ، وإذا الباغي قد زال ،
ينبج أذاه .

وهذا الأمر قد تكررت صورته في تاريخ دمشق القديم والحديث .
وقد أثرت هذه الضربة في عنزية الباطنية ، حتى المقيمين في بانياس مع الداعي .
فذلوا وتفرق شملهم في البلاد . وسلم اسميل ثغر بانياس للصليبيين في السنة نفسها .
على أنهم لم يغفروا لتاج الملوك ما فعل . فقد أرسل إليه باطنية الموت اثنان
من الخراسانية في السنة نفسها . فتوسطا حتى استجدا في قصر تاج الملوك وما
زالا يتدرجان إلى أن رتباً لحفظ ركبته . فوثباً عليه ، بعد ثلاث سنوات سنة ٥٢٥ هـ ،

وضربه احدهما بالسيف طلباً لرأسه ، والآخر في خاصرته . ولكنه نجا من الموت ،
 وقتل الباطنيان . ولم يبرأ جرح خاصرته فمات سنة ٥٢٦ .
 ولم تقم للباطنية بعد هذه الضربة قائمة في دمشق . وقضي عليهم : ونزكها
 من نجا من القتل الى حصونهم بالموت ومعياف . وذلوا بفسدون ويقتلون
 حتى جاء نور الدين ثم صلاح الدين ^(١) .

٣ — بدء الحروب الصليبية

بدأت الحروب الصليبية والسلاجقة بدمشق . ومما كانت أسباب هذه الحروب ،
 الدينية والاستعمارية ، فإن الصليبيين استطاعوا ان يدخلوا آسية الصغرى
 من شمالها الغربي ويمتازوها الى جنوبها الشرقي . واتصروا بالقرب من اسكي شهر
 Dorylée على قلج ارسلان السلجوقي في اوائل تموز سنة ١٠٩٢ م ٤٩٠ هـ .
 وقطعوا البلاد بلا عناء مارين بقونية وجبال طوروس الشرقية . فغلب السلاجقة
 لم السيل ، وساعدوا الأرمن في منطقة مرعش ، ومنها هبطوا الى سورية الشمالية
 وقصدوا انطاكية يريدون حصارها . وكان فيها امير تركي من أتباع السلاجقة
 اسمه ياغي سيان .

ارسل ياغي سيان ، صاحب انطاكية ، ولده الى دمشق سنة ٤٩٠ هـ ،
 وكان فيها الملك دقاق بن تنش يطلب المعونة منه . وتقدم الفرنج قتلوا على بفراس
 وأرتاح والبارة . فجهز دقاق عسكرياً لتجدة ياغي سيان . فلقوا الفرنج عند البارة ،
 وتقاتلوا . وعاد الفرنج الى الروج وانطاكية .

(١) 'راجع بصورة خاصة :

الفلاني ذيل تاريخ دمشق ص ٢١٥ ، ٢٢٣ ، ٢٣٢ ، ٢٤١

وابوشامة ، الروختين : الجزء الأول

وكردعلي ، خطط الشام الجزء الأول

» ، دمشق مدينة السحر والشر ص ٢٢ - ٣٥٠

كان ذلك اول عسكر يجرد من دمشق . ومن ذلك الحين اتبع لدمشق ان تنبؤاً مركزاً جديداً حريباً . ولقد برأها السلاجقة الأشداء هذا المركز الحربي . وظلت كذلك ايام نور الدين والأيوبيين ، وایام الملك الظاهر بيبرس . قاتل ولاية دمشق الفرنج طوال هذه الحقبة ، خلا السنوات الأخيرة من حكم ابق بن محمد ، وامتدوا سائر الولاية الذين كانوا يقاتلونهم ، وكانوا يعودون غالب الأحيان ، مظفرين . فكانت دمشق تشهد مواكبتهم تطوف في اسواقها ، وفيها الأسلاب والفنائم ورؤوس القتلى . ولقد عمد طغتكين الى بيع الأراضي خارج دمشق ، وكانت دائرة معطلة لا مالك لها ، ممن يرغب في عمارتها ، وصرف ما حصل من ثمنها في الأجناد المرتبين للجهاد .

وكان دفاعهم عن دمشق نفسها من غارات الصليبيين عنيفاً . وبذلوا في سبيل ذلك كل شيء . حتى أن والده شمس الملوك لما رأت تهاون ابنها في قتالهم ورغبته في تسليم دمشق اليهم سنة ٥٢٩ هـ وخروجه عن سنن آباءه ، أرسلت له من قتله . ولقد تعرضت دمشق لمؤامرات الصليبيين وكادت تسقط في أيديهم . فقد هاجموا بعد انتقال بانياس اليهم سنة ٥٢٣ هـ ، وخيموا على جسر الخشب والميدان المجاور له . فهاجمهم بوري وقتل منهم كثيراً . ثم هاجموا سنة ٥٢٣ هـ بخمسين الفا ، ونزلوا ناحية للزة وخيموا عليها لقربها من الماء ، فقام ممين الدين بدافع عن البلد أحسن دفاع ، وهب اهل دمشق من الأجناد والأترار وأحداث البلد والمطوعة والغزاة فدحروا الفرنج واضطروهم الى الرحيل . وقد حرقوا الربوة وراءهم وما يجاورها . وكان يشارك اهل دمشق في قتال الفرنج رجال القوطة والمرج ، واهل الأرياض خارج الأسوار كالغنية وقصر حجاج والشاغور . ولولا دمشق وسلاجقتها لاستولى الصليبيون على كثير من مدن الشام الداخلية .

ب - الأمور الخاصة:

١ - دمشق مركز الحكم والسيادة.

ويضاف إليها الجزء آن التلك عشر والرابع عشر من البداية والنهاية لابن كثير .

من الأتراك ومن أهلها يدافعون عنها . وُضرب فيها دينار خاص نُقش عليه اسم الخليفة العباسي والسلطان السلجوقي ووالي دمشق ، ولم يكن يفعل ذلك من قبل .

٢ - الأمن والرفاه والاستقرار .

وأحسن أهل دمشق بما يقدمه الولاية إليهم من الاحسان في السيرة واستعمال العدل والكف عن الظلم والأمر بالمعروف ، بعد أن كان ولاية الفاطميين يسيئون السيرة ويظلمون ويحجرون ويخربون ويصادرون . وأنس الناس بالأمن بعد الاضطراب وبالمهدوء بعد الثورة . وكانت سيرة الولاية كأحسن ما يكون ، اذا استثنينا شمس الدولة وابق في آخر أيام ولايتها . فقد أحسن تاج الدولة السيرة ، وأجمل طغتكين في تدبير أهل دمشق وبالغ في الدفاع عنها وضرب على ايدي المفسدين . فحسنت الأحوال في ولايته ، وعمرت دمشق بجعل سياسته . ورخصت الأسعار وجاءت الغلات . وصار يوري سيرة أبيه في العدل . وأعاد على جماعة من الرعية أملاكاً لهم في ظاهر البلد اغتصبت منهم في زمن الولاية من قبل . وأحسن شمس الملوك السياسة بادي بدء ورفع عن الرعية ضرائب كانت تؤخذ منهم ثم لما عدل عن خطئه ، فصادر العمال وتقاعس عن قتال الفرنج ، أنكرت أمه ذلك عليه وديرت قتله . وجرت الأمور على استقامة اباه محمود بن بوري ولم يشب هذه الحقبة شائبة الا في أيام آبق على يد مؤيد الدين الصوفي .

وعندما أحسن أهل دمشق بالأمن استقرت الأمور . فانصرفوا عن الدفاع عن انفسهم الى امور اخرى من الزراعة والصناعة . وكثرت الغلات فرخصت الأسعار . ورفعت الأقساط والضرائب فخلصوا من الفقر . وعاد أهل دمشق إليها بعد أن كانوا يفرّون منها ويحلبون عنها . وخرجوا الى الأرياض يزرعونها ويعمرونها حتي عمّرت عدة ضياع كانت خالية وأجريت عيون مياهها وظهرت خيراتها . فحسن السياسة والعدل أدباً الى هيئة الحكم . وادت هذه الى الأمن .

وأنتج الأمن انصراف الناس الى أعمالهم فزاد الانتاج ، وكثرت الثروة ، وازدهرت دمشق .

٣ - العمران بعد الحراب .

ولقد كان من نتائج الاضطراب المستمر في المدينة طوال عهد الفاطميين ، ونشوب الثورات من حين الى حين ان كثرت الحرائق وازداد الخراب . ولم يترك الفاطميون آثاراً في دمشق في أيامهم الا القليل . منها الربوة ، وبعض جسور بنيت على نهر تورا ، وتابوت السيدة سكينة ، وقبر السيدة فاطمة في مقبرة الباب الصغير . وهذا كله قليل . ولقد كانت من اعظم النكبات التي حلت بدمشق في هذه الحقبة حريق المسجد الأموي عام ٤٦٦ هـ . فقد احرقه الجند المصريون . فلما جاء السلاجقة واستتب الأمن مالوا الى العمارة . وساعد الولاة الرعية في العمارة ايضاً ودفعوا اليها .

أهم اوتار العمرانية .

وأهم ما عُمِّرَ وُبنِيَ في هذه الحقبة ما يلي :

١ - المسجد الأموي : أعيدت عمارته في أيام تنش . والغريب أن

المؤرخين القدامى سكتوا عن أخبار إعادة عمارته . ولولا الكتابات القديمة التي وجدت في المسجد لخفي امر ذلك . وقد بدى بهذه العمارة زمن تنش . ووجد سنة ٤٧٥ هـ المقصورة والقبلة والسقف والطاقت وتروخيم الأركان . - أي ما يتعلق بالمصلى - ووجد الحائط الشمالي سنة ٤٨٢ هـ وسنة ٥٠٣ هـ وسنة ٥١٢ هـ .

٢ - القلعة : وكان لا بُد من وجود قلعة فبنى تاج المذولة تنش (١) قلعة

لطيفة في الجانب الشمالي الغربي من السور على اتقااض رومانية ، وجعلها داراً إمارية وسكنها - وبني لولبه رضوان بها داراً - وزاد فيها شمس الملوك وشيدها . . .

(١) يذكر سقاجه في حواشي عن دمشق . . . Esquisse أن للقي يتاها لانس ، ولا يذكر دليله ولا المصدر الذي أخذ عنه . ولم نجد ما يؤيد قوله . وما ذكرناه لله ابن طوكون عن ابن شداد . انظر النسخة المضية في أخبار القلعة الممتعة ص ٣٠٣ .

وقد أحدث شمس الملوك في هذه القلعة بابين مستجدين الأول من الشمال والثاني باب جسر الخندق الشرقي سنة ٥٢٧ . وأنشأ فيبادار المسرة ، وحماماً من شمالها ، وفرغ من ذلك كله سنة ٥٢٨ .

٣ - السور : ونجد في كتابة قديمة مؤرخة سنة ٥٣٨ إشارة الى عمارة الباب (باب الفراديس) والسور المبارك من قبل مقدم الأكراد مجاهد الدين يزان . وهو الذي بنى المدرسة المجاهدية الجوانية ، والمجاهدية البرانية .

٤ - المراسي : وقد أسس في دمشق في العهد السلجوقي من المدارس مايلي :

المدرسة الصادرة	بناها الأمير صادر بن عبد الله	سنة ٤٩١	للحنفية
الامينية	امير الدولة كشتكين	٥١٤	لشافعية
المعينية	الأمير معين الدين انر	٥٢٤	للحنفية
الطرخانية	ناصر الدولة طرخان	٥٢٥	
البلخية	أكرز الدقافي	٥٢٥	بعد
الخاقونية البرانية	بنتها خاتون ام شمس الملوك	٥٢٦	
المدرسة الشريفة	بناها الشريف الحنبلي	٥٣٦	قبل
المجاهدية	مجاهد الدين يزان	٥٣٩	للحنفية
المسارية	مسار الهلالي	٥٤٦	للحنابلة

٥ - الخوانس : وأنشئت إختاقاه الطواويسية . وفيها قبة صفوة الملك لم دقاق . سنة ٤٠٥ . وكان باب إختاقاه السبسطية يفتح للشمال فلما ولي تاج الدولة سأل المتصوفة في فتح باب لها من الغرب في دهلج الجامع فأذن لهم . ففتح حيث هو الآن . فهذا الباب حديث ، وما تزال آثار الباب القديم ظاهرة . وهو من الحجر الأسود للتحوت .

- ٦ - المساجد : وما أنشئ من المساجد في هذه الحقبة مسجد الوزير المزدقاني على الشرف الشمالي غربي تربة ست الشام . وهو اليوم في رأس الجوزة الحدياء على عين الصاعد . ولم يبق من آثاره سوى كتابه القديبة .
- ومسجد مجاهد الدين بزان عند باب القرايس وقد أصبح مدرسة .
- ومسجد تنش ، ولم أهتمد الى موضعه . ومسجد القدم الذي جدد سنة ٥١٧ هـ .
- وغيرها كثير .

- ٧ - التراب : وعمرت قبعة في الدحداح لوالدة تاج الملوك بوري .
- وعندما توفيت سنة ٥٢٢ هـ 'قبرت فيها . ولم يبق لها أثر ' (١) .
- تلك نظرة موجزة عن حالة دمشق السياسية والعمرانية أيام الولاة السلاجقة .
- وما نحن أولاء ندع ابن عساكر يتحدثنا عن أولئك الولاة :

صلاح الدين المنجد

(يتبع)

(١) انظر :

القلاسي ، وخطط الشام ، ودمشق مدينة الثمر والحر ، ودراسة سوفاجه عن دمشق .

أما الآثار العمرانية فانظر فيها :

Sauvaget, Monuments Ayyoubides de Damas t. I. Paris 1938

Quatre Decretes Seldjoukides

Creswell. the Origin of the Cruciform Plan of Caïrene Madrasas . le caire 1922

Repertoire Chronologique d'épigraphie Arabe (R. C. E. A)

t. V III . N° 2942 - 2981 - 3072 - 3025 - 3033 ...

المنجد : أبنية دمشق الاثرية المسجلة : بيروت ١٩٤٨

» : مخطط مدارس مدينة دمشق : بيروت ١٩٤٧

» : مسجد دمشق ، نص قديم : دمشق ١٩٤٥

التميمي ، تنبيه الطالب : الجزء الاول : دمشق ١٩٤٨

ابن عبد الهادي ، آثار القاصد : وذييل أسعد طلس : بيروت ١٩٤٣

الموفي في النحو الكوفي

للسيد صدر الدين الكنتراوي الاستاذ في الحنفي

علق عليه الأستاذ محمد بهجة البيطار

- ٢ -

المرفوعات

«الفاعل» ما أسند إليه الفعل أو شبهه ^(١) نحو : كان زيد عالمًا ، وقام زيد .
وحقه أن يلي الفعل وقد يتقدم عليه ^(٢) إلا إذا كان نكرةً إلا إذا أفاد ^(٣) ، نحو :
ما للجمال مشيتها وثيدا أجندلاً يحملن أم حديداً ^(٤)
ويكون ^(٥) جملةً نحو : بدا لي ، يقوم زيد . ولا يحذف إلا من المصدر ،
إلا عند الكسائي ^(٦) ، نحو :

(١) كاتمي الفاعل والمفعول ، والصفة المشبهة ، واسم التفضيل ، والمصدر .
(٢) قال الصبان : فلا يضر عندهم تميز المبتدأ من الفاعل في نحو : زيد قام ،
وتظهر ثمة الخلاف في التثنية والجمع فتحو : الزيدان قام ، والزيدون قام ،
جائز عند الكوفيين ممتنع عند البصريين . (٣) أي لا يجوز أن يتقدم الفاعل
- إذا كان نكرة - على فعله إلا إذا أفاد ، إذ فيكون في تقدمه حكم
الابتداء نبياً ، قال ابن مالك رحمه الله :

ولا يجوز الابتداء بالنكرة ما لم تفد ، كقند زيد نمره

(٤) هو قول الزبارة الملكة العربية الشهيرة ، التي ملكت الشام والجزيرة ،
وأخبارها كثيرة ، (٥٨ ق ٣٥) . (٥) أي الفاعل . (٦) أجاز الكسائي
حذف الفاعل من المصدر وغيره تمسكاً بنحو قوله : فإن كان لا يرضيك الخ البيت .

فإن كان لا يرضيك حتى تردني إلى فطري^(١) لا إخالك راضياً
ولو عدت قريبة ، أو اتصل أو كان المدخل محصوراً بـ «إنما» لا بـ «إلا»
وجب تقديم الفاعل^(٢) ، ولو اتصل مفعوله بـ منفصل ، وجب تقديم المفعول^(٣)
وكذلك إذا اتصل مكني المفعول إلى الفاعل ، نحو : ضرب عمرأ غلامه ،
وقال الطوال كقوله :

جزى بنوه أبا الغيلان عن كبيرٍ وحسن فعلٍ كما يجزى سنار^(٤)

(١) فطري هو ابن الفجاءة الخارجي ، والبيت لسواد بن المضرب ، وكان
هرب من الحجاج خوفاً على نفسه ، والمعنى : إذا كانت حالي التي تراها — وهي
الفرار من ذلك الخارجي الممقوت — لا ترضيك ، ولا ترضي حتى ترجعني إليه ،
فإني أظنك لا ترضي ، لأنني عزمت على عدم تحقيق ما يرضيك . والشاهد :
حذف مرفوع كان ورضيك لدلالة الحال عليهما . (٢) إذا عدت القريبة
التي تميز الفاعل من المفعول ، وجب تقديم الفاعل بسبب خفاء الاعراب وعدم
القربة ، إذ لا يعلم الفاعل من المفعول — والحالة هذه — إلا بالرتبة كما في نصر
موسى عيسى ، وأكرم ابني أخي . وإن وقع الفاعل ضميراً متصلاً وجب تقديمه
أيضاً ، إذ لو أخر لزم أن لا يكون متصلاً ، والفرض أنه متصل ، نحو : أكرمك
وأكرمت زيدا . وكذا الحال إذا حصر المفعول بإنما ، فيجب تقديم الفاعل على
المفعول ، لأنه لو أخر انقلب المعنى ، نحو : إنما نصر زيد عمرأ . (٣) لأنه
لو قدم الفاعل وجب انفصال الضمير مع إمكان اتصاله ، كعلمني الأستاذ .
(٤) فيه عود الضمير على متأخر لفظاً ورتبة ، قال ابن هشام في أوضح
المسالك : ولا يميزه أكثر التحوين لا في شعر ولا في نثر ، وأجازه فيها الأخفش
وابن جني والطوال وابن مالك ، والصحيح جوازه في الشعر فقط .
(وسنار اسم لرجل رومي بنى قصراً عظيماً بظهر الكوفة ، للنعمان بن امرئ
القيس ملك الحيرة ، فلما فرغ من بنائه ألقاه من أعلاه ، لئلا يبني لغيره مثله ،
فصربت به العرب المثل في سوء المجازاة .

ويجب كذلك إذا كان الفاعل محصوراً بـ «إنما» بخلاف «إلا» — هذا عند الكسائي ، وذهب الفراء وابن الأنباري إلى وجوب تقديم المفعول إذا كان الفاعل محصوراً بـ «إلا» .

والعامل في الفاعل هو الفعل المسند أو شبهه ، وقد يحذف فعله لقربنة ، وهو كثير بعد «لو» و«لولا» وقد يحذفان معاً .
نائب الفاعل (١) :

ما أسند إليه المجهول أو شبهه (٢) ويجوز إنابة المفعول به (٣) .
والمصدر غير العلة (٤) والحل المنصرف (٥) اتفاقاً ، والحال الضروري إذا كان جملة عند الشيخين (٦) ، لا مفرداً خلافاً للفراء (٦) ، ولا التحييز خلافاً

(١) جرى المصنف في هذه الترجمة (نائب الفاعل) على مصطلح ابن مالك رحمه الله ، وهي أدنى وأخصر من قول كثير (المفعول الذي لم يسم فاعله) لأنه لا يشمل غير المفعول مما ينوب كالظرف مثلاً ، إذ المفعول به هو المراد عند الإطلاق ، ولأنه يشمل المفعول الثاني في أعطي زبد ديناراً وليس مراداً (انظر الخصري والصبان) . (٢) قد يحذف الفاعل للجعل به ، أو لفرض لفظي صحيح كتصحيح النظم ، أو منوي كأن لا يتعلق بذكره غرض ، وكالإيجاز ، والعلم به ، والإيهام ، والتعظيم ، والتحقير ، والخوف منه ، أو عليه ، فصار بذلك شبه المجهول . (٣) نحو : «وغيض الله» ، وقضي الأمر . (٤) لم يشترط في المصدر النائب عن الفاعل أن يكون محتجاً بوصف أو إضافة أو عذر كما يتضح من مثاله «تفتح نفخة» . (٥) المتصرف ما يفارق النصب على الظرفية والجزمين . (٦) أجاز الكسائي والفراء قيام الجملة التي هي خبر لكان وجعل مقام الفاعل ، نحو : (كين يقام) و(جعل يفعل) . واستبعد جواز الرضي في شرح الكافية لوجهين (أحدهما) أن هذين الفعلين من عوامل المبتدأ والخبر ، وما حذف في هذا الباب من الفاعل —

للكسائي (١) ، نحو : ضرب عمرو ، ونُفِخَ نفخةٌ ، وصيمَ رمضان ، وكينَ يُقام ،
وكينَ ، وطبِيتَ نفسٌ .

ولا يتعين المفعول به إذا وُجد ، فيجوز إنابة غيره ، نحو : ليجزى قوماً
بما كانوا يكسبون (٢) . ولا ينوب الثاني من باب علمتُ ، ولا ثانياً : أعلمت

— فليس بمنوي ، ولا يحذف المبتدأ إلا مع كونه منوباً ، فلا ينوب على هذا
خبر كان المفرد أيضاً عن الفاعل ، نحو : كين قائمٌ ، وقد أجازوه الفراء دون
الكسائي (والثاني) أن الجملة لا تقوم مقام الفاعل إلا محكية أو مؤولة بالمصدر
المضمون ، ولا معنى لكين القيام (ص ٧٤ ج ١ شرح الرضي على الكافية) .
(١) في شرح الرضي للكافية : وأجاز الكسائي نيابة التمييز لكونه في الأصل
فاعلاً فقال في طاب زيدٌ نفساً طبِيت نفسٌ زيدٌ . (٢) أي إنه إذا وجد
مع الفعل مفعول به ، ومصدر وظرف وجارٌ ومجرور جاز عند الكونيين نيابة غير
المفعول ، سواء تقدم النائب عن المفعول به ، تأخر ، لقراءة أبي جعفر :
« ليجزى قوماً بما كانوا يكسبون » فيجزي : مبني للمفعول ، و « بما » نائب فاعل
مع تقدم المفعول به وهو « قوماً » عليه . وقوله :

وإنما يُرضي النيبُ ربّه مادام معنياً بذكر قلبه

والشاهد نيابة الجار والمجرور مع وجود المفعول مؤخراً ، وكقول رؤبة :

لم يُعن بالعليا ، إلا سيداً ولا شئى ذا النى إلا ذو هدى

والمعنى : لا يهتم بالمكارم إلا شريف النفس ، ولا يبعد الضال عن ضلاله ،
ومني خصاله ، إلا من هداه الله ، والشاهد : نيابة الجار والمجرور مع وجود
المفعول به ، وقد اجاب البصريون بأن البيت ضرورة . قال في شرح الجامع :
والحق أنه إن كان الغير أعم في الكلام كان أولى بالنيابة من المفعول به ،
مثلاً إذا كان المقصود الأصلي وقوع الضرب أمام الأمير أقيم ظرف المكان
مقام الفاعل مع وجود المفعول به كما افاده السيد (ص ٤٢ ج ٢ حاشية الصبان) .

مطلقاً^(١)، ولا ثاني أعطيت اذا كانت نكرة والأول معرفة^(٢) .

فصل في الاسناد :

إذا كان المسند اليه ظاهراً ذات حر متصلاً ، مفرداً او مثني يجب تأنيث المسند مفرداً^(٣) ، وإذا كان مذكراً ، مفرداً او مثني ، فالتذكير ، وإلا فوجهان^(٤)

(١) اي إن ما كان خبراً في الأصل ، لا يتوب فيه المفعول الثاني ولا الثالث ، سواء ألبس أم لا ، وسواء أكان جملة أم لا ، وسواء أكان نكرة والأول معرفة أم لا . (٢) وجهه ان النائب عن الفاعل مسند اليه كالفاعل ، والمعرفة احق بالاسناد اليها من النكرة . (٣) نحو قوله تعالى : « إذ قالت امرأة عمران » فبينا أنث المسند « قالت » لأن المسند اليه « امرأة عمران » ظاهر ، متصل بفعله ، حقيقي التأنيث ، وهو المراد بقوله (ذات حر) وأصل حر (حرج) بدليل تصغيره على (حرج) وجمعه على (أحراج) فحذفت لامه وهي الحاء اعتباراً ، فبقي ككيدٍ وديم وهو بكسر الحاء (ف . . المرأة) ، ولكن المراد هنا مطلق (الف . .) . وبإعجاباً للمؤلف كيف اختار هذا اللفظ (ذات حر) الذي اضطر إليه ابن مالك في الفيته ، فقد يُفتقر في الشعر ما لا يُفتقر في غيره ، وقد كان في وسعه ان يقول (المؤنث الحقيقي) ، ولعل مذهب الكوفيين اضطره الى (ذات حر) ! .

(٤) التأنيث نحو : « كذبت قبلهم قومُ نوح » و « قالت الأعراب آمنا » واورقت الشجر ، والتذكير نحو : اوراق الشجر ، « وكذب به قومك » « وقال نسوة » « وقام الرجال » وجاء الهنود ، إلا أن سلامة نظم الواحد في جمعي التصحيح اوجبت التذكير في نحو : قام الزيد بن ، والتأنيث في نحو : قامت الهندات ، خلافاً للكوفيين فيها ، فقد اجازوا في الفعل معها التذكير والتأنيث ، واحتجوا بنحو : « إلا الذي آمنت به بنو اسرائيل » « إذ جاءك المؤمنات » وقوله : فبكي بناتي شجوهنَّ وزوجني والناظرون إليَّ ثم تصدَّعوا —

وممكن المذكر^(١) المنفرد فعل ، والمؤنث فعلت ، والمثنى المذكر فعلا ، والمؤنث فعلتا ، والجمع فعلوا وفعلت وفعلن .

فصل في التنازع^(٢)

إذا تنازع العاملان^(٣) ، في فاعل بعدهما ، نحو : جاء وقعد الزيدان ، قال الكسائي : هو فاعل الثاني ، وفاعل الأول محذوف^(٤) . وقال الفراء : هو فاعلها^(٥) ، وقال الجمهور : هو فاعل الأول ، وفاعل الثاني تكتيه وجوباً ، وقد عزي الى الفراء ايضاً فتقول : جاء وقعدا الزيدان ، وإذا تنازعا في مفعول فكذلك . إلا ان غيرهما جوزوا إعمال الثاني بحذف

— والمعنى : ان بنات ذلك الشاعر وزوجته والمحبين اجتمعوا وبكوا حزناً وهماً ، ثم تفرقوا بعد ذلك . والشاهد تجريد (بكى) من علامة التأنيث ، مع ان الفاعل جمع مؤنث سالم ، فهو حجة للكوفيين (٢١١ ج ١ المنار على التوضيح) .
(١) اي ضميره كما هو ظاهر . (٢) التنازع لغة التجاذب ، واصطلاحاً : توجه عاملين الى مفعول واحد ، كل منهما طالب له من جهة المعنى ، نحو قول المؤلف رحمه الله : جاء وقعد الزيدان ، فكل واحد من جاء وقعد يطلب « الزيدان » بالفاعلية . (٣) إذا تنازع العاملان جاز إعمال ايها شئت ، باتفاق من البصريين والكوفيين ، فقد سمع من العرب إعمال كل منهما ، فالخلاف الآتي في المختار منها لا في اصل الصحة . (٤) بناء على مذهبه في جواز حذف الفاعل في باب التنازع عند إعمال الثاني فراراً من الإضممار قبل الذكر . (٥) توجيهاً للعاملين الى الاسم الظاهر ، وبناء على منع الإضممار في الأول عند إعمال الثاني .

مفعول الأول ^(١) نحو : ضربت وأكرمت زيداً ، أو بكنايته مؤخراً ، نحو ضربت وأكرمت زيداً إياه ، وبذكره إذا كان ضرورياً ^(٢) نحو : علمتني قائماً ، وعلمت زيداً قائماً .

ويجوز حذفه أيضاً ، تقول : علمتك وعلمتني قائماً ^(٣) ، وقس عليه إذا تنازعا في شيء يطلبه أحدهما فاعلاً ، والثاني مفعولاً ، إلا أنه لا سبيل إلى إهمالها هنا . فيجب إعمال الأول عند الفراء ^(٤) . وأما مبنى الاختلاف فإنهم منعوا الكناية قبل التصريح لفظاً ورتبة ^(٥) ولم يجوز غير الكسائي حذف الفاعل ^(٦)

(١) وافق البصريون هنا الكسائي في حذف المفعول لأنه فضلة يحذف في السعة ، ولأنه يلزم على ذكره التكنية قبل التصريح (الاضمار قبل الذكر) . وعود الكناية على متأخر لفظاً ومعنى وحكماً ، ولا ضرورة إليه فترتكب مخالفة القياس .

(٢) يعني أن لم تستغن عن المفعول أظهرته ، ليؤمن حذف ما لا يجوز حذفه .

(٣) إنما جاز حذفه عند الكوفيين لأنه مدلول عليه بثاني مفعولي الفعل الآخر ، قال الأشموني : وأما الحذف فمنعه البصريون ، وأجازه الكوفيون لأنه مدلول عليه بالمفسر ، وهو أقوى المذاهب ، لسلامته من الاضمار قبل الذكر ومن الفصل .

(٤) الفراء يقول : إن استرى العاملان في طلب المرفوع ، فالعمل لهما ولا اضمار ، لأنهما كالعامل الواحد ، فأخواك في نحو : قام وقعد أخواك ، فاعل لقام وقعد ، فهو فاعل لفعلين عنده ، وإن اختلفا ، وكان أولهما يطلب مرفوعاً أضمرته مؤخراً ، فراراً من حذف الفاعل ، ومن الاضمار قبل الذكر فتقول : أكرمني وأكرمت زيداً هو . (٥) أي لأنه قبيح . (٦) أي إذا دل عليه دليل ، فإذا قلت : اجتهد فسرني يسار ، وجعلت يساراً فاعلاً لسر ، كان فاعل (اجتهد) على رأي الكسائي محذوقاً لدلالة ما بعده عليه ، وعلى رأي سيبويه والجمهور ضميراً مستتراً يعود إليه ؛ لأن عود الضمير على المتأخر أهون من حذف الفاعل وهو عمدة ، ولكل وجهة ، ولكلا المذهبين شواهد تراجم في شذوحي الإلفية وحواشيها عند قول ابن مالك : وأعمل المهمل في ضمير ما تنازعا والتزم ما التزما

ولم يجوز إعمال الثاني الفراء (١) .

المبتدأ والخبر

المبتدأ ذو الخبر : ما أسند إليه مؤخر ، أو مقدم ، لا يعمل فيه ، عارياً عن النواسخ ، وهو هو ، نحو : زيد قائم ، وإنسان عمرو ، وقائم أنت (٢) . وعمله الخبر عند الشيخين (٣) . العائد من الخبر عند الجمهور . ولا يجوز الاجداء بالنكرة ، ما لم تقد (٤) ، ويجب تقديمه إذا كانا متساويين نحو : هذا زيد ، وأفضل منك

(١) أي لأنه إذا أُعْمِلَ الثاني أدى ذلك إلى الاضمحار قبل الذكر (الكتابة قبل التصريح) وهو ممنوع عندهم كما تقدم . (٢) هذه الأمثلة مرتبة على تعريف المبتدأ وعائدة إليه ، ففي المثال الأول أسند إليه مؤخر وهو «قائم» ، وفي الثاني مقدم وهو «إنسان» وفي الثالث لفظ «أنت» يرتفع بالضمير العائد إليه من الخبر «قائم» لا بالخبر ، وهو معنى قوله : «لا يعمل فيه» وقوله : عارياً عن النواسخ ، أي نواسخ المبتدأ ، وهي كان ، وإن ، وظن ، وأخواتها ، وما ، ولا ، وقوله «وهو هو» أي أن الخبر هو المبتدأ في المعنى ، أو هو وصف المبتدأ ، والوصف في المعنى هو الموصوف ، ألا ترى أنك إذا قلت «زيد عالم» كان «عالم» في المعنى وصفاً لزيد ، وهو «زيد» متصفاً بالعالم ؟ (٣) هما إماما الكوفة الكسائي والفراء ، وقد تقدم ذكرهما ، وكما أن عامله الخبر عندهما ، فعامل الخبر هو المبتدأ ، أي فهما بترافعان ، وهو مذهب الكوفيين كما ترى في انصاف الأنباري وغيره . (٤) أي لأنها مجهولة ، والحكم على المجهول لا يفيد غالباً ويسوغ أن حصلت به فائدة ، كأن يخبر عنها بمختص مقدم ظرف أو مجرور ، نحو : «ولدينا مزيد» ، «وعلى أبصارهم غشاوة» فالذي سوغ الاجداء بغشاوة وبمزيد في الآية قبله الإخبار عنها بظرف ومجرور مختصين باضافتهما لما يصلح للاجداء ، وقد قال ابن مالك رحمه الله : ولا يجوز الاجداء بالنكرة . ما لم تقد كعند زيد مرة

مدت ولم يشترط سيئوبه والمتقدمون لجواز الاجداء بالنكرة إلا حصول الفائدة ،

افضل مني ^(١) او كان المبتدأ مما له الصدر نحو : من ابوك ؟ ^(٢) او كان خبره
مما لو قدم لعمل فيه نحو : زبد قام ^(٣) ، بخلاف : قاما الزيدان ^(٤) ، او كان
خبره محصوراً نحو : ما زيد الا قائم ^(٥) ، وقد يحذف ^(٦) ويجب في نعت مقطوع :
نحو الحمد لله الحميد ، ومصدر تاب عن فعله ، نحو : سمع وطاعة ^(٧) وكل خبر

— ورأى المتأخرون أنه ليس كل أحد يهتدي الى مواضع الفائدة فتتبعوها ، فمن
مقلّ مخل ، ومن مكثّر مورد ما لا يصح ، او معدّد لأشياء متداخلة . قال الأشموني :
والذي يظهر انحصار مقصود ما ذكره في الذي سيذكر ، وذلك خمسة عشر
أمراً ، وعددها . (١) اي يجب تقديم المبتدأ اذا استوى مع الخبر تعريفاً وتنكيراً
كما نرى في المثالين ، فلو قدمت « زيداً » في الأول لكان مبتدأ ، وأنت تربده
خبراً ، وكذا في المثال الثاني . (٢) فان « من » الاستفهامية لها الصدارة ،
وشلها « من » الشرطية و « ما » التعجيبة ، و « كم » الخبرية ، وهي مبتدآت نحو
« من يعدل بفلح » و « ما أحسن الفضيلة ؟ » و « كم شغل بحب الخير رأيت »
اي كثيراً . (٣) فلا يجوز تقديم الفعل على أنه خبر . (٤) أي فإنه جائز ،
لأن (قاما) ليس عاملاً في (الزيدان) بل هو عامل في الضمير البارز .
(٥) فقام وهو الخبر محصور بالـ لا . وقد اقتصر المؤلف على هذه الوجوه من
وجوب تقديم المبتدأ ، ونحن قد راعينا هذا الايجاز فلم نزد عليه .

وقال الإمام الأنباري (المتوفى سنة ٥٧٧) ذهب الكوفيون الى انه لا يجوز
تقديم خبر المبتدأ عليه ، مفرداً كان او جملة . اي خلافاً للبصريين ، واورد حجج كل
من القولين على عادته ، ورجح قول البصريين ، ونحن لم نخرج عن غرض المؤلف
من رسالته هذه ، وهو حصرها في المذهب الكوفي من دون تطويل ولا ترجيح .
(٦) اي المبتدأ اذا عرف : قال ابن مالك : وفي جواب كيف زيد قل دَيْف
فزيد استغني عنه اذا عرف . (٧) اصله مصدر منصوب بفعل محذوف وجوباً ،
من المصادر التي جيء بها بدلاً من أفعالها لكنهم قصدوا به الثبوت والدوام فرفعوه
— وجعل خبراً عن مبتدأ محذوف وجوباً حملاً للرفع على النصب ، اي امرئ سمع وطاعة .

لا بد فيه من عائد الى المبتدأ^(١) وقد بتعدد^(٢) ويكون جملة ، ويدخله الفاء^(٣) .
ويحذف ، ويجب في نحو : ضربني زيدا قائماً اي ما هو سد مسده الحال^(٤) ، ومثله :
لعزك لا فعلن^(٥) ، وقد بترك مستغنى عنه ، إذا ظهر المراد ، نحو : كل رجل

(١) ذهب الكوفيون الى أن خبر المبتدأ يتضمن ضميراً يرجع الى المبتدأ ،
وان كان اسماً غير صفة (اي جامداً) لأنه في معنى ما هو صفة ، نحو : زيد
اخوك ، وعمرو غلامك ، فهو في معنى زيد قريك وعمرو خادمك ، فلما كان خبر
المبتدأ هنا في معنى ما يتحمل الضمير وجب ان يكون فيه ضمير يعود الى المبتدأ ،
واجمعوا - بصريين وكوفيين - على انه يتضمن الضمير اذا كان صفة نحو :
زيد فاضل ، وعمرو حسن . (٢) قال ابن مالك في آخر بحث المبتدأ :
وأخبروا بثنين او باكثر عن واحد كهم سراً شعراً

وفي التنزيل : « وهو الغفور الودود ذو العرش المجيد » . (٣) نحو : الذي
يجتهد فله جائزة ، فالمبتدأ هنا : اسم موصول ، شبه باسم الشرط في عمومته ، واستقبال
العمل الذي بعده ، وكونه سبباً لما بعده ، فهو في قوة ان تقول : « من يجتهد
فله جائزة » . ولهذا ادخلت الفاء في الخبر كما تدخل في جواب الشرط .
(٤) في شرح الرضي على الكافية (ج ١ ص ٩٤) : وذهب الكوفيون الى ان
نحو : قائماً ، حال من معمول المصدر لفظاً ومعنى ، والعامل فيه المصدر الذي هو
مبتدأ ، وخبر المبتدأ مقدر بعد الحال وجوباً ، اي : ضربني زيدا قائماً - حاصل ،
ولا يصح وقوع هذه الحال خبراً ، لأن الخبر وصف للمبتدأ في المعنى كما مر ،
ولا يوصف الضرب بالقيام . وللنجم الرضي بيان وتعليل لنسب مذهبهم في هذه
المسألة (ص ٩٥) وليس من شأننا تسجيل المناقشات في هذه التعليقات .
(٥) اي لعزك نفسي ، فان المبتدأ صريح في القسم ، وجواب القسم ساد

سد القسم المحذوف .

وضيعة^(١) ، ولا يقدم على المبتدأ إذا كان مصدراً بـ «إن» أو «أن» أو «كأن»
أو «لكن» أو «ليت» أو «لعل» النواصب^(٢) وكثير حذفه بعد «لا» التبرئة ،
ويجب في لغة تميم^(٣) وقد بدخله الباء بعد «ما» و «لا» و «هل»^(٤) فينصب

- (١) اي مع ضيعة ، والضيعة في اللغة العقار ، وهو هنا كناية عن الصنعة
قال الكوفيون : وضيعته ، خبر المبتدأ ، لأن الواو بمعنى مع ، فكأنك قلت :
كل رجل مع ضيعة ، فاذا صرحت بمع ، لم تحتج الى تقدير الخبر ، فكذا مع
الواو التي بمعنى ، فلا يكون هذا المثال إذا ، مما نحن فيه ، اي ما حذف خبره .
- (٢) اي لأن هذه الحروف فروع على الفعل في العمل ، فأريد ان يكون
عملها فرعياً أيضاً ، والعمل الفرعي للفعل أن يتقدم المنصوب على المرفوع ، والأصلي
ان يتقدم المرفوع على المنصوب ، فلما اعمت العمل لفرعيتها ، لم تتصرف في معموليها
بتقديم ثانيهما على الأول كما تصرف في معمولي الفعل ، لنقصانها عن درجة الفعل .
- (٣) أي كثر حذف المسند الذي هو خبر «لا» التي لنفي الجنس ، أو (لا) التبرئة
(تسمى : لام التبرئة - لتبرئة المتكلم وتنزيهه الجنس عن الخبر - والنافية للجنس)
بعد دخولها ، وفي شرح الكافية : ويحذف كثيراً ، وبنو تميم لا يثبتونه ، ثم قال
بعد بحث في الموضوع : فعلى هذا نقول يجب اثباته (اي خبر لا) مع عدم القرينة
عند بني تميم وغيرهم ، ومع وجودها يكثر الحذف عند اهل الحجاز ، ويجب عند
بني تميم ، وفي الشرح أيضاً : ووجه مشابهة لا التبرئة (لاإن) أن (لا) للمبالغة في النفي
... اي لكونها لنفي الجنس - كما أن (إن) للمبالغة في الإثبات ، وقيل حملت
عليها حمل النقيض على النقيض (ج ١ ص ١٠٠) طبعة الدار الطيبة سنة ١٢٧٥
- (٤) نحوه ما زيد مجاهر ، ولا رجل بأفضل منك ، وقيل بلا التبرئة أيضاً نحو :
لا خير بخير بعده النار ، والأولى أنها بمعنى (في) وهل زيد بقائم ...

ينزعه بعد ما كثيراً وبعد غيره شاذاً^(١) وقد يدخل اللام في الخبر بعد إن غالباً ،
إذا كان مضارعاً اتفاقاً^(٢) أو ماضياً ، خلافاً للشيخ وهشام^(٣) وورد بعد لكن^(٤) .
المبتدأ الموافق ذو الفاعل : هو شبه فعل^(٥) اسند الى فاعله الظاهر ، ترافعا^(٦) ،
وحكمها حكم الفعل مع فاعله^(٧) ويدخل عليه إن وأخواتها ، تقول : إن قائماً

(١) ذهب الكوفيون الى أن (ما) في لغة أهل الحجاز لا تعمل في الخبر ،
وهو منصوب بحذف حرف الخفض ، فاذا حذف حرف الخفض من قولك ما زيد
بقائم ، وجب أن ينصب لفظ « قائم » بنزع الخافض ، فنقول : « ما زيد قائماً »
(٢) منه قوله تعالى : « وإن ربك ليحكم بينهم يوم القيامة » « إني لبحرنتي
أن تذهبوا به » . (٣) اما الشيخ فالكسائي واما هشام فهو ابو عبد الله بن معاوية
الضري ، النحوي الكوفي المتوفى سنة ٢٠٩ هـ وفي المغني لابن هشام : « الثالث :
الماضي المنصرف المجزئ من (قد) أجازوه الكسائي وهشام على إضمار قد ، ومنه
الجمهور ، وقالوا : إنما هذه لام القسم ، فتى تقدم فعل القلب فتحت همزة إن :
كعلمت ان زيدا لقام ، والصواب عندهما الكسر (ج ١ ص ١٢٥) فمن حق
المؤلف أن يقول . . . أو ماضياً وفاقاً للشيخ وهشام . (٤) في المغني (٢٠٨ / ١) :
ولا تدخل اللام في خبرها خلافاً للكوفيين ، احتجوا بقوله : ولكنتي من حبها
لعميد « ولا يعرف له ثمة ولا قائل ولا نظير ، ثم هو محمول على زيادة اللام »
(٥) المراد بشبه الفعل : اسم الفاعل ، واسم المفعول ، والصفة المشبهة ، واسم
التفضيل ، والمنسوب . (٦) قال ابن هشام في اوضح المسالك : وارتفاع الخبر
بالمبتدأ ، لا بالابتداء ، ولا بها ، وعن الكوفيين أنها ترافعا . (٧) قال الرضي
في شرح الكافية : الكوفيون جوزوا رفع الصفة للظاهر على أنه فاعل لها من غير
اعتماد على الاستفهام أو النفي نحو : قائم الزيدان ، كما يجيزون نحو : في الدار
زيدان جعل الظرف بلا اعتماد .

زيد ، وإن قائماً الزيدان ^(١) .

المنصوبات

المتبداً المخالف : فهو محل ^(٢) ، أو جار مع المجرور ، أسند الى فاعل عامله
اخلاف ، نحو : عندك زيد ، وحكمه حكم الفعل مع فاعله ^(٣) .
الخبر المخالف : فهو محل ، أو جار مع المجرور ايضاً ، أسند الى المتبداً ، نحو :
زيد عندك ، وعامله اخلاف ايضاً ^(٤) .

(١) وقال الرضي ايضاً : ويجوز عند الأخفش والفراء : إن قائماً الزيدان ،
وسوغ الكوفيون هذا الاستعمال في (ظن) ايضاً ، نحو : ظننت قائماً الزيدان .
وردّ الرضي هذا القول ببيان وتعليل ، ونحن ليس من غرضنا أن ننقض المذهب
الكوفي بغيره ، فنثبت ما قاله الرضي ، ولا ان نرجع قولاً على قول ، وإنما
القصد ايضاح ما تضمنته هذه الرسالة من المذهب الكوفي فحسب . (٢) المحل :
هو الظرف . (٣) اي في كونه : عاملاً في الاسم الذي بعده ، فيوجبون
ارتفاع زيد ، في نحو «عندك زيد» على الفاعلية للظرف (اي المحل) لتضمنه
معنى الفعل ، كما قالوا في نحو : قائم زيد ، وإنما قال الكوفيون ذلك لاعتقادهم
ان الخبر لا يتقدم على المتبداً ، مفرداً كان او جملة ، وبقية البحث تأتي في التعليقة
التالية . (٤) في شرح الرضي على الكافية (ج ١ ص ٨٣) : وانتصاب الظرف
خبراً للمتبداً عند الكوفيين على الخلاف ، يعنون أن الخبر لما كان هو المتبداً في
نحو زيد قائم ، او كأنه هو في نحو : وازواجه أمهاتهم ، ارتفع ارتفاعه .
ولما كان مخالفاً له - بحيث لا يطلق اسم الخبر على المتبداً ، فلا يقال في نحو زيد
عندك : إن زيدا عنده (اي لأن الخبر هنا ، ليس هو المتبداً في المعنى كما هو ظاهر -
خالفه في الاعراب ، فيكون العامل عندهم منصوباً ، وهو معنى المخالفة التي اتصف
بها الخبر ، ولا يحتاج عندهم الى تقدير شيء ، يتعلق به الخبر . واما البصريون فقالوا :
لا بد للظرف من محذوف يتعلق به لفظي ، إذ مخالفة الشيء للشيء لا توجب نصبه ،

النعته المخالف^(١) : فهو محل ، او جار مع المجرور يبين وصف نكرة ، نحو :
رجل من الكرام عندنا ، ولا يتقدم على المنعوت .
المصدر^(٢) : اسم ما فعله الفاعل ، أكد به الفعل ، أو بين عدده ، او نوعه ،
او علته^(٣) : ضربته ضرباً ، او ضربتين ، او ضربات^(٤) ، او تأديباً ، ويرد معرفاً
باللام ، نحو : ضربته الضرب^(٥) ، وقوله :
لا أقعد الجبن عن الهيجاء ولو تواتر زمر الأعداء^(٦)

(١) راجع ما أثرناه عن شرح الرضي في بحث « الخبر المخالف » . (٢) هو
المصدر الفضلة المؤكد لعامله او المبين لنوعه او عدده ، وهو مفعول الفاعل حقيقة ،
وفي الاشموني : والمفعول المطلق لا يكون إلا مصدرأ ، نظراً الى أن ما يقوم مقامه
ما يدل عليه خلف عنه في ذلك ، وأنه الأصل . (٣) لأن المصدر يشعر بالعلية ،
كما في قوله : ضربته تأديباً ، وفي الرضي : أن ما يسحب انتحاة مفعولاً له ،
هو المفعول المطلق لبيان النوع ، عند الزجاج كما في : ضربته تأديباً ، فان مآله
مماثل لضربه ضرباً . راجع تعليقه (١٧٥/١) . (٤) المصدر المؤكد لا يثنى
ولا يجمع باتفاق ، فلا يقال : ضربين ولا ضربوباً ، لأنه مقصود به الجنس من
حيث هو كماء وعسل ، ولأنه بمنزلة تكرار الفعل ، والفعل لا يثنى ولا يجمع ،
والمختوم بقاء الوحدة كضربة ، بعكسه باتفاق فيقال : ضربتين وضربات ،
لأنه كثرة وكلمة . (٥) في شرح الكافية للرضي : او معرفاً بلام العهد كما
اذا أشرت الى ضرب معهود شديد او خفيف او غير ذلك ، فتقول : ضربته الضرب .
(٦) الشاهد في ورود المصدر معرفاً باللام ، بقوله : لا أقعد « الجبن » عن الهيجاء ،
والجبن هو النزاع وضعف القلب ، والهيجاء هي الحرب ، والشاعر يقول : مها
تناهت وتكاثر زمر الأعداء ، فانا لا أكف ولا أجبن عند اللقاء . قلت :
وهذا هو خلق العروبة في جاهليتها وفي اسلامها ، فهل سلبت هذه الأمة أفضل
منها ياها ؟ وهل استجذت أمام عدوها في أرض الميعاد ، والعرب لا تستجذي ! —

ولا يتقدم التوكيد على الفعل ، وقد يؤكد به مضمون جملة ، وعامله الفعل المدلول عليه بالجملة : له عليّ ألف درهم اعترافاً^(١) . ويجب إفراد التوكيد والعلة^(٢) وقد ينوب عنه غيره ، كضربته سوطاً ، وعمل صالحاً ، وهنيئاً مريئاً^(٣) . وعامل المفاعيل ، الفعل أو شبهه عند الجمهور ، فاعل عند هشام ، الفعل مع

— أم هي بحجة بقول الآخر :

وما إن طبنّا جبن ولكن منايانا ودولة آخرينا

والطب ههنا بمعنى العلة والسبب ، والدولة بالفتح الغلبة في الحرب ، وبالضم تكون في المال ، ودالت الأيام تدول ، كدارت تدور ، وزناً ومعنى ، ولعل الأيام إذا دارت كرة أخرى ، تستعيد هذه الأمة سيرتها الأولى فيكون لها الفوز المبين ، وتحافظ على هذا التراث العظيم ان شاء الله . (١) يعني يكون المصدر مضموناً للجملة ، لا تحمل تلك الجملة من جميع المصادر إلا ذاك المصدر ، ولهذا قيل ان المصدر الظاهر يؤكد نفسه ، «فاعترافاً» في «له عليّ ألف درهم اعترافاً» يؤكد الاعتراف الذي تضمنته الجملة المذكورة ، كما أن المصدر يؤكد لنفسه في نحو ضربت ضرباً ، إلا أن المؤكد ههنا ، مضمون المفرد ، أي الفعل من دون الفاعل ، لأن الفعل وحده يدل على الضرب والزمان ، وأما في مسألتنا ، (فالاعتراف) مضمون الجملة الاسمية بكاملها ، لا مضمون أحد جزئيهما ، أي فالمصدر بمنزلة إعادة الجملة . (انظر شرح الرضي ج ١ ص ١١١) . (٢) تقدم بيانه في أول بحث المصدر . (٣) عد الأشموني ما ينوب عن المصدر المبين للنوع ، فبلغ ثلاثة عشر شيئاً ، منها : آله وصفته ، كما هنا ، وقد تكون الصفة النائية عن المصدر دعاءً مكرراً كقول كثير عزة :

هنيئاً مريئاً غير داء مخامر . لعزة من أعراضنا ما استخملت

الفاعل عند الفراء^(١) وقد يحذف الفعل العامل^(٢)، ويجب في نحو: حمداً له^(٣) وسبحانه وليك وفي مثبت بعد نفي، أو معناه، داخل على ما لا يكون خبراً، إلا مجازاً، ك: ما أنت إلا سيراً، وإنما أنت سيراً، أو مكرر بعده، كما أنت سيراً^(٤).

(١) عبارة المحقق الرضي: وأما ناصب المفعول: فالفعل عند البصريين، أو شبهه، بناء على أنه به يتقوم المعنى المنتضي للرفع، أي الفاعلية، والمعنى المنتضي للنصب، أي المفعولية، وقال الفراء: هو الفعل والفاعل، وقال: هشام بن معاوية من الكوفيين: هو الفاعل، وقد ذكرنا في حدّ العامل: أن هذين القولين أولى بناء على أن النصب علامة الفضلة لا علامة المفعولية (١١٦/١).

وقال في الانصاف مقرراً حجة الكوفيين: ولما كان الفعل والفاعل بمنزلة الشيء الواحد، وكان المفعول لا يقع إلا بعدهما، دلّ على أنه منصوب بهما، وصار هذا كما قلتم في الابتداء والمبتدأ، وإنما بمحتملان في الخبر، لأنه لا يقع إلا بعدهما (٥٦/١ و ٥٨). (٢) كقولك لمن قدم من سفر: قدوماً مباركاً، فقدوماً مصدر محذوف العامل لدليل حالي وهو المشاهدة، والأصل: قدمت قدوماً. (٣) أي من المصادر المسحوعة التي كثر استعمالها، ودلت القرائن على عاملها، كقولهم عند تذكر نعمة وشدة: حمداً وشكراً لا كفرة، وسبحان الله، وليك، والتقدير: الحمد لله حمداً... الخ. (٤) هذا مصدر يجب حذف فعله باجتماع شيتين: (أحدهما) أن يكون ناصبه خبراً عن شيء، لو جمعت هذا المصدر خبراً عنه لم يكن إلا مجازاً، لكونه صاحب ذلك المصدر. والثاني أن يكون المصدر مكرراً، أو بعد «إلا» أو معناها، نحو: ما أنت إلا سيراً، وإنما أنت سيراً، وما أنت سيراً سيراً. وإنما وجب حذف الفعل لأن المقصود من مثل هذا الحصر أو التكرير وصف الشيء بدوام حصول الفعل منه ولزومه له، فلما كان المراد التنصيص على الدوام والازوم، لم يستعمل العامل أصلاً، لكونه إما فعلاً...

ومما أكد مضمون جملة نحو : أنت قائم حقاً ، أو فصل أثره نحو : « فشُدُّوا الوثاق » ، فأما مناً بعدُ ، وإما فداء ^(١) أو شبه به علاجاً بعد جملة تضمنت صاحبه ، واسماً بمعناه كله ^(٢) : صوت صوتك .

— وهو موضوع على التجدد ، أو اسم فاعل وهو مع العمل كالفعل بمشابهته ، فصار العامل لازم الحذف ، فإن أرادوا زيادة المبالغة في الدوام جعلوا المصدر نفسه خبراً عنه ، قال :

عجب لتلك قضيتي وإقامتي فيكم على تلك القضية أعجب
قال سيبويه : سمعنا بعض من يوثق به ، وقد قيل له : كيف أصبحت ؟
قال : حمد لله وثناء عليه ، ومنه : سلام عليك . (١) يعني بمضمون الجملة مصدرها مضافاً الى الفاعل أو المفعول ، فمضمون « فشُدُّوا الوثاق » شدُّ الوثاق ، ويعني باثر ذلك المضمون : فائدته ومقصوده ، وغرضه المطلوب منه ، كالأثر الذي يكون بعد المؤثر ، ويعني بتفصيل ذلك الأثر ، يبان أنواعه المحتملة ، فقوله : « فشُدُّوا الوثاق » جملة تتضمن شدُّ الوثاق ، والمطلوب من شدُّ الوثاق هو ما جاء في قوله : « فأما مناً بعد وإما فداء » فمنّا وفداء ، ذكرنا تفصيلاً لعاقبة الأمر بشدُّ الوثاق ، والتقدير : فأما أن تمنوا منّا ، وإما أن تفادوا فداءً ، ويشير بالنظم الى هذا بقوله :

وما لتفصيل « فأما منّا » عامله يحذف حيث عنّا
أي حيث عرض ، (وانظر شرح الرضي أيضاً ج ١ ص ١٠٨ و ١٠٩) .
(٢) المثال التام الذي أورده لهذه المسألة : مررت بزيد فاذا له صوت صوت حمار ، وصراخ صراخ الشكلي يعني أن قوله : صوت حمار : مصدر ، فائدته التشبيه ، اذ المعنى ، مثل صوت الحمار . فالمصدر هنا فعل علاجي ، أي يحتاج في احداثه الى علاج بتحريك عضو . [بخلاف : له ذكاه ذكاه الحكماء فهو معنوي لا علاجي] . واقع بعد جملة وهي (له صوت) وهذه الجملة مشتملة على اسم بمعنى —

المفعول به

المفعول به : ما وقع عليه الفعل المتعدي ، أو تعلق به ، وهو جاز مع المجرور ، نحو ضربت زيداً ، وصررت بعمره ، وهو صريح وغير صريح . وقد يتقدم على عامله ، وقد يحذف منوباً ومنسياً ، نحو يعطي ويمنع ^(١) ويحذف عامله نحو : كلمته فاه الى في ، (أي جاعلاً) ويجب في نحو : أهلاً وسهلاً ، وفيما حذر بتقدير : اتق ، نحو اياك وزيداً ، أو من زيد ، والأسد الأسد ^(٢) أو اختص بتقدير : (أخص) نحو : نحن العرب ، لفعله ، أو نعت قطع بتقدير : (امدح) نحو : الحمد لله الحميد ، أو اغرى به مكرراً نحو أخاك أخاك ^(٣) .

وقد يعمل الفعل في مكني ، أو مضاف اليه ومرجعه ، ولا يشتغل بأحدهما عن الآخر ، نحو زيداً ضربته ^(٤) وعمرأ حبست غلامه ^(٥) .

المفعول فيه

المفعول فيه : - وهو المسمى حالاً وصفة - ما فيه الفعل من زمان أو مكان

- هذا المصدر المنصوب ، وهو المبتدأ المرفوع ، وهي مشتملة أيضاً على صاحب ذلك الاسم ، أي الذي قام به ذلك الحدث ، وهو الضمير المجرور باللام في مسألتنا « له صوت » . (١) المنوي كقوله تعالى : « يؤتي الحكمة من يشاء » أي يشاؤه . وغير المنوي ، أما لتضمن الفعل معنى اللازم كقوله : « فليحذر الذين يخالفون عن أمره » أي يعدلون ، وإما للمبالغة بترك التقييد نحو : يعطي ويمنع ، وكقوله : « والله يقبض ويبسط » . (٢) إنما وجب الحذف ليتنبه السامع بسرعة ، ويتبعد عن الهلاك . (٣) أو معطوفاً نحو : المروءة والتجدة . (٤ و ٥) وذلك لأن المكنتي في المثالين - الذي هو الهاء العائد - هو الأول في المعنى (أي زيداً وعمرأ) فينبغي أن يكون منصوباً به (أي بالفعل المذكور) .

مبهم^(١)، وينوب عنه ما دلّ عليه . نحو : جاء زيد وحده ، أي زمان انفراده ؛
وحكمه حكم المفعول به^(٢) ، ومنه : جئت وزيداً ، الواو : اسم بمعنى مع ،

(١) وشرط نصبه تقدير (في) وظروف الزمان كلها تقبل ذلك . وظرف
المكان ان كان مبهماً قيل ، والّا ، فلا . وفسر « المبهم » أي غير المحصور من
المكان . بالجهات الست ، والمقادير كالليل والفرسخ والبريد ، وحمل عليه : عند
ولدى وبين وإزاء ، وما هو بمعناها . « وغير المبهم » من المكان . وهو المختص
(والمراد بالمختص هنا ماله صورة ، وحدود محصورة) نحو الدار ، والمسجد ، والبلد ،
فإنها أعلام باعتبار عين تلك الأماكن . ومثل : بلد ، وسوق ، ودار ، فإنها
أسماء لتلك المواضع ، بسبب أشياء داخلية فيها ، كالدار في البلد ، والدكاكين
في السوق ، والبيت في الدار .

« والمبهم من الزمان » هو الذي لا حد له يحصره كحين وزمان . (والموقت منه)
ماله نهاية تحصره كيوم وليلة وشهر ، ويوم الجمعة ، وشهر رمضان .
واعلم أنه إنما نصب الفعل جميع أنواع الزمان ، لأن بعض الأزمنة - أعني
الأزمنة الثلاثة : مدلوله - فطرده نصب في مدلوله وفي غيره ، وأما المكان ،
فلما لم يكن لفظ الفعل دالاً على شيء منه ، بل دلالاته عليه عقلية ، لا لفظية ،
- لأن كل فعل لا بد له من مكان - نصب من المكان ما شابه الزمان الذي
هو مدلول الفعل - أي الأزمنة الثلاثة - وهو غير المختص ، ومنه المقادير على رأي
الجمهور ، ووجه المشابهة : التغير والتبدل في نوعي المكان ، كما في الأمثلة الثلاثة .
(انظر بحث المفعول فيه ، للرضي على الكافية ، وشروح الألفية) .

(٢) في الكافية وشرحها : « وينصب - أي المفعول فيه - بعامل مضر ، وعلى
شريطة التفسير » اعلم أن انتصابه بعامل مضر ، أما أن يكون بعامل جائز الاظهار
- أو بمحتته كما في المفعول به ، اذ هو هو ا هـ . وقد تقدم بحث المفعول به مع
عامله فراجع .

مفعول فيه ، انتقل اعرابه الى ما بعده كالضارب ، وقيل هو منصوب بالخلاف ^(١) .

الحال ^(٢)

الحال : ما يبين هيئة الفاعل ، أو المفعول ، أو المجرور ^(٣) نحو :

ما للجمال مشيها وثيدا أجندلاً يحملان أم حديدا ^(٤)

ولا يكون إلا صفة ^(٥) ، أو تبعاً ^(٦) . ولا يكون مصدراً ، وفي نحو :

- (١) أي مخالفة ما بعد الواو لما قبله ، فالناصب على هذا معنوي ، وأشار هنا الى ضعفه .
- (٢) يذكر ويؤنث ، والأفصح في امطه التذكير ، بأن يجرد من انثاء ، وفي ضميره ووصفه التأنيث .
- (٣) أي ما يبين هيئة الصاحب وصفته وقت وقوع الفعل نحو: رجع الجند ظافراً ، وأدب ولدك صغيراً ، ومررت بهند راكبة .
- (٤) تقدم ذكر هذا البيت شاهداً في بحث (المرفوعات) على كون « مشيها » فاعلاً مقدماً (لوثيدا) الواقع حالاً ، ووجه تمسكهم بالبيت أن « مشيها » ورد مرفوعاً ، ولا يجوز أن يكون مبتدأ ، لأنه لا خبر له ، فتعين أن يكون فاعلاً . وأورده هنا دليلاً على كون « وثيدا » حالاً من « الجمال » المجرور ، ويلزم على هذا الوجه جواز تقديم الفاعل على عامله ، والتباس الماعل بالمبتدأ . وينسب هذا الشاهد الى الزبارة بنت عمرو بن المضرب وقد تقدم ذكرها في بحث الفاعل فراجع .
- (٥) المراد بالصفة ما دلّ على معنى وذات متصفة ، كاسم الفاعل ، والمفعول ، والصفة المشبهة ، وأمثلة المبالغة ، وأفعال التفضيل .
- (٦) أي بمعنى الوصف ، ولا شك أن الأغلب في الحال والوصف : الاشتقاق ، لكنهم يجعلون الشيء المشتهر في معنى من المعاني كالصفة المقيدة لذلك المعنى نحو قولهم ، لكل فرعون مومي (بصر فها) أي لكل جبار قهار ، (ومنها) « الحال » في قول بعض أصحاب أمير المؤمنين علي عليه السلام ، في بعض أيام صغين :

فما بالناس أمس أسد العرين وما بالناس اليوم شاء النجف

فيؤول المنسوب (أسد وشاء) بما يصح أن يكون هيئة لما تقدم ، أي ما بالناس

أمس شجعاناً ، واليوم ضعافاً ؟

جاء في زيد ركضاً ، بقدر : يركض ^(١) . ولا جامداً ^(٢) ، ولا يكون معرفة ^(٣) إلا اذا كان صاحبه فاعل التواقص ^(٤) ، أو تضمنت معنى الشرط ، نحو :

(١) أي لأن « الركض » مصدر وزيد ذات ، والمصدر يبين الذات ، فركضاً منصوب على المصدرية ، والعامل فيه محذوف تقديره : يركض ، والجملة في محل نصب حال من المكنى في جاء . (٢) شرط جمهور النحاة اشتقاق الحال ، وإن كان جامداً تكلفوا رده بالتأويل إلى المشتق ، (قالوا) لأنها في المعنى صفة ، والصفة مشتقة : وفي معنى المشتق ، فقالوا في نحو « هذا بساً ، أطيب منه رطباً » : هذا مبساً ، أطيب منه مرطباً ، أي كائناً بساً ، وكائناً رطباً . و « هذه ناقة الله لكم آية » أي دالة ، وفي الكافية : وكل ما دلّ على هيئة صح أن يقع حالا ، وهذا الحدّ يعم الجامد والمشتق ، ووافق فيه المحقق الرضي ، معللاً بأن الحال هو المبين للهيئة ، وكل ما قام بهذه الفائدة فقد حصل فيه المطلوب من الحال ، فلا يتكلف تأويله بالمشتق . قلت : والظاهر ما قالوه ، ولكنني في هذه الرسالة ناقل للمذهب الكوفي ومبين له ، غير قائل فيه شيئاً لما يبتاه من قبل .

(٣) لأن الغالب تعريف صاحبها ، فلو عرفت مع كونها مشتقة لتوهم أنها نعت عند نصب صاحبها ، وحمل غيره عليه . (٤) ذهب الكوفيون إلى أن خبر « كان » والمفعول الثاني « لظننت » نصب على الحال ، وذهب البصريون إلى أن نصبها نصب المفعول ، لا على الحال .

ومما احتج به الكوفيون لمذهبهم أن « كان » فعل غير وقع ، أي غير متعد ، وإذا لم يكن متعدياً وجب أن يكون منصوباً ، نصب الحال ، لا نصب المفعول ، فإنا ما وجدنا فعلاً ينصب مفعولاً هو الفاعل في المعنى إلا الحال ، فكان حمله عليه أولى ، ولأنه يحسن أن يقال فيه « كان زيد في حالة كذا » وكذلك يحسن أيضاً في « ظننت زيدا قائماً » : ظننت زيدا في حالة كذا ، فدلّ على أنه نصب على الحال . (قالوا) : ولا يجوز أن يقال : إنه لو كان نصباً على الحال لما جاز أن يقع معرفة في نحو : كان زيد أخاك ، وظننت عمراً غلامك . والحال لا تكون معرفة ، —

عبد الله المحسن أفضل منه المسيء^(١) .

ولا يتقدم على عامله محلاً ، الا اذا كان صاحبه مستتراً ، وقبله مرجعه مكنياً ، نحو :
أنت قائماً عندي^(٢) ولا يتقدم على صاحبها المجرور ، الا اذا كان صاحبها مكنياً ،
او كان الحال فعلاً ، نحو : « مررت ضاحكة بهند » و « مررت - تضحك - بها »^(٣) .

-- لا نأنا تقول : انما جاز ذلك لأن أخاك ، وغلامك ، وما أشبه ذلك قام مقام
الحال ، كقولك : ضربت زيداً سوطاً ، فان « سوطاً » ينتصب على المصدر وان
كان آلة إقيامه مقام المصدر الذي هو ضربه ، فكذلك ههنا . على أنه قد جاءت
الحال معرفة في قولهم « أرسلها العراك » أي معاركة ، « والعراك » حال من الماء
في (أرسلها) والضمير للإبل أو الأتق . و « طلبته جهداً وطاقتك » و « رجع
عوده على بدئه » أي عائداً . الى غير ذلك ، فدل على صحة ما ذهبنا اليه اه
(انظر الانصاف ٤٨٩/٢) . (١) فالمحسن والمسيء حالان ، وصح تعريفها
لتأويلها بالشرط ، إذ التقدير : عبد الله اذا أحسن ، أفضل منه اذا أساء ؛ فان
لم تتضمن الحال معنى الشرط لم يصح تعريفها ، فلا تقول : جاء عبد الله المحسن ،
إذ لا يصح : جاء عبد الله ان أحسن . (٢) ذلك لأن ذا الحال اذا كان
مظهراً وقدمت الحال عليه ، أدى الى الاضمار قبل الذكر ، لأن في الحال ضميراً
يعود على ذي الحال المتأخر ، وأما اذا كان ضميراً ، فالضميران يشتركان في عودهما
على منسرها . ففي لفظ « قائماً » وهو الحال مكنياً مستتراً ، وفي المحل الذي هو
« عندي » مكنياً مثله وهو صاحب الحال ، وكلا المستترين عائد بلا شك على
مفسرهما ، متقدم عليهما . وهو « أنت » المبتدأ ؛ وانما جاز ذلك ، لأنه لم يلزم
عليه الاضمار قبل الذكر . (٣) عبارة الأشموني : « فصل الكوفيون فقالوا :
ان كان المجرور ضميراً ، نحو مررت ضاحكة بها ، او كانت الحال فعلاً : نحو :
تضحك - مررت - بهند » جاز ، والا امتنع اه فقد اورد صاحبها مكنياً في
المثال الأول ، وقدمها في الثاني على عاملها ، وصاحبها ، وأما « الموفي » فلم يورد الحال
مكنية في المثال الأول ، وقدم عاملها في الثاني عليها وتجيلى صاحبها ، فانظر وتأمل .

ويكون جملة بعائد^(١) أو، واو^(٢)، ويجب «قد» في الماضي بالواو^(٣) .

(١) في سورة يوسف : «وجاءوا أباهم عشاءً يبكون» فجملة الحال هنا هي الفعل المضارع المثبت ، وقد ارتبطت بصاحب الحال بالضمير ، وخلت من الواو .
(٢) مثاله من التنزيل : «لم تؤذوني وقد تعلمون أني رسول الله اليكم ؟»
فجملة الحال هي الفعل المضارع المثبت واقتربت بواو الحال .

(٣) اذا كان الرابط بين جملة الحال وصاحبه هو الواو وحده ، وجبت «قد» مع الماضي المثبت المتصرف نحو : جاء زيد ، - وقد طلعت الشمس ومن شواهد قول امرئ القيس :

تقول - وقد مال الفيض بنا معا عقرت بعيري يا امرأ القيس فانزل
فان جملة «وقد مال الفيض بنا معا» حال من الضمير المستتر في تقول :
والرابط بينها الواو وحدها - واذا كان الرابط هو الضمير وحده ، او الضمير والواو
معاً ، جاز الوجهان ، الاقتران «بقد» واخلو منها لفظاً وتقديراً ، ففي التنزيل :
«أو جاء وكم حصرت صدورهم» فأت جملة «حصرت صدورهم» حال من
واو الجماعة في «جاء وكم» والرابط بينهما الضمير المجرور محلاً بالاضافة في «صدورهم» .
وقال النابغة الديلمي :

وقفت بربيع الدار قد غير البلى معارفها ، والساريات المواطل
فان جملة : «قد غير البلى معارفها» حال من «ربيع الدار» والرابط بينهما
الضمير المجرور محلاً بالاضافة في معارفها ، وأنته مع عوده الى الربيع «لأن
المضاف قد يكتسب التأنيث من المضاف اليه .

فأنت ترى أن الرابط في الآية الكريمة ، وفي بيت النابغة هو الضمير وحده ،
وقد جاء بدون «قد» في الآية الكريمة ، وفيها في بيت النابغة :

محمد بهرمة البطار

(تابع)

البلاغة بين اللفظ والمعنى

« من عصر الجاحظ الى عصر ابن خلدون »

- ٢ -

الشعر والشعراء : لابن قتيبة المتوفى سنة ٢٩٦ هـ

لم يتعرض ابن قتيبة لبحث البلاغة - او فن الجمال في القول في تعبيرنا - بصورة مجردة ولم يحاول وضع او نقل تعريفات لها بل لم يذكرها اثناء كلامه على اقسام الشعر في كتابه الشعر والشعراء فيقول مثلاً : ان الشعر يكون بليفاً اذا حوى من الصفات كذا وكذا ، ولم يحلل الأشعار التي استشهد بها تحليل البلاغي ، وإنما قسم الشعر الى اربعة اقسام تقسيم الأديب المجمل ، واستعمل كلمتي الحسن والجودة في وصف اللفظ والمعنى ومشتقاتهما ، دون لفظي الفصاحة والبلاغة ، ولم يتعرض بالتفصيل لأسباب الحسن والجودة او القبح والتقصير في الأشعار التي جاء بها كأمثلة على اقسام الشعر ، ولم يحفل كذلك بذكر او شرح نظرية التأليف والنظم في الكلام ، وهل هي عملية معنوية ام لفظية ؟ وكل ما كان منه هو ان جعل اللفظ والمعنى شريكين في الحسن ، وأن احدهما قد يتفرد عن الآخر في الشعر فيكون حسناً ايضاً ، ولكنه في هذه الحالة يكون دون الشعر الذي اجتمع فيه حسن اللفظ مع حسن المعنى ، وهما مقياسا الجمال العامان في الفن الشعري . وبواسطة هذين المقياسين قسم ابو عبد الله ابن قتيبة الشعر وجعله اربع مراتب يأتي في المرتبة الأولى منه الشعر الذي حسن لفظه ومعناه ، وقد ضرب عليه مثلاً قول الشاعر في بعض بني امية : (وينسب هذا الشعر الى الفرزدق في علي بن الحسين زين العابدين العلوي) :

« في كفه خيزران ويحيا عبق من كف ارووع في عرينته شمم
 يغضي حياء ويغضي من مهابة فلا يكلم إلا حين ينسم »
 وقول الآخر :

« ابتها النفس أجلي جزعا إن الذي تحذرين قد وقعا »
 وقول النابغة :

« كئني لم يا أميمة ناصب وليل أفاصيه بطيء الكواكب » (١)
 وإذا فحصنا هذه الآيات وجدنا فيها أشياء كثيرة غير اللفظ والمعنى ففيها
 جودة السبك وجمال الأسلوب وفيها العاطفة القوية التي يخاطب بها قلب الشاعر
 قلب السامع أو القارئ وفيها التصوير وفيها الإيجاز وفيها التشخيص ويظهر أن
 ابن قتيبة كان يدخل كل هذه الأشياء في اللفظ والمعنى معاً أو في أحدهما وهو
 موفق الاختيار في هذا القسم . فإذا انتقلنا إلى شعر المرتبة الثانية وهو الذي حسن
 لفظه دون معناه وجدنا ابن قتيبة غير موفق في فهم وتذوق الأمثلة التي يوردها
 وذلك لإعطائه للمعنى مفهوماً خاصاً قصد به المعنى العام الساذج الذي يكون
 حكمة أو مثلاً أو فكرة علمية أو اجتماعية ، فقد ضرب المثل بهذه الآيات
 الثلاثة وهي من غرر الشعر :

ولما قضينا من معنى كل حاجة وصوح في الأركان من هو صائح
 وشدت على حذب المهارى ركابنا ولم يبصر الغادي الذي هو رائح (٢)
 أخذنا بأطراف الحديث بيننا وسالت بأعناق المطي الأباطح
 وقال فيها : « هذه الألفاظ كما ترى أحسن شيء مخارج ومطالع ومقاطع
 وإن نظرت إلى ما تحتها من المعنى وجدته : ولما قطعنا أيام منى واستلمنا الأركان
 وعالينا إبلنا الانضاء يمضي الناس لا ينتظر الغادي الرائح ابتدأنا في الحديث
 وسارت المطي في الأبطح ، وهذا الصنف في الشعر كثير » .

(١) الشعر والشعراء ص ٧ أقسام الشعر . . (٢) نفس المرجع ص ٨

وهذه الأبيات في الحقيقة مثال للشعر المتأجج عاطفة ، الحسن التصوير ، الذي يمثل حالة الحب الذي ودع أما كن ذكرياته ويصور انشغال الناس واضطراب أفكارهم وأبصارهم وهم عازمون على سفر كما يترك للخيال الواسع العنان أن يتصور كل حديث يمكن أن يتناول في مثل هذه المناسبات . وانتخاب الألفاظ كان موفقاً جداً توفيق الصور التي يعرضها لسير الملقى وقد سالت بأعناقها الأباطح فهذه الصورة صورة عامة شاملة فيها حركة وفيها تنوع وفيها عاطفة وفيها حديث حسن وكل هذا غاب عن ابن قتيبة فلم يذكر منه إلا اللفظ . ولا أضن كل هذه المحاسن قد غابت عن ذوق ابن قتيبة وإنما أضن أنه لم يحسن التعبير عن سبب استحسانه للأبيات وحرار في تعليقه وقد وفي هذه الأبيات حفا من الشرح والاستحسان عبد القاهر الجرجاني في دلائل الإعجاز كما وفي ابن قتيبة نصيبه من النقد والتعريض وسرى ذلك في حينه . وأخطأ ابن قتيبة في تعليل جمال أبيات أخرى لجري خطأ في هذه الأبيات ولا يتسع الوقت لذكرها والتعليق عليها . ويأتي في المرتبة الثالثة الشعر الذي جاد معناه وقصرت الفاظه ويسوق مثلاً عليه قول ليند بن ربيعة :

« ما عاتب المرء الكريم كنفه والمرء يصلحه القربى الصالح

فقال هذا وإن كان جيد المعنى والسبك فإنه قليل الماء والرونق ومنه نتبين أنه يريد بالمعنى هنا ما يكون حكمة أو نحوها وبالسبك صحة تأليف الجملة من الوجهة النحوية .

والمرتبة الرابعة والأخيرة يأتي فيها الشعر الذي تأخر معناه وتأخر لفظه ويضرب عليه مثلاً قول الأعشى في امرأة :

« وفوها كأفاحي غذاء دائم الهطل »

« كما شيب يراح با ربح من عسل النحل »

وبذكر أياتنا أخرى من هذا النوع ثم يقول : وهذا الشاعر بين التكلف

رديء الصنعة وكذلك أشعار العلماء ليس فيها شيء جاء عن إسماعيل وسهولة ك شعر
الاصمعي وابن المقفع والخليل . وقوله هذا بدلنا على أنه كان بعد التكلف
والصنعة من مفسدات الشعر وأن السليقة ضرورية ليكون المرء شاعراً . ينتقل
بعد ذلك ابن قتيبة الى فكرة ضرورة الحكم بالحسن من دراسة القول لا من
معرفة القائل وهذه ملاحظة قيّمة للناقد ويضرب مثالا على ذلك شعر الأعشى :
« وقد غدوت الى الحانوت يتبعني شاور مثل شلول شلشل شول »

فيقول : « وهذه الألفاظ الاربعة في معنى واحد وكان يستغنى بأحدها عن
جميعها وماذا يزيد هذا البيت إن كان للأعشى أو ينقص » . والذي يعنينا هنا
هو تقده لهذه الألفاظ المكررة ذات المعنى الواحد وأن يعيها لأن الثلاثة منها
زائدة وكان يكفي رابع الثلاثة ليدل على المعنى . والجميل عند ابن قتيبة هو
أنه لا يذكر قبا مجردة لقبح الكلام أو لحسنه وإنما يورد آياتاً تتصف بما يعطي
هذه القيم وينقدها نقد الأدب الفطن ويحكم عليها بدوقه الأدبي ، وهذا لو
اتبعت هذه الطريقة من قبل جميع من بحثوا في البلاغة ؛ فكانت نتيجتنا تلك
الدراسة المنطقية والفلسفية التي خضع لها علم البلاغة . فهو يقول إن الناس كانوا
يستجيدون للأعشى قوله :

« وكأني شربت على لذة وأخرى تداويت منها بها »^(١)

حتى قال أبو نواس :

« دع عنك لومي فإن اليوم أغراء وداوني بالتي كانت هي الداء »

وأن أبا نواس بقوله سلخه وزاد فيه معنى آخر اجتمع له به الحسن في صدره
وعجزه ، وكل هذا ليستنتج أن للأعشى فضل سبق اليه ولأبي نواس فضل
الزيادة فيه .

ويقرر ابن قتيبة للشاعر طريقاً يجب عليه أن يسلكه في القصيدة وهو ما يسمى

(١) الشعر والشعراء ص ١٣ .

بعمود الشعر ولم يسمه هو كذلك ، وبذكر العلل النفسية التي تدعو الشاعر لأن يسلك هذا الطريق فيقول إنما يقدم الشعراء الكلام في الأطلال ليمهدوا الأسباب لذكر أهلها ، ثم يتبعون ذلك بالنسب ليؤثروا في القلوب ، وينقل الشاعر بعد ذلك الى ذكر ايجاب الحقوق وانضاء الراحة سفرًا الى المحبوب ثم ينتهي الى المدح ويقول ان الشاعر المجيد من سلك هذه الأساليب وعدل بين هذه الأقسام فلم يجعل واحداً منها أغلب على الشعر ولم يُطِلْ فيحمل السامعين ويقطعَ وبالنفوس ظمًا الى المزيد وليس لتأخر الشعراء أن يخرج عن مذهب المتقدمين في هذه الأقسام فيقف على منزل عامر أو يبكي عند قصر مشيد أو يرحل على حمار أو بغل أو يقطع الى الممدوح منابت النرجس والآس^(١) وليس له أن يقيس على اشتقاقهم فيطلق ما لم يطلقوا كقول من قال « ترافع العز بنا فارفعنا » قياسًا على :

« تقاعس العز بنا فاقعنسا » . وابن قتيبة في هذا يرمم للشاعر تخطيطًا يلزمه باتباعه جريبًا على عادة الشعراء واتباعًا للغة العرب ليكون كلامه مستحسنًا غير خارج عن المألوف .

ونرى ابن قتيبة بعد ذلك يتكلم عن أثر العاطفة في تأليف الشعر فيقول : وللشعر دواع تحت البطيء ، وتبعث التكاف ، منها الطمع ومنها الشوق ومنها الشراب ومنها الطرب ومنها الغضب^(٢) . ويذكر ان مدائح احد الشعراء كانت اجود من مرثيته في ممدوحيه لانه في مدائحه يعمل على الرجاء في مرثيته يعمل على الوفاء^(٣) . وبينهما بون بعيد ثم يذهب الى أن بعض العواطف أقوى من بعض في حمل الشاعر على الاجادة في الشعر فالطمع في الجائزة أقوى من عاطفة التحيز الى فريق من الناس^(٤) ومن الجميل أنه يقول إن الطواف بالمناظر الطبيعية الجميلة يحث على قول الشعر . . .

(١) الشعر والشعراء ص ١٥ (٢) نفس المرجع ص ١٧ (٣) نفس المرجع ص ١٨

(٤) المرجع السابق ص ١٨

ثم ينهي حديثه عن أثر المواطف في قول الشعر إلى أثر الشعر في عاطفة السامع التي تنتقل إليه من شعر الشاعر فيقول تقيلاً عن أحدم أنت « أشعر الشعراء من أنت في شعره حتى تفرغ منه »^(١) .

وينتقل بعد ذلك إلى بيان عناصر أخرى في الشعر غير اللفظ والمعنى والعاطفة فيقول : « رابح كل الشعر يختار ويحفظ على جودة المعنى واللفظ ولكنه قد يختار ويحفظ على أسباب منها الإصابة في التشبيه وخفة الروي^(٢) ، فالإصابة في التشبيه شيء راجع إلى الخيال التصويري الذي لم يعرف العرب سواء في أدبهم إلا ما كان فيه خيال ابداعي من وضع القصص القصيرة طويلاً وخيالاً . ويتكلم ابن قتيبة عن ضرورة توفر الموهبة لدى الشاعر ليحسن شعره وينصح بترك التكلف فيقول : « والمتكلف من الشعر وإن كان جيداً محكماً فليس به خفاء على ذوي العلم لئيبينهم فيه ما نزل بصاحبه من طول التفكير وشدة العناء ورشح الجبين وكثرة الضرورات وحذف ما بالمعاني حاجة إليه وزيادة ما بالمعاني غنى عنه »^(٣) ويستشهد على هذا بشعر متكلف للفرزدق هو :

« أمير المؤمنين لأنك مره ... الخ »

وقوله :

« وعض زمان يا ابن مروان لم يدع من المال إلا مسحنا أو مجلف »^(٤)
يرفع الروي والاحتياج إلى التخريجات وإتباع التحويلين واضطرار الشاعر إلى أن يقول : « علي أن أقول وعليكم أن تحتجوا » يقول : « وتبين التكلف أيضاً بأن ترى البيت مقروناً بغير جاره ومضموماً إلى غير لفظه » .

وفي مكان آخر يقول في نفس هذه المناسبة : « والمطبوع من الشعراء من سمح بالشعر واقتدر على القوافي وأراك في صدر بيته عجزه وفي فاتحته قافيته وتبينت على شعره رونق الطبع ووشي الغريزة وإذا امتحن لم يتلعثم ولم يتزحزح »^(٥) .

(١) الشعر والشعراء ص ٢٠ (٢) نفس المرجع ص ٢١ (٣) ص ٢٢ من المرجع السابق

(٤) ص ٢٥ من المرجع السابق

مثلاً على الشعر المطبوع قول الشاعر (وهو ابن مطير) :

« كثرت لكثرة قطره أطباؤه فاذا تحلب فاضت الأطباء »

ويقول فيه : « وهذا الشعر مع اسرعه فيه كما ترى كثير الوشي لطيف المعاني » وهو يقصد بكثرة الوشي هذا التشبيه الرائع بين اندفاع المطر من السحاب وبين تحلب اللبن من الأطباء وهو تشبيه تمثيلي جميل ثم هذه الصناعة اللفظية في البيت .

الى هنا نرى كيف يحمل ابن قتيبة الكلام على عناصر الجمال في الشعر فيتحدث عن عناصر اللفظ والمعنى والعاطفة والخيال التصويري وعن السليقة والمران لدى الشاعر وحسن السبك دون التعرض لما بصورة تحليلية عميقة ونرى أنه أحسن النقد وتعليل أسباب الحسن في مواضع دون أخرى وأنه كان أقرب الى الأديب الناقد منه الى البلاغي المتفلسف ، وأنه كان في حقيقة نفسه لا يقدم أي عنصر من عنصري اللفظ والمعنى على الآخر وإنما يراهما صنوين متكافئين .

* * *

كتاب نقر الشعر : لقراثة بن جعفر المتوفى سنة ٣٣٧ هـ

يتكلم قدامة بن جعفر في كتابه عن عناصر الشعر فيجعلها أربعة المعنى واللفظ والوزن والقافية وهو يدخل التشبيهات وما إليها ضمن المعنى كما يدخل السبك وتلاؤم الألفاظ مفردة ومجموعة ضمن اللفظ وبهذا ينقص من العناصر الأساسية التي نعني بها نحن عنصري العاطفة والخيال المبدع المؤلف ولا يلتفت الى مراعاة تنوع الأسلوب بتنوع المواضيع ولا التفصيل فيه . وهو يقدم بحثه وتقسيمه بأسلوب العالم المنطقي الذي يحسن التقسيم والتبويب لا بأسلوب الأديب الناقد الذي يحسن تذوق الأدب والحكم عليه . ولكن الجميل عنده هو أنه لا يفضل بعض عناصر الشعر التي ذكرها على بعض بل يقول بضرورة ائتنافها كلها بعضها

مع بعض ليكون الشعر حسناً . وهذه نظرية جيدة تعني بالانسجام وتنظر الى الشعر كوحدة لا تنقسم عراها ؛ فلا ينظر في الحكم على جودة الشعر الى المعنى فقط ولا الى اللفظ أو أي شيء آخر على انفراد ، بل جمال الشعر يؤخذ ويحكم عليه من مجموع الصورة النهائية . ولكن هذا لم يمنع قدامة من أن يبين قيمة كل واحد من هذه العناصر الأربعة على حدة ومتى يكون في نفسه حسناً إذا نظر اليه منفصلاً عن غيره ، ثم ما هو نصيبه في تحقيق جمال القطعة الأدبية وإبرازه . ويظهر أن ثقافة قدامة التي كان فيها قسط وافر من الثقافة الأجنبية ساعدته على هذا التقسيم الجيد ، أو أنه استقى هذا التقسيم نفسه من مصادر يونانية أجنبية . ولكن تعريفه للشعر لا يمت إلى هذه الثقافة اليونانية بصفة قوية ، وبصورة خاصة ليس له أي نسب مع تعريف أرسطو للشعر ، فقد عرف قدامة الشعر بأنه لفظ موزون مقفى^(١) وهو تعريف ناقص لا ينطبق على القول الجميل ، بل إن شعر العلماء في النحو وغيره من فنون العلم الجافة ينطبق عليه . ويتحدث قدامة عن قيمة المعاني في الشعر فيقول إن المعاني بمنزلة المادة والشعر بمنزلة الصورة ويقول إن للشاعر الحرية في أن يتناول من المعاني ما يشاء سواء أكانت هذه المعاني كريمة أو فاحشة^(٢) والمعنى يجب أن يؤدي الغرض ولا يعدل عنه . وذكر مذهبي الفلو والاعتدال في إيراد المعاني وتصويرها^(٣) وفضل جانب الفلو آخذاً بقول من قال إن أحسن الشعر أكذب^(٤) وقال إن معنى المدح يجب أن يكون في فضائل الناس الأربعة العامة ، وهي الشجاعة والعفة والعدل والعقل ، ويميز المدح بأحدهما أو ببعض أقسامه كالجود الذي هو فرع العدل . وهنا نلاحظ تخطيطه للطريقة والمعاني التي يجب على الشاعر أن يأخذ بها نفسه في الموضوع الذي يريد طرده .

(١) تقد الشعر ص ١ (٢) المصدر نفسه ص ٤ (٣) ص ١٧ من نفس المصدر

(٤) ص ١٩ نفسه

ويرى قدامة أن المعاني يجب أن تتلاءم مع مقتضيات الأحوال ^(١) ويرى أن طرافة المعاني ليست عاملاً في جودتها ^(٢) وبشكل من الهجاء ^(٣) وكيف يجب أن تكون معانيه فيؤيد هنا نظريته في أن للشاعر أن يتناول المعاني التي يريد ولو كانت فاحشة فيقول إن من الهجاء ما تجمل فيه المعاني إذا أصاب الغرض وكان موجزاً . وينتهي قدامة من الكلام عن المعاني في نفسها ليتحدث عن كيفية إخراج هذه المعاني بالألفاظ والوزن ولكن باختصار ، فهو يصف ائتلاف اللفظ والوزن في الشعر فيقول يجب أن يراعى في ائتلافها قواعد النحو وعدم الجور على المعنى ^(٤) وينعت ائتلاف المعنى والوزن فينادي بضرورة تمام المعنى واستيفائه في البيت وعدم زيادته عنه ، ثم يطلب أن تكون القافية مؤلفة مع المعنى غير غريبة عنه ، ومحشورة لجرد إملاء الفراغ . ثم يتحدث طويلاً عن عيوب المعاني كتكرارها وتناقضها وعدم صحتها وتلاحمها ^(٥) . ويلاحظ على نقده كله أنه مزيج من النقد الأدبي والبلاغة ، وأنه نقد جزئي فلا يلاحظ عنده نقد عام لمجموع قصيدة أو نتاج شاعر بأكمله أو نقد هذا الشاعر نفسه بصورة عامة . وبشكل على أهمية وضع الألفاظ مواضعها لتدل على المعاني ^(٦) فيقول لو وضعت بل بدل الفاء في هذا البيت :

« أرى هجرها والقتل مثلين فاقصروا ملامكم فالقتل أعنى وأيسر »

لكان الشعر مستقيماً . وينقد بعض الأبيات ^(٧) من نوع :

« فلولاً الريح أسمع من بجبر صليل البيض تفرع بالذكور »

تقدراً عقلياً مجرداً فيه كثير من التوفيق من جهة الصحة والخطأ والإمكان وعدمه ، ولكنه خال من الخيال وتقدير الأمانى والعواطف ونزعات النفس وأحلامها في يقظتها .

(١) ص ٢٨ نقد الشعر

(٢) ص ٥٤ نفس المصدر

(٣) ص ٣١ نقد الشعر

(٤) انظر نقد الشعر ص ٦٣

(٥) انظر نقد الشعر ص ٧٦ - ٧٩

(٦) ص ٢٣

(٧) ص ٨٤ من نفس المرجع

وحيث أننا فرغنا من كل ما أورده من النظرات العامة والقواعد التي إذا توفرت في الشعر كان جميلاً حسبما يقدر هو فلا بد لنا أن نلاحظ أنه تكلم كثيراً عن المعاني والألفاظ والوزن والقافية ولكنه لم يبين العلاقة الرئيسية بين المعاني والألفاظ من حيث القدرة في سبك هذه على إبراز المعاني ، ولم يبين فيما إذا كان تفكيرنا - إذا نحن فكرنا في تأليف القطعة الأدبية وإظهار المعنى - تفكيراً في المعاني وترتيبها في النفس أو تفكيراً في الألفاظ وانسجامها موسيقياً ، وهل قواعد النحو تراعي اختلاف المعاني وتخدمها أم إنها تخدم الألفاظ . ثم لم يرسم لنا خطة لإبراز فكرة في رأسنا في شكل أدبي ، وكيف تقسمها إلى عناصر ، وكيف تفكر في هذه العناصر ثم نجعلها من جديد ، ولم يبين ما هي الخصائص الوسائط التي تجعل الأساليب متنوعة بتنوع المواضيع ، وما هي صفات الألفاظ التي يجب أن تتوفر في موضوع بعينه .

ولم يبين لنا كيف نجد عناصر هذه الفكرة العامة الموجهة التي نريد طرقها لنلزم بها ونجعلها كاملة ، ولم يستأنس بآراء من قبله في البلاغة كما لم يحاول وضع تعريف لها ولكنه على كل حال أتى بنظرية جميلة ربما استقفاها كما قلنا من مصادر يونانية وهي نظرية الانسجام .

* * *

كتاب نقد النثر

لا يزال الاختلاف قائماً حول المؤلف الحقيقي لكتاب نقد النثر فالأستاذ عبد الحميد العبادي يرجع في تقديمه وتحقيقه المطبوع مع الكتاب أنه لقدامة بن جعفر السابق مؤلف كتاب نقد الشعر المتوفي سنة ٢٣٧ هـ ، ويرجع يروكمان أنه من تأليف تلميذه أبي عبد الله محمد بن أيوب ، ولهذا آثرت أن أدرس كتاب نقد النثر على حدة . وعلى كل حال فهذا الكتاب يتفق مع كتاب نقد الشعر في أشياء ويزيد عنه في أشياء تكمل بها البلاغة كما أنه ينقص عنه في أشياء هي أنه لم يبحث

في بعض تفاصيل بحثها بتطويل مؤلف فقد الشعر ، ثم لا يتبع المؤلف نفس الطريقة في البحث ونفس التقسيم للمواضيع بل يضع لبحثه خطة أخرى تختلف عن تلك . رأينا أن قدامة لم يعرف البلاغة في نقد الشعر ولكن المؤلف هنا يعرفها ^(١) فيقول : « وحدنا عندنا أنها القول المحيط بالمعنى المقصود مع اختيار الكلام وحسن النظام وفصاحة اللسان » ثم يشرح هذا التعريف بقوله : « وإنما أضفنا إلى الإحاطة بالمعنى اختيار الكلام لأن العامي قد يحيط بقوله بمعناه الذي يريد إلا أنه بكلام مرذول من كلام أمثاله فلا يكون موصوفاً بالبلاغة . وزدنا فصاحة اللسان لأن الأعجمي واللعنان قد يلفغان مرادهما بقولهما فلا يكونان موصوفين بالبلاغة . وزدنا حسن النظام لأنه قد يتكلم الفصيح بالكلام الحسن الآتي على المعنى ولا يحسن ترتيب الفاظه وتعبير كل واحدة منها مع ما يشاء كلياً فلا يقع ذلك موقعه » وهذا التعريف يطلعنا على أن البلاغة عنده تشمل الفصاحة لأنه اشترط فصاحة اللسان ليكون الكلام بليفاً ثم يجعل جمال الكلام راجعاً إلى تعبيره تعبيراً قوياً كاملاً عن المعنى وإلى حسن اختيار الألفاظ لتأدية هذا المعنى ، ثم إلى حسن النظام الذي هو التأليف والسبك وتبين هذا النظام في شرحه للتأليف بأنه ترتيب للألفاظ ووضع كل واحد مع ما يشاء .

وفي هذا التعريف لا نرى أثراً للخيال ولا للعاطفة في تكوين جمال القول فهو ناقص من هذه الوجهة كغيره من تعاريف البلاغيين العرب . وقد ضرب مثلاً على الكلام البليغ قول علي بن أبي طالب : « أين من سعى واجتهد وجمع وعدد وزخرف ونجد وبني وشيد » وعلق عليه بقوله : « فأتبع كل حرف بما هو من جنسه وما يحسن معه نظمه ولم يقل أين من سعى ونجد وزخرف وشيد وبني وعدد » ولو قال ذلك لكان مفهومًا ومن قائله مستقبلاً وكان مع ذلك فاسد النظم قبيح التأليف . وتعليقه هذا يطلعنا على أن حسن السبك عنده يتحقق بتلاؤم الحروف والكلمات لفظاً وتلاؤم الكلمات معنى بحيث تقرن الكلمة

بقربيتها في المعنى ومثربكتها في الدلالة ، وعلى أن المؤلف يحب الصنعة في الألفاظ لأنه استشهد بالسجع .

وبتكلم المؤلف على سبب تسمية الشاعر شاعراً فيقول : إنه سمي كذلك لأنه يشعر من معاني القول وإصابة الوصف بما لا يشعر به غيره . ويقول إن الشعر إنما يكون فائناً إذا اجتمع فيه صحة المقابلة وحسن النظم وجزالة اللفظ واعتدال الوزن وإصابة التشبيه وجودة التفصيل وقلة التكلف والمشاكلة في المطابقة ^(١) . وبلاحظ إهماله جانب العاطفة ، وعدم ذكره المعنى مما يجوز لنا أن نفهم أنه يرجع جانب اللفظ على جانب المعنى . ولكنه حين ينتقل إلى الكلام على ما ينبغي للشاعر أن عمله يقول ما خلاصته أنه يجب أن يضع المعنى وكل شيء موضعه ^(٢) . وإن يتساوى ويتكافأ معنى البيت مع لفظه فلا يزيد اللفظ عن المعنى ولا المعنى عن اللفظ ^(٣) . وإلا فسد الشعر كما فسد قول الأعشى :

« وقد أروح إلى الخانوت يتبعني شاور مثل شلول شلش شول » ^(٤)

وأنه ينبغي له الإيجاز وأن يستوفي البيت الواحد معنى أو معنيين فلا يكمل بيت معنى بدأه الشاعر في بيت قبله . وهنا نلاحظ نظريته الجزئية في إظهار الفكرة واستقلال كل بيت عن الآخر وعدم النظر إلى القصيدة كوحدة .

ويقول إنه يحق للشاعر أن يتصرف في المعاني كما يريد فيصدق أو يبالغ فالكذب جائز في الشعر وإن أرسطو طاليس ذكر الشعر فوصفه بأن الكذب فيه أكثر من الصدق وذكر أن ذلك جائز في الصناعة الشعرية ^(٥) . ونلاحظ هنا أمرين الأول أن المؤلف متصل بالثقافة اليونانية اتصالاً وثيقاً ، والثاني أنه يورد نفس الرأي الذي أورده قدامة في نقد الشعر وهو أن المبالغة جائزة في نظمه . ويضيف إلى هذا أشياء تكون في الشعر فتزيد في حسنه ^(٦) : منها حسن

(١) نقد النثر ص ٩٣ (٢) نفس المرجع ص ٩٧ (٣) ص ٩٩

(٤) وهنا نلاحظ أن المؤلف أورد نفس البيت الذي أورده قدامة في نقد الشعر .

(٥) ص ٩٩ (٦) ص ١٠٠ من نفس المرجع

الانشاء وحلاوة النعمة وتلاؤم الألفاظ مع موضوعات المعاني وخطا الجد بالهزل واستعمال كل منهما في موضعه حتى لا يمل الناس الجد ولا يسخرون من كثرة الهزل . وهذا يطلعنا على أنه لم يهمل جانب الموسيقى ولا جانب المعاني وتلاؤمها مع الألفاظ . وضرب مثالا على تلاؤم المعنى والشعر مع المقام قول امرئ القيس وهو في عنفوان أمره وجدة ملكه :

فلو أن ما أصعب لأدنى معيشة كفاني ولم أطلب قليل من المال
ولكننا أسمى لجحد مؤثّل وقد يدرك الجحد المؤثّل أمثالي
وقوله وقد ضعف أمره فوضع القناعة موضعها :

« ألا إن لم تكن إبلٌ فمعى كان قرون جلتيها المعصي » الخ^(١)
ويذكر قبح التكلف وضرورة الجريان على السجية في الألفاظ والمعاني ويقول
إن البلاغة ليست الاغراب في الألفاظ والتعمق في المعاني والتفصيل ما أفصح عن
المعنى والبلغ ما بلغ المراد . والألفاظ يجب ان تكون مفصلة على قدود المعاني
والكلام متناسبا مع المقام من حيث اللفظ ومن حيث المعنى^(٢) . والفصيح من
الكلام في رأيه ما وافق لغة العرب ويقول إن النحو وضع لمعرفة^(٣) وثراه
يلج في موضع آخر ايضا على ان لكل مقام مقالا^(٤) ، وان الألفاظ يجب
ان تكون على قدود المعاني^(٥) .

نتبين مما سبق من القول ان مؤلف نقد النثر كمؤلف نقد الشعر لا يرجح
جانب اللفظ على جانب المعنى ولا جانب المعنى على جانب اللفظ ولكنه يرى ان
الجمال يكون بائتلافهما وتكافئهما ويتحقق ذلك بحسن السبك الذي هو ملائمة
بين الألفاظ من حيث نطقها في النظم ووقعها على الأذن مما يعبر عنه بالفصاحة
ومن حيث ارتباط الكلمة بجارتها معنى ووجودها في موضعها لتؤدي فيه وظيفتها
المزدوجة المشتركة بين اللفظ والمعنى .

(يتبع)

نعيم الحمصي

(٣) ص ١٦٠

(٢) ص ١١٨

(١) نقد النثر ص ١٠٨

(٥) انظر ص ١٦٦

(٤) انظر ص ١٦٣

التعريف والنقد

كتاب وقف

القاضي عثمان بن اسعد المنجى الحنبلي (٦٤١)

نشره صلاح الدين المنجد بعناية المعهد الفرنسي بدمشق

١٣٦٨ - ١٩٤٩ م ٤٦

يصرف الأستاذ المنجد شطراً من عنايته الى نشر ماله علاقة بتاريخ دمشق وعمرانها مثل ولاية دمشق ومخطط دمشق ودمشق القديمة ومارستان نور الدين وأنهار دمشق . وآخر ما نشره من هذا الوقف ، وهو مثال من مدينة القرن السابع في هذه العاصمة حوى فوائد أثرية وتاريخية جاءت تنمة لما يحتاج اليه الباحث في مدينة دمشق ومصطلحاتها في وقوفها وزراعتها الى غير ذلك . فالشكر للباحث الأستاذ على هذه التحف التي يجدد بها مآثر من معالم حضارتنا ويصور بها صورة رجائنا وأعمالهم في الخير ويطلعنا على روح تلك العصور وروح أهلها من أقرب الطرق .

محمد كرد علي

فن القصص

أصبح للقصّة وفنها في آدابنا العربية الحديثة شأن غير شأنها في عهد آدابنا القديمة وآبائنا الأولين وقت ان كان ينظر الى القصّة كأداة للهو ، ووسيلة للترفيه ، وترويح النفس . اللهم الا ما أخذ اسم (المقامات) من تلك القصص فانه عدا ما فيه من التفكيك وترويح النفس - يزيد القارئ بصيرة في اللغة العربية ويدربه على الانشاء فيها وحفظ طائفة صالحة من ألفاظها وعيون أمثالها وطريف أساليبها .

أما القصة اليوم وقد حذونا فيها حذو الكتاب الأوربيين فان لها في تربية النفس ، وثقيف الأخلاق ، وتوجيه النفس الى المثل العليا - ما قام بتحقيقه وعكف على دراسته علماً وعملاً الأستاذ الفاضل والنبيل محمود بك تيمور . ومن أراد التفقه في القصة وفنونها وسائر ما يتعلق بها فعليه بالرجوع اليه والتعويل عليه والاستفادة مما كذب وصنف ومن الآثار التي يصدرها وينشرها من وقت الى آخر .

من ذلك كتيب في نيف ومئة صفحة طبعه في دار الملل سنة ١٩٤٨
وضمنه ثلاثة مطالب :

(١) قضية اللغة العربية

(٢) فن القصص

(٣) القصص الانساني

ونكتفي بان نقل للقارى هذه النبذة من المطلب الاول لانه بقلوبنا اطلق
وبموضوع مجلتنا ألصق : قال :

(وأقرب ما يعترض به على القائلين بجمود العربية ، وينفي عنها شيمها باللغات
المتة ، أنها لبثت قرابة الف وخمسمائة سنة تؤدي مهمتها على وجه مرضي ،
وما هي ذي تطارع الرقي العلمي والأدبي والعمرائي في العصر الحديث ، فتراها
لسان الدرس على اختلاف مراتبه ، والكتاب على تباين فنونه ، وأداة الخطابة
في منابر القضاء والمحافل على شتى اغراضها . وحسبنا الصحافة مصداقاً لهذه الحقيقة :
فقد لانت العربية للصحف والمجلات تعبير عن شؤون الحياة العامة والخاصة .
ولا جرم أن بقاء اللغة العربية الفصحى على هذا النحو يكاد يعد معجزة في
عالم اللغات ، ولكنها معجزة لما مسوغاتها التي لا افتعال فيها ولا قسر .

المغربي

الثورة الكوبرنيكية

(تأليف الفيلسوف برتراند رسل . نقله الى العربية احمد عبد الباقي . وطبع على نفقة)
 (مكتبة المتن البغدادية في مطبعة (دار الكتاب) بمر سنة ١٩٤٨ م في ٤٠ صفحة)
 هذه الرسالة على صغر حجمها كبيرة المفزى ، شيقة الأسلوب ، حمة الفوائد :
 فهي ترمز الى أن الجليل مهما طال أمده ، واشتد ساعده ، لا بد أن يتغلب عليه
 العلم أخيراً ، وينزله على حكمه . وهذا كاتصار نظرية (النظام الشمسي الحديث)
 المنسوبة الى (كوبرنيكوس) الايطالي (المتوفى سنة ١٥٤٣ م) على نظرية (النظام
 الشمسي القديم) المنسوبة الى (بطليموس) اليوناني الذي عاش في القرن الثاني
 قبل المسيح . وخلاصة ما قاله بطليموس أن الأرض ثابتة في مركزها وان الشمس
 وسائر الكواكب تدور حولها . اما كوبرنيكوس فقد ثار ثورة عنيفة على هذا
 الرأي ، واقام الأدلة على بطلانه ، وأثبت ان الشمس هي الثابتة وان الأرض
 وسائر الكواكب تدور حولها . وقد عدت هذه النظرية وانتصارها من أكبر
 اكتشافات العصر الحديث ، وأروع مميزاته ، على أن ما قاله (كوبرنيكوس)
 كان قال به بعض الأقدمين من علماء اليونان ، لكنهم لم يقدرُوا على اثباته
 بالبراهين الرياضية ، ولذا خفت صوته وعلا صوت (بطليموس) ، حتى كان القرن
 السادس عشر ونهض (كوبرنيكوس) وأثبت ما هو الحق في هذه المسألة .
 والأديان الصحيحة ما كانت لتعلم الناس علم الفلك ، ولذا كانت تروي
 أخبار الأجرام السماوية من حيث نسبتها الى خالقها ودلائلها على وجوده تعالى
 فكان رجال الأديان يأخذون بالرأي البطليموسي الشائع ، لكن اخذهم به اصبح
 عقيدة ثابتة ولذا قاوموا من قال بضعها . وقد شرحت هذه الرسالة ما كان يقع بين
 رجال الدين الكذبي وبين رجال العلم الفلكي : امثال (كوبرنيكوس) و (كبلر) .
 ولا سيما اخبار (غاليليو) مع محكمة التفتيش ، كل ذلك بعارة واضحة جليلة ، واسلوب
 مشوق ، على أن هذه الرسالة - كما قال مترجمها - كانت في الاصل فصلاً من كتاب
 (العلم والدين) للفيلسوف الانكليزي المعاصر (برتراند رسل) وهو الفصل الثاني من فصول
 كتابه المذكور ، فالشكر لمرجه وناشره على هذه الهدية لقراء العربية . المحمدي

من عيون الأخبار

كتاب (عيون الأخبار) لابن قتيبة من أمتع كتب الأدب وأغزرها مادة في انتقاء الأخبار والنقاط ما ظرف وأفاد من الأحاديث والأسماء ومنها (نوادر القضاة والخلفاء والأدباء والشعراء اختارها ورتبها وشرح الفاظها اللغوية) الأديب حمدي عبيد أحد اصحاب المكتبة الهاشمية العربية بدمشق فكان مما اختاره وشرحه كتيب لطيف القطع حسن الوضع والطبع فيه فائدة وممتعة لكل قارئ ومتأدب وقد طبع في مطبعة الترقى بدمشق في ٢٢٣ صفحة . فلا يفوتن الشداة وطلاب الأدب اقتناؤه والاستفادة من طرائفه .

المفري



نبات سورية

بقلم الحكيم يوسف عرقنتجي

طبع في مطبعة الجمهورية السورية وجاء في ٩٣ ؛ صفحة من القطع المتوسط .

يحتوي هذا الكتاب على ٢٣١٤ نباتاً من نباتات سورية البرية والزراعية ذكر المؤلف أسماءها العلمية والفرنسية وأسماء فصائلها بأحرف لاتينية ، وذكر الى جانبها أسماءها العربية وشيئاً عن استعمال بعضها في الطب . ولم يذكر تاريخ طبع الكتاب ، ولكن مقدمته مؤرخة في شهر آب من سنة ١٩٤١ أي منذ نحو ثماني سنين . وقد شاء صاحبه ان يبعث اليوم بوضع نسخ منه الى الجميع . ولم يحل المؤلف الفاضل النباتات المذكورة في كتابه ، ولم يصنفها على حروف المعجم ولا على حسب فصائلها وقبائلها وأجناسها وأنواعها ، بل ذكر بعض كُور سورية وجبالها وسهولها وقال يوجد في كل منها كذا وكذا من النبات . واقتبس كثيراً من الأسماء العربية عن معجم أسماء النباتات للدكتور احمد عيسى ، واقتبس بعضها عن بسط (بوست) .

فالدكتور احمد عيسى رحمه الله كان يعرف الأسماء الفصيحة لكثير من النباتات ، ومع هذا فقد مرر في معجمه المذكور لكل نبات جميع ما اتصل به من أسمائه ، دون تفريق بين الفصيح والمولد والعامي ، ودون الإشارة الى الاسم الفصيح ، تمييزاً له عن غيره ، ولذلك خبط معظم الذين تقلوا عنه خبط عشواء . أما الدكتور بسط فقد كان عالماً نباتياً يعرف بالنظر الاسم العلمي لكل نبتة من نبات الشام . وقد بذل جهده في تحري الأسماء العربية لبعض النباتات ، ووضع مصطلحات لأجزاء النبات وأسماء لفئاتها أصاب في كثير منها وأخطأ في كثير . ولا يُطلب من أجنبي مثله ان يفعل في تلك الأيام فوق ما فعل ، ولا ان يخدم فوق ما خدم .

وأما الدكتور يوسف بك عرقتنجي فله على الطب فضل لا ينكر ، ولكنه في النباتات وأسمائها ومصطلحاتها العلمية حاطب ليل . فقد نقل مادة الكتاب عن الفرنسية ، ونقل جميع ما غلط به بسط وعيسى ، بل شوه كثيراً من كلماتهم ، ورد بعض الألفاظ الفصيحة الى العامية . وما وجدت صفحة واحدة من الكتاب خالية من الأغلط المختلفة .

فمن أسماء الفصائل التي غلط بها قوله الفصيلة الفرندلية والصحيح الحنائيات ، وفصيلة السرو ! والصحيح السعديات ، والفصيلة الفرغية والصحيح الرجليات ، والفصيلة الخيزرانية والصحيح الأسليات ، وذوات المظلة او الصبوانية والصحيح أخيمريات ، والفصيلة الشبقرية والصحيح العنحيات والدريقيات الخ . الخ . ومعظم أسماء الفصائل في الكتاب مغلوطة .

وغلط المؤلف في أسماء كثير من النباتات . فقد خلط في التسمية بين الجلبان والبيقة والكرسنة والايدوصارون ، وبين الخيزران والأسل ، وبين العناب والغبيراء ، وبين المكوب والحرف ، وبين البرسيم والفصفصة الخ . ومن النباتات التي لم يفرق بين أسمائها الفصيحة وأسمائها العامية ، او التي ردت أسماءها الفصيحة الى العامية :

شرش العرق سوس ، الكعقوب والكعيب ، الطاطورة ، القزيص ، الكراوية ،
 حيمالم ، حودان ، الخبيزة ، المقتي ، نبات أوير ، حرفرف ، شرش الانجيل الخ .
 والصحيح : عرق السوس ، الكعقوب ، الداتورة ، القراص ، الكرويا
 والكرويا ، حي العالم ، حودان ، الخبازة ، القشاء ، نبات أوير ، حرف ، عرق النجيل .
 والأغلاط اللغوية والمطبعة كثيرة . وتشمل الأغلاط المطبعة الأسماء العلمية
 والأسماء الفرنسية ، فقد أحصيت منها عشرات .

وبعد يجب على المؤلفين في المواليد ان يفرقوا بين اسمائها العربية الفصيحة
 واسمائها العامية . وأنا لا أنكر ذكر الأسماء المولدة والعامية في تلك المؤلفات ،
 على ان توضع بين قوسين ، او ان يشار الى كونها غير فصيحة .
 أما الاقتصار على الأسماء العامية ، او ترجيحها على الفصح من الكلم ،
 او الخلط بينها وبين الفصح فهو مفسدة للغة وتضليل للقارئ . وكتب كهذه
 لا يجوز ان يطالعها الأساتيد والتلاميذ والمتأدبون .

مصطفى الشهابي

مجموعه

نظرية الاسلام السياسية

تأليف الأستاذ المودودي : معرب عن الاردية
 دار العروبة للدعوة الاسلامية (بلدة : راولبندي : باكستان)

سلسلة مطبوعات دار العروبة (١)

هذه « النظرية » مترجمة عن الاردية ، وهي فصيحة المفردات ، صحيحة الأسلوب ،
 ناصحة البيان ، ليس فيها اثر للعجمة ، كأنما الفت بلغة الضاد ، اما غرض هذه
 الرسالة النفيسة التي تقع في (٥٢) صفحة ، فهو بيان ان الركن الأول في سياسة
 الاسلام ، وقطب رخاء الذي يدور حوله ، ان يشرع جميع حقوق الأمر والتشريع
 من أيدي البشر منفردين ومجتمعين ، ولا يؤذن لأحد منهم ان يتفاد امره في بشر
 مثله ، أو يخطيئوه ، أو يسئ دستوراً لهم فينقادوا له ويتبعوه ، فان ذلك امر يختص

بالله وحده ، لا يشاركه فيه احد غيره ، وقد اوضحت هذه الرسالة وما بعدها هذه الدعوة ، ونشر على غلاف كل رسالة منها مقاصدها ، وقد جاء في المقصد الثالث مانعه : «ودعوتنا للعالم بأسره ان يحدثوا انقلاباً عاماً في نظام الحياة الحاضر الذي استبد بزعامته الطواغيت والفجرة ، الذين ملأوا الأرض فساداً ، وأن تنتزع هذه الزعامة الفكرية والعملية من أيديهم ، حتى يأخذها رجال يؤمنون بالله وباليوم الآخر ، ويدينون دين الحق ، ولا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً »

اقول : ومن اجل انشاء هذه المدينة الفاضلة في الأرض ، وإقامة الحكومة العادلة لسكانها ، تأسست الجماعة الاسلامية في الهند سنة ١٣٦٠ هـ ولا يزال هذا الدعوة الاسلامية الى العالم الاسلامي عامة ، وبلاد العرب خاصة ، تأسست دار العربية للدعوة الاسلامية ، منذ اربع سنين ، فكانت فرعاً لها ، وشرعوا في كتب الدعوة ونشرها بلغة القرآن الكريم وهذه اولى رسائلهم ، وسيأتي الكلام على الثانية والثالثة منها . فما قول العرب وحكوماتهم في هذا الانقلاب العظيم ؟

أما العرب فقيمهم نزل القرآن ، ومنهم بعث الرسول عليه الصلاة والسلام ، ولكنهم أعرضوا عن دعوته وشريعته فأعرض الله عنهم ، وسلط عليهم من لا يخافه ولا يرحمهم ، فاستخذوا لذلك واستكثروا ، ولا يزال بغضهم لبعض عدو ، يتدافعون عن الأرض المقدسة ويمكنون لعدوهم فيها ، حتى استباح حماتها ، ودها اهلها من الكوارث ما دهاها ، وهم على ما يفعلون بالعرب شهود ، والدول الكبرى تعدهم وتمنيهم ، ووعودهم وعهودهم « كسراب ببيعة يحسبه الظمان ماء » حتى اذا جاءه لم يجده شيئاً » فحيا الله هذه الدار ، دار العربية ، والقائمين عليها ، ورعى الله حكومة باكستان الاسلامية ، وأحيائها حياة طيبة ، وجدد بها عهد الاسلام ، ولا يزال الأمل باقياً في هذه الجامعة العربية ، أن تنهض من كبوتها ، وتتحد مع من يخطب وديها ، ويرعى حرمتها ، وينشئ داراً للعروبة من أجلها .

هذا وانا لم نذكر البسملة ولا للحمدة في أول الرسالة ، وهي تدعو الى الاسلام وتعلم ما ورد في ذلك .

محمد بهمة السطار

منهاج الانقلاب الاسلامي

تأليف الأستاذ المودودي : معرب عن الاردية

سلسلة مطبوعات دار العروبة رقم (٢)

هذه هي الرسالة الثانية من الرسائل التي يعني الأستاذ مسعود الندوي بطبعتها ، وتعني دار العروبة للدعوة الاسلامية بنشرها ، وفي هذه الرسالة رسم للخطة التي يجب أن تسير عليها حكومة الباكستان في انقلابها الاسلامي ، الذي جمع إخواننا مسلمي الهند في مملكة واحدة ، وقد جعلوا الاسلام أساساً لحكمهم ، وسيرة السلف الصالح نيراً لحكومتهم ، وهذه الرسائل المفيدة تطبع باللغة الاردية ، وترجم بالانكليزية وبالعربية ، والأولى منها تبحث في نظرية الاسلام السياسية كما تقدم ، وهذه الثانية تشرح العمل الذي تشكل منه الحكومة الاسلامية ، ومن مباحثها : الارتقاء الطبيعي لنظام الحكومة ، الحكومة الفكرية ، الخلافة الالهية ، سبيل الانقلاب الاسلامي ، الأمانى المسولة ، منهاج المخصوص للحركة الاسلامية ، وتفيدنا هذه المباحث أن الحكومة الاسلامية مستقلة عن سائر الحكومات في العالم ، فلا هي بالشيوعية الملحدة ، ولا بالديموقراطية الجائرة ، ولا الارستقراطية الآثمة ، بل هي الجمهورية الاسلامية العادلة الفاضلة ، التي تقوم على أساس الأحكام القرآنية ، ودعامة السيرة المحمدية ، وقد حقق فيها أن الانقلاب الاسلامي العام ، لا تثمر شجرة ، ولا تؤتي أكلها ، الا اذا قامت حركة عمومية على هذا الاساس ، تقوم هذه الحركة العمومية Mass Movement وتنهض وتقوى حتى تغير بجهادها المستمر العنيف أسس الجاهلية الفكرية والخلقية والنفسية والثقافية السائدة في الحياة الاجتماعية ، وتأتي بنيانها من القواعد ، وهذا مصداق ما جاء به التنزيل : « إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا بَقِيُوا حَتَّى يَغْيُرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ » وإليكم نبذة مما جاء في أواخر هذا « منهاج » ص ٥٩ : وإن كان لك علم بتاريخ الثورات في العالم . اضطرت الى الاعتراف بأن هذا الانقلاب (اي الاسلامي) الذي ما أرى فيه . الدم إلا تجلة للقسم ، ما أجدره أن يسمى انقلاباً سلمياً Bloodless Revolution .

ثم لم يتغير بهذا الانقلاب طراز نظم المملكة فحسب ، بل الحقيقة أنه قد بدلت بهذا الانقلاب العقليات ، وجهات الأنظار ، ومناهج التفكير ، وتغيرت طرق المعيشة والأخلاق والعادات تغيراً تاماً ، وبالجمله فقد اقلبت الأرض ، أرض العرب ظهراً لبطن ، وتحولت الأمة بأسرها تحولاً تاماً (وقد ضرب الأمثال من العرب المسلمين وفيهم لهذا التحول العظيم) وقال : ونبغ فيهم ولالة وأمرأه ما كانوا يسكنون في قصور الحكومة *Gouvernement houses* بل يعيشون بين الرعية في مثل بيوتهم ، وكانوا يمشون في الأسواق على أرجلهم ، ولم يكن لهم حرس على أبوابهم ، ثم أورد لهم المثل العاليه في في القضاء العادل ، والسياسة الحريه ، والقيادة العسكرية ، والسفارة العربية ، (ثم قال) : رأيتك تحسب أنه كان من الممكن حدوث مثل هذا الانقلاب العظيم في الخلق الاجتماعي ، والعقلية الجماعية بالحرب وحدها ؟ وما هي ذي صفحات التاريخ ماثلة بين عينيك فهل تجد فيها من نظير لحدوث مثل هذا التحول المدهش المعجز في المجتمع الإنساني بفضل السيوف ؟ اهـ .

هذا ولعل الله يهدي الغرب يمثل هذه الكتب التي تترجم الى الانكليزية فيخفف من غلوائه ، ويخفف من كبريائه ، ويستنير بنور الاسلام وضيائه ، فيستريح ويرجع العالم من هذا الديجور الذي يتخبط فيه ، وما ذلك على الله بعزيز .

م . ب . ب

م . ب . ب

الدين القيم

تأليف الأستاذ المودودي : معرب عن الاردية

سلسلة مطبوعات دار العروبة رقم (٣)

هذه الرسالة تبحث في الدين العام ، الذي هو دين الفطرة الانسانية « فأفهم وجهك للدين حقيقاً ، فطرة الله التي فطر الناس عليها » « ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه » . وقد أورد الأستاذ المودودي ما نصت عليه معاجم اللغة لابن صفار الدين وردت الى أربعة : (الملك والسلطان والحكم والعلية) (٢) الطاعة

والذل والعبودية (٣) الجزء والمكافأة والحساب (٤) الطريقة والمنهج . واختار هو الرابع وعرفه بأنه المنهاج للحياة ، أو الطراز المخصوص للتفكير والعمل الذي يتبع ويحتذى على مثاله ، وعرف الاسلام بأنه هو المنهاج الوحيد الحقيقي الصحيح للحياة البشرية ، والطراز المخصوص للتفكير والعمل في هذه الحياة الدنيا وكلا التعريفين تفسير اجتماعي للدين والاسلام ، وجاء في هذه الرسالة أن المؤلف قد أنكر على مندوب تركيا الجديدة الذي زار الهند منذ بضعة أعوام ، وقال في تصريح عام مامعناه : «إننا في تركيا الجديدة قد فرقنا بين الدين ونظم الحكم والاجتماع تفريقاً تاماً !! فرد الأستاذ المودودي في هذه المحاضرة التي ألقاها في تلك الأيام أمام جمع حافل بالمتقنين الجدد ، وخريجي الجامعات المصرية ، وقال : ولكن الذي أراه وأجزم به بعد ما عكفت على دراسة الكتاب العزيز عكوفاً ، وسهرت غور معانيه ومبانيه زمناً غير قليل ، ووقفت على مثاله ومثاليه وقفة التأمل المستبصر ، ان القرآن لم يستعمل كلمة الدين في معنى ضيق محدود ، رغم ما يريد المفسرون المتجددون وتريد أهواؤهم ، وإنما يريد القرآن بالدين منهاج التفكير ، والعمل الشامل للحياة البشرية جمعاء ، لا فرق في ذلك بين زمن وزمن ، وقطر دون قطر ، أقول به وأنا على بينة من الأمر ، ولا أخاف في ذلك ردَّ رادٍ ، ولا جحود متعنت .

أقول : ياليت رؤساءنا ومجالسنا الرسمية في هذا القطر السوري ، وفي فترة هذا العهد الاستقلالي ، ليتهم يعلمون أن كلمتي الدين والاسلام بهذا المعنى الاجتماعي العام ، يضمنان لنا حياة طيبة ، إذا وضع في دستورنا (دين الدولة الرسمي الاسلام) وإذا نكون وحدنا أنفسنا مع الحكومات العربية في الأقطار الشقيقة المجاورة ، والحكومات الاسلامية في ممالكها المتعددة .

هذا وإن رسالة « الدين القيم » تبلغ نحو خمسين صفحة ، فحث العرب والمسلمين على قراءة هذه الرسائل المفيدة ، والاستفادة من هذه النهضة الرشيدة ، ونرجو من حكوماتنا العربية أن تعتبر بأن الوحدة الشاملة التي تشدها ، قد سبقتنا إليها باكستان ، وبنت أساسها على تقوى من الله ورضوان .

م . ب . ب

دعوة المجد

شعر احمد مظهر العظيمة

رئيس تحرير التمدن الاسلامي وعضو لجنة التربية والتعليم

شعر الأمتاذ مظهر نفحة من نفحاته ، وصفحة مشرقة من تاريخ حياته ، يشف
عن سلامة ذوقه ، ونزاهة قصده ، وعفة لسانه ، وطهارة وجدانه ، وسمو روحه ،
وكرم عاطفته ، وقد فتح لديوانه خمسة أبواب من المفاخر والمآثر ، وبلغت أياته فيه
(١١٦٠) بيتاً ، تقرأها كلها فلا تجد في شيء منها ما ينأى عن تربيته الدينية ،
أو قصده السوي ، بل قد تضمن - كما قال مؤلفه - القصائد النبوية ، والشعر
الوطني والسيامي ، والشعر الاجتماعي ، وما بين الأبناء والاخوان ، وفي الوصف
والهواجس . ولجد العروبة والاسلام في نفس الشاعر هوى مقيم ، وحنين الى
عودته مذبذب ، وإن (دعوة المجد) عنوان لعقيدته ، وبرهان على جهاده خير أمته
وملته ، واقراً ان شئت وصفه لذلك المجد العظيم - الذي شغفه حبه - بقوله :

عريباً عالمياً مشرقاً ضم أهل الأرض من كل اللغات
واستظلوا بدماء ظمئت لدماء تبتغي رمي الحماة
فإذا ما غفلوا عن واجب غفل العز عن القوم الجناة
(دعوة المجد) تباركت فما أحوج الناس الى مجد الدعاة

وقد أدخل في شعره المعاني الحديثة ، ووصف بعض المحترعات العجيبة ، وبما
قاله في وصف المذيع :

أصبح العلم كأضغاث الرؤى فإذا صندوقه مأوى اللغات
تسمع الدنيا به مجمعة وهو يرويها لحوناً وعظمت
كل قطر يطصني أبناء ثم يزجنيها ويحدوها الرعاة
فإذا الأرض صعيد واحد حدثت عن حالها كل الرواة

نزهة حديقنا الأدب أدبه عن بنت الحان والألحان ، وعن الغواني الخرد
الحسان ، وماثر ما يغوي المستعدين من الشبان ويغريهم بالاحقاد أو الفساد ، فكان

في فرائده عظة بالغة لشعراء العلماء الذين لا يتورعون عن ذكر الصهباء ، فيصفونها ولا يعرفونها ، وكان لهم في مشاهد الكون ، وماتم على يد بنيه من بديع الصنعة والاختراع ، ما يغري ناشئة العصر بالجد والعمل ، ويعني مقلدي شعراء الجاهلية عن وصف الطال ، والوقوف « بسقط اللوى بين الدخول لغومل » .

وبعد فما دام موضوع هذا الديوان دينياً واجتماعياً فإننا نورد لمؤلفه الصديق الكريم ملاحظة دينية اجتماعية وهي أنه قد سمي ديوانه (دعوة المجد) وكتب في عبارة الإهداء « الى روح رسول الله ﷺ مؤسس مجد العروبة والاسلام » ثم إلى أرواح تلاميذه العظماء الفاتحين ، والعادلين الهادين والمعلمين » .

أقول : إن المجد العظيم الذي أسسوه ، والذي يرجي من خلفائهم في الأرض أن يحدوه ، لم يكن من أثر الروح وحدها ، فتسحق عليه التناء والدعاء وحدها ، بل هو من أثر الروح والجسم معاً ، فلو أهداه الى مؤسس مجد العروبة والاسلام عليه الصلاة والسلام ، ثم الى خلفائه الكرام ، (لا الى أرواحهم فحسب) لكان ذلك أتم وأعم ، ولشمل الخير الروح والجسم ، وهنا تأتي المسألة الدينية أيضاً ، وهي أن كثيراً من الناس يهبون ثواب أعمالهم الى (روح) من يرون لهم حقاً عليهم ، وهم يسألون ربهم لهم القرآن والرقصان ، مع العلم بأن التكريم والعذاب الأليم ، يقعان على الروح والجسم معاً في الدنيا والآخرة ، قرب الدارين واحد ، وخكمته فيهما واحدة ، وفي القرآن الكريم : « ولقد كرّمنا بني آدم » وهذا في الدنيا ، وقال في يوم الحساب « وإذا النفوس زوجت » أي قرنت بأجسادها ، لتجازى بأعمالها ، وفي الحديث الصحيح بيان أن الله تعالى يخلق الأجنة في الأرحام أولاً ، ثم يتفخ فيها الروح ، وقد أنشد بعض كبار القوم في هذا المعنى :

مدينت وما الفخر إلا بالجسم لأنها مولدة لأرواح ناهيك من فخر
هذا وإنا لشكر لهذا الأستاذ المجد ، ما يذله في خدمة أمته من وقت وجهه .

آراء وأنباء

مخطوطات مبررة

توفر معالي الأستاذ السيد خليل مردم بك خلال رحلته الأخيرة الى بريطانيا العظمى على استنساخ مجموعة من المخطوطات العربية يهتم لأحيائها المجمع العلمي العربي وما هي في خزائنه وفقاً على المؤلفين والناسخين .

من مكتبة المتحف البريطاني

تاريخ داريا لابن مهنا (٣٧) ورقة
تاريخ ابن عساكر اربعة أجزاء مقروءة على المؤلف وعليها خطه (١٠٦) ورقة
أربعة مجلدات من العبر وتاريخ الاسلام للذهبي (٢٤٧) ورقة
ثلاثة مجلدات من مرآة الزمان لسبط ابن الجوزي (٢٤٥) ورقة
مجلد من المحكم لابن سيده (٢٩٢) ورقة
قطب السرور لأبي اسحق النديم (٢٤٨) ورقة
ديوان البيهقي (١٩٠) ورقة

من مكتبة كامبردج

الأول من فاكهة المجالس وفكاهة المجالس من تاريخ دمشق لابن عساكر
اختيار احمد بن عبد الدائم المقدسي الكاتب (٢٣٤) ورقة (نسخة قديمة صحيحة
لعلها بخط المؤلف) .

الجزء التاسع من تاريخ الاسلام للذهبي يتدّى سنة ٥٣١ وينتهي سنة ٥٨٠ (٣٥٠) ورقة (نسخة قديمة في آخرها خط ابن حجر العسقلاني)
الجزء الحادي عشر منه يتدّى سنة ٦٢١ وينتهي سنة ٦٦٠ (٣٢٩) ورقة
الجزء الثاني عشر منه = = ٦٦١ = = ٧٠٠ (٢٦٠) ورقة
كتاب العبر للذهبي وذيله لمحمد بن حمزة الحسيني يتدّى بالسنة الأولى من
الهجرة وينتهي سنة ٧٦٤ (نسخة قديمة صحيحة)

من مكتبة اكسفورد

الجزء الخامس من الرافعي بالوفيات للصفدي أوله آدم بن عبد العزيز وآخره
احمد بن سعيد (١٦٩) ورقة (مخروم الأول)
الجزء السادس منه أوله احمد بن سلام وآخره احمد بن محمد (١٥٠) ورقة
الجزء الحادي عشر منه = الحسن بن علي = حيان (١٥٨) =
الجزء الثالث عشر منه = زياد = سنقر شاه (١٧٧) =
الجزء الرابع عشر منه = سهل بن عبد الله = عباد (١٤٦) =
الجزء الخامس عشر منه = عبادة = عبد الله (١٤٣) =
الجزء الأول من مسالك الأبصار لابن فضل الله العمري (١٩٤) =
الجزء الثالث من البرق الشامي للعماد الكاتب (١٤٧) =
الجزء الخامس = = = = (١٤١) =
جزء من الخريدة للعماد الكاتب (غير مرقم)



المصطلحات السياسية

كان معتمد « دار العربية » في الباكستان قد أرسل الى مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق قائمة ببعض المصطلحات السياسية ، مما وردت في منشورات هذه الدار ، ورغب في ابداء الرأي فيها ، وتلبية هذه الرغبة أرسل الى مجلتكم ما أراه صالحاً لإدخاله عليها :

المصطلح الانكليزي	الترجمة الفنية له	الاستعمال الوارد في النشرة
Authoritarian	حكم ذو سلطة	الاستبدادية
Blocks	الكتل	الدوائر
Candidature	ترشيح	الترشح
Capitalists	الرأسماليون	الماليون
Central authority	السلطة المركزية	الزعامة المركزية
Charter	صك . شرعة ^(١)	المشور العام
Domination	السيطرة	الوهية
Economic policy	السياسة الاقتصادية	النظم الاقتصادية
Executive	السلطة التنفيذية	الهيئة التنفيذية
Intellectual leadership	الزعامة الفكرية	سلطان السمو الفكري
Jurisdiction	حق الحكم . ولاية القضاء	السلطان
limited popular sovereignty	السيادة الشعبية المقيدة	سلطان منحصر في دائرة محدودة
Mass movement	حركة الجماهير	الحركة العمومية
National guards	الحرس القومي	الحامية
(Garrison)	الحامية	—

(١) راجع كتاب « المصطلحات الدبلوماسية » لأمون الحوي ، دمشق ١٩٤٩ ، ص ٣٧

المصطلح الانكليزي	الترجمة الفنية له	الاستعمال الوارد في النشرة
Opportunist	انتهازي	الذي لا غاية له
Popular sovereignty	السيادة الشعبية	سلطان للجمهور
Powers	تفويض • سلطة	الحقوق
Realism	المذهب الواقعي	الشمور بالحقيقة
Reconstruction	اعادة الانشاء (الانشاء من جديد)	التشكيل الجديد
Regulations	الأنظمة - اللوائح (في مصر)	القوانين الفرعية
Social status	الوضع الاجتماعي	مكانة الرجل في المجتمع
Sovereignty	السيادة	الحاكمية
State	الدولة	المملكة
Totalitarian government	الحكومة المطلقة	المهيمنة

المكتور مأمون الحموي

النهضة العربية في العصر الحديث

— حقائق تاريخية عنها —

— ٢ —

تابع المبحث الأول

سنة ١٨٤٤ (١٢٦٠ هـ)

- ٤٣ — الدرر القوال في معالجة امراض الأطفال
- ٤٤ — كنوز الصعة وبواقيت المنحة
- ٤٥ — الجواهر السنية في الأعمال الكيماوية في ثلاثة أجزاء
- ٤٦ — بهجة الرؤساء في أمراض النساء
- ٤٧ — مشكاة اللائذين في علم الأقرباذين
- ٤٨ — القانون الرياضي في تحطيط الأراضي

سنة ١٨٤٥ (١٢٦١ هـ)

- ٤٩ — نزهة الاقبال في مداواة الأطفال
- ٥٠ — كتاب التقيح الوحيد في التشريح الجديد
- ٥١ — اللآلي البهية في الهندسة الوصفية

سنة ١٨٤٦ (١٢٦٢ هـ)

- ٥٢ — غرر النجاح في أعمال الجراح في جزئين
- ٥٣ — قانون الصحة البيطرية

سنة ١٨٤٧ (١٢٦٣ هـ)

- ٥٤ — غاية المرام في الأدوية والسقام
- ٥٥ — الروضة البهية في مداواة الأمراض الجلدية في جزئين
- ٥٦ — نخبة الأمثال في علاج تشوهات المفاصل
- ٥٧ — الهندسة الوصفية في مجلدين

سنة ١٨٤٨ (١٢٦٤ هـ)

٥٨ - التنوير في قواعد التحضير

٥٩ - جامع الثمرات في حساب المثلثات

٦٠ - تحريك السوائل

هذا بعض المجهود المصري في خدمة العلم واللغة العربية خلال بضع عشرة سنة ، اي منذ ان بدأت غراس محمد علي تنثر حتى انتهى حكمه ، ومن المعلوم انه توفي قبل ان تفتح الكلية الاميركية ابوابها باكثر من خمس عشرة سنة ، وقبل ان تكون في تاريخ العلم في لبنان كلية يسوعية بما يزيد على ربع قرن ، ولم يقل احد من العلماء ، حتى ولا احد ممن يدعون العلم ، بان الكتب العلمية قد طبعت او ألقت في لبنان قبل وجود الكليتين المذكورتين ، كل هذا مما يؤيد كلام الأستاذ الرئيس من ان الكتب العربية التي طبعت في مصر ظلت تتناقلها الأيدي سنين عديدة ، قبل ان يكون في لبنان من الكتب سوى الكتب الدينية التي نشرها الرهبان والمبشرون في سبيل خدمة العقائد النصرانية .

ومن الطرائف العجيبة ان الأب فاخوري الذي ضاق صدره عن تحمل قول الأستاذ الرئيس من ان « ابن لبنان لم يكن قد وصل الى اكثر من السواحية » يوم كانت المدارس التي فتحها محمد علي تؤدي رسالتها في نشر العلم والثقافة ، حتى انه عد هذا الكلام « من وحي الوهم » ، والعاطفة الهاشمية » ، اتخذ كلام الرحالة الفرنسي « ثولني » الذي زار مصر في اواخر القرن الثامن عشر ، حجة على « ان الجهل كان ضارباً اطنابه فيها على العقول المتخدرة » قال ثولني : « الجهل عام في هذه البلاد . . . وهو يتناول كل الطبقات ويتجلى في كل العوامل الأدبية والطبيعية وفي الفنون الجميلة . حتى الصنائع اليدوية فانها في أبسط احوالها . ويندر ان تجد في القاهرة من يصلح الساعة ، واذا وجد فهو افرنجي . اما الصياغة فأصحابها فيها اكثر مما في ازмир وحلب ولكنهم جهلاء . . . اما العلم فوجود مدرسة الأزهر فيها جعلها مرجع الطلاب في الشرق الاسلامي » .

ونحن لسنا ندري اي نحر لمسيحي لبناني - كالأب فاخوري - اراد ان يثبت ان ابن لبنان « قد وصل الى اكثر من السواحية قبل ان تفتح مصر عينها للنور » على حد تعبيره ، فنقل كلاماً لرحالة فرنسي يصف فيه مصر قبل عهد محمد علي ، وتعهد عند النقل اخفاء شطر ما قاله الرحالة المذكور عن قارئه ، لأن فيه الدليل الكافي لهدم كل ما بناه الأب في سبيل الدفاع عن « ابن لبنان » وقلني يقول : « ان الجهل سائد في سوريا كما في مصر وتركيا . وقد انتقد بعضهم هذه الحالة عبثاً ولم يأت الكلام عن انشاء الكليات ونشر التعليم والتهديب بثر . لأن هذه الألفاظ لما عندهم معان غير ما تفهمه نحن منها . انقضى عصر الخلفاء وليس من العرب او الأتراك الآن علماء في الرياضيات او الفلك او الموسيقى او الطب . ويندر فيهم من يحسن الفصادة ، واذا احتاجوا الى الكي استخدموا له النار ، واذا عثروا بمتطبيب افرنجي عدوه من آلهة الطب . واما علم النجوم فقد صار عندهم للنجامة واستطلاع الطوالع » .

وكان قولني لم يكتف بهذا القدر من وصف الحالة في سورية يوم زارها ، ومن الواضح ان لفظة « سورية » تشمل لبنان يوم كانت لفظة « لبنان » لا تذكر للدلالة على ما تدل عليه اليوم ، بل انه عمد الى حقيقة مرة ، كلها غمز من « آباء النهضة » الذي يحمل الأب فاخوري المشاعل الخافت نورها ، ليدل على فضلهم على « البلاد العربية » قال قولني تحفة كلامه السابق : « . . وفي دير مار يوحنا « بالشویر » طائفة من الرهبان لم اتصال برومية ، ولا يقلون جهلاً عن سواهم . في العلوم العصرية طبعاً لا في تأليف الكتب التبشيرية وطبع السواحيات - واذا قيل لم ان الأرض تدور عدواً قوله كفراً لأنه يخالف الكتاب المقدس ^(١) » .

* * *

المبحث الثاني

العوامل المختلفة للنهضة بين مصر ولبنان

احتكاك الشرق بالغرب

لم يكشف الأب فاخوري بالدفاع عن آراء الكاتب الفرنسي الذي كتب عن بلاد العرب بقلم رجل من رجال السياسة الاستعمارية ، لا بقلم المؤرخ ، بل عمد الى هجوم لم يتخذ له العدة التي تؤيده ، ودون ان يحمي نفسه من سلاح الوقائع التاريخية والحقائق الثابتة والأرقام الناطقة ، فجاء رده متهاقاً متكلفاً فيه ، فهو يؤكد مثلاً : « ان النهضة العربية الأخيرة لم تقم حقيقة الا باحتكاك الشرق بالغرب » وهذا كلام فيه كثير من الحق ، ولكن اذا قلنا وقال المؤرخون : ان مصر هي التي بذرت بذور النهضة الحديثة في العالم العربي لا نصارى لبنان ، فلا يكون في هذا القول انتقاص من قيمة احتكاك الشرق بالغرب ، وقد رأينا بما ذكرنا من وقائع كيف احتك الشرق بالغرب في مصر بفعل نابوليون ومحمد علي من بعده ، فاشتعلت نهضة الأمة العربية بعامل الشرارة التي نشأت عن ذلك الاحتكاك . أما الأب فاخوري فانه لا يؤمن بهذه الحقائق ويدعي ان الاحتكاك وقع في لبنان وهو يقول : « ولا عجب في ذلك ، فتاريخ لبنان كله شاهد بانفتاحه على الشعوب المتقدمة للافادة والاستفادة ، من غير أن يفقد كيانه وذاتيته ، فقد اتصل لبنان بمدينة الغرب منذ عهد الصليبيين » والغريب ان الأب فاخوري ناقض نفسه بنفسه ، اذ استشهد في تأييد رأيه بكلام العلامة احمد امين جاء فيه : « لقد أغلق الشرق على نفسه من القرن الثالث عشر الميلادي الى نهاية القرن الثامن عشر تقريباً ، فلم يتصل بالغرب الا اتصالاً عدائياً حريماً في الحروب الصليبية ، أو اتصالاً تجارياً ضعيفاً ، أما اتصالاً ثقافياً فلا (١) » . وكأنه باستشهاده هذا يريد ان يخرج لبنان ، بالرغم منه ، من الشرق الذي ظل محتفظاً بشرقية ،

(١) قصة الادب في العالم ج ٢ ص ٤٦٠

رغم الحروب الصليبية ورغم أحداث الزمن ، ونحن لا نقصد بقولنا هذا نفي كل اتصال ثقافي بين الشرق والغرب قبل عصر محمد علي ، لأن اتصال بعض الأفراد قد حدث فعلاً ، ولكنهم أفراد معدودون ، واحتكاك الأفراد ما كان ليثمر نهضة أمة ، كما حدثت ، لو لا احتكاك الدولة نفسها ، وما قال احد ، ولن يقول ، ان دولة عربية حديثة احتكت بالغرب قبل أن تحتك به دولة محمد علي المصرية . حتى ان الأب لويس شيخو اليسوعي ، وهو كبير المؤرخين النصارى في العصر الحديث ، يزعم ان اشتغال المصريين بتعريب الكتب الأوروبية سبب خمولاً في النهضة الأدبية ، اذ يقول : « وكانت مصر بعد تقدمها على الشام في النهضة الأدبية أصابها بعض الخمول ، رغمًا عن انتشار العلوم الحديثة في مدارسها ، ووفرة مطبوعاتها العربية ومهمة خدوئها محمد علي باشا ووزير معارفها الهام علي باشا مبارك ، ولعل سبب هذا الخمول انما كان انصراف اهلها الى العلوم الأجنبية ، فكان شيوخها ساعين في نقل التآليف الأوروبية الى العربية ، فيدرسونها في مدارسهم ، فيشغلهم الأمر عن الاهتمام بالآداب العربية ^(١) » .

التعريب والمربوت

عندما أضاف الأستاذ الرئيس في مقاله تعريب الكتب العلمية الى : « المصريين الذين تعلموا في أوروبا على عهد حكومة محمد علي » حاول الأب فاخوري الرد على هذا أيضاً واستشهد بكلام لجرجي زيدان جاء فيه : « لم يصبر محمد علي ربثاً يتخرج الترجمة من الارشاليات الأوروبية او في المدارس المصرية فاستخدم بعض التزلة من السوريين او المغاربة أولاً . ثم يتخرج المترجمون في المدارس ولا سيما مدرسة الألسن الخاصة بهذا الغرض ^(٢) » . وهذا كلام مقبول ويرضي الرجل النصف ، ولا ينقص من الحقيقة التي ذكرها الأستاذ الرئيس ، ولكن الأب فاخوري عودنا

(١) الآداب العربية في القرن التاسع عشر ج ٢ / ص ٧١ .

(٢) تاريخ آداب اللغة العربية ١٠٨/٤

ألا يستشهد بأقوال المؤرخين الا نافسة ، ولو قلها كاملة لكفته للاقلاع عن « غلوه » في الانتقاص من قيمة جهود المصريين من أجل النهضة العربية ، وذلك من أجل اضافة فخر للبنانيين لا تستوجب أعمالهم إلا بعضه ، فخرجي زبدان يقول في صدر كلامه المتقدم عن ما سماه بالعلوم السخيلة وسماه الأستاذ الرئيس في مقاله بالعلوم المادية ما يلي : « وأهمها كلها الطب والطبيعات والرياضيات . وأكثرها نقل للتعليم في المدارس الكبرى بمصر والشام . ومصر أسبق الى هذه المنقبة على يد محمد علي . وأكثر المشتغلين في ذلك من أبناء الارسالية الأولى وتلاميذ مدرسة الطب في النصف الأول من القرن التاسع عشر واشترك معهم بعض المترجمين السوريين وغيرهم وأكثر منقولاتهم عن الفرنسية والاطالية ^(١) » .

إن هذا الاعتدال في القول لا يرضي الأب فاخوري ، الا اذا فهم قارئه ان أكثر ما طبع في مصر من كتب العلوم المختلفة كان فضل تعريبه للنصارى اللبنانيين ولسواهم من غير المصريين - على حد تعبيره - وهو يقول : « ومن أشهر هؤلاء يوحنا عنخوري ، واول كتاب طبي طبع في العربية من ترجمات هذه النهضة كان تأليف كلوت بك وترجمه يوحنا عنخوري ، وهو كتاب القول الصريح ، ويوسف فرعون له بضع عشرة ترجمة ، واوغسطين سكاكيني ... »

ونحن نحب أن نورد هنا شيئاً عن التعريب والمربين ، لاشك ان الأب فاخوري قد قرأه ، واشياء أخرى لعله لم يطلع عليها ، فاقد ذكر جرجي زبدان اسماء المربين من غير المصريين فاذا بهم ستة أشخاص فقط وهم « عنخوري ، فرعون ، سكاكيني ، يعقوب ، فيدال ، لاز » ؛ ولنا ندري كيف يريد الأب فاخوري ان يجعل من الثلاثة الأول اصحاب الفضل العريض على العالم وحتى على النهضة العربية بامرهما ، وتراجهم وما ادوه من خدمات مأجورة تتلخص بما يلي :

١ - يوحنا عنخوري - ينت عنخوري معروف بمصر والشام ^(٢) . كان يوحنا ضعيفاً باللغة الفرنسية ومتمكناً من الايطالية ^(٣) . شهد له « كلوت » بالدأب

(١) تاريخ آداب اللغة العربية ١٨٤/٤ (٢) و (٣) تاريخ آداب اللغة العربية ١٩٠/٤

والإخلاص في العمل^(١) . وأول كتاب طبي طبع في العربية كان من تأليف كلوت وترجمة يوحنا وحرره له محمد الهراوي^(٢) . ثم ترجم كتاباً آخر في علم شفاء الأمراض من تأليف يروسيه وسانسون كان بالفرنسية فنقل الى الإيطالية ليتمكن من تعريبه ، وقد صححه له محمد الهراوي وهو احد تلامذة الأزهر^(٣) الذين حصلوا على لقب « دكتور في الطب » من فرنسا^(٤) .

٢ - يوسف فرعون - آل فرعون اسرة معروفة هاجر بعضها الى مصر منذ قرن ونصف^(٥) ومنهم يوسف له احدى عشرة معربة في الطب البيطري والعقاقير^(٦) .

٣ - اوغسطين سكا كيني - ولعله من بيت السكا كيني المعروفين في مصر^(٧) وقد نقل كتاباً في الطب لكتوت حرره له الشيخ الهراوي الأزهرى^(٨) .

ان ذكر هذه الاخلاصات ، كما نجد ، أقوى رد على الأب فاخوري ، يجعل أثر هؤلاء الثلاثة أهون من ان يشار اليه في تاريخ النهضة الحديثة ، حتى ولو غضفنا الطرف عن ضعف الأول باللغتين العربية والفرنسية ، ومع فني التخصر عن الثاني وأهله ، ومع عدم الشك مطلقاً في نسبة الثالث الى لبنان . على أنه من حق التاريخ ان ندون هنا ما رافق التعريب الذي امر به محمد علي من عناية لولاها لما تم على شكل يرضي العلم والعلماء ، يقول جرجي زيدان : « ولما اراد محمد علي نقل العلوم الحديثة الى العربية كان اكثر النقلة لا عناية لم في اللغة العربية ، واكثر علماء اللغة لا معرفة لم باللغات الأجنبية^(٩) » وهذه الحقيقة كانت أهم عثرة في سبيل النتائج التي توخاها محمد علي من فتح المدارس واستحضار الأساتذة ، ونقل العلوم من اللغات الأجنبية ، وخصوصاً وقد كانت النتائج الأولى لامتحانات مدرسة الطب غير مرضية ، فاعترف مديرها الفرنسي « بان السبب

(١) تاريخ التعليم في عصر محمد علي ص ٢٥٨ (٢) و (٣) تاريخ آداب اللغة العربية ٢٠٥/٤

(٤) تاريخ التعليم في عصر محمد علي (٥) و (٦) تاريخ آداب اللغة العربية ١٩٠/٤

(٧) تاريخ آداب اللغة العربية ١٩٠/٤ وقد وضع مؤلف كتاب التعليم بيد اسم اوغسطين

بين قوسين (من مرسيليا) ص ٢٥٨

(٨) تاريخ آداب اللغة العربية ١٩١/٤ (٩) تاريخ آداب اللغة العربية ٢٠٤/٤

الوحيد لتأخر طلابه هو ان دروس الأساتذة الأجانب غير الملمين باللغة العربية او اللغة التركية كان يترجمها للطلبة مترجمون لا يعلمون شيئاً عن معناها فلا يستطيعون شرحها للطلبة^(١)؛ ولكن محمد علي استطاع بثاقب تفكيره ملافاة هذا النقص فكان اول ما صنعه ان عين « طائفة من علماء الأزهر الحاذقين اللغة العربية والمعرفين بالاطلاع والقدرة على البحث » وهم « المصححون » الذين قاموا على الكشف عن المصطلحات العربية القديمة واحياها من جهة ، واصلاح الدروس ثم الكتب العربية من الوجهة اللغوية والبيانبة من جهة أخرى^(٢) . ولا شك ، كما يقول الأستاذ احمد عزت عبد الكريم^(٣) : « ان هؤلاء المصححين ، بما اتبع لهم من الاطلاع على المؤلفات العربية قد أمدوا المترجمين بعظيم المعاونة في اختيار الألفاظ العربية التي تقابل المصطلحات الطبية الأجنبية ، أما المصطلحات التي لم يجدوا لها مرادفاً عربياً فقد وضعوا لها مصطلحات جديدة مشتقة من الألفاظ الأجنبية » ومن هؤلاء الرجال مجتهدون تكمونت (أكاديمية) تكفل أمانة الترجمة وصحتها^(٤) ، وأصبح للطب في خمس سنين معجم تزيد كلماته على ستة آلاف كلمة . من هذا نتبين لنا قيمة جهود المترجمين اللبنانيين من ناحية أثرهم في النهضة العربية ، ونستطيع تقدير جهودهم من الناحية العلمية بالنسبة الى غيرهم اذا ذكرنا الحقائق التالية :

أولاً - الكتب العربية التي ألفها الأساتذة الأجانب :

- ١ - الف الدكتور كلوت مدير المدرسة الطبية اثني عشر كتاباً طبعت كلها باللغة العربية ، عرب ستة منها مصريون مسلمون ومن تلامذة الأزهر القدماء ، وعرب اثنين يوحنا عنخوري ، وواحداً عربيه اوغسطين سكاكيني ، والثلاثة الباقية لم يذكر اسم عربيها .

(١) تاريخ التعليم في عصر محمد علي ص ٢٦١

(٢) و (٣) تاريخ التعليم في عصر محمد علي ص ٢٦٣ و ٢٥٨

(٤) عن مذكرات الدكتور كلوت

- ٢ - الف الدكتور برون ، بعد ان اتقن العربية ، كتابين مهمين في الطبيعة والكيمياء صححها له أحد تلامذة الأزهر .
- ٣ - الف الدكتور برنار معلم فن الصحة كتابا طبع بالعربية ولم يذكر اسم معربه .
- ٤ - الف الدكتور فيجيري كتابا في علم النبات عربيه ونقحه اثنان من تلامذة الأزهر .
- ثانياً - الكتب التي ألفها أو ترجمها المصريون :
- ١ - - عرب الدكتور ابراهيم النبراوي المتوفى سنة ١٨٦٢ وهو من تلامذة الأزهر ثلاثة كتب طبية .
- ٢ - عرب وألف الدكتور احمد حسن الرشيدي المتوفى سنة ١٨٦٥ وهو من تلامذة الأزهر تسعة كتب .
- ٣ - الف الدكتور محمد علي البقلي المتوفى سنة ١٨٧٦ او كان من تلامذة الأزهر اربعة كتب طبية ، وهو أول من أصدر مجلة طبية باللغة العربية ^(١) .
- ٤ - عرب الدكتور محمد الشافعي كتاباً للدكتور كفوت كمال الف موسوعتين طبيتين .
- ٥ - عرب الدكتور محمد الشباسي معلم التشريح الخاص كتابا وألف آخر .
- ٦ - عرب الدكتور عيسى النحراوي معلم التشريح العام كتاب التشريح العام .
- ٧ - الف الدكتور حسن غانم معلم الصيدلة ومن قدماء تلامذة الأزهر كتابا وصحح آخر .
- ٨ - عرب محمد عبد الفتاح كتابين طبيين وواحداً في الطب البيطري وآخر في الصيدلة .
- ٩ - عرب الدكتور علي هبة كتابين .
- أولئك هم المؤلفون الأجانب ، وهؤلاء هم العربون من المصريين ، وهم من أعضاء البعثة الأولى وقد طبعت كتبهم في عهد محمد علي ، وهناك مصريون كثيرون اشتهروا بالكتب التي ألفوها او عربوها في عصر اسماعيل لا نرى مجالاً للكلام عنها ، لأننا نبحث فقط عن عصر النهضة الأولى ، يوم كان لبنان معدماً من

(١) تاريخ آداب اللغة العربية ١٥/٤

المدارس العالية ، واكثر اساتذة ما فيه من المدارس كنهة ، ان الفوا فلا تخرج
تأليفهم عن أبحاث الدين وغايات التبشير .
لعل بعد هذا الذي أثبتناه من وقائع ، وذكرناه من أرقام سنين ، وتقلناه من
أقوال ، او في بعضه ما يكفي لتفي مازعمه الأب فاخوري من انه : « عندما أخذ
المصريون يؤلفون ويترجمون كان في لبنان علماء يؤلفون ويترجمون من العلوم
ما كان له الأثر الكبير في البلاد ، فقد انتشرت اذ ذاك مؤلفات الدكتور
كرنيليوس فاندريك في الطب والرياضيات والفلك واللغة ، ومؤلفات الدكتور يوحنا
ورتيبات ، ومؤلفات الدكتور جورج بوسط في الطب والتاريخ الطبيعي وما الى ذلك .
وفتح الكلية الأمريكية أبواب العلم واسعة ، ثم أنشئت الجامعة اليسوعية ،
فكان في بيروت العاصمة اللبنانية جامعتان لما أثرهما في العالم العلمي والثقافي ،
ولم يتح لمصر ان تقترب من ذلك الرقي الا في زمن غير بعيد منا » كذا !!
هذا ما جرؤ الأب فاخوري على قوله ، وفيه ما فيه من مخالفة للحقائق والأرقام ،
واندفاع وراء الخيال والأهام ، اما ما أشار اليه من مؤلفات الدكتور فاندريك
المولندي الأصل ، والدكتور ورتبات الأرمني الارومة ، والدكتور بوسط الاميركي
الجنسية ، فلعله لا يكتف غيظه اذا قلنا له بان الكتب العلمية التي ألفها المصريون
أو عربوها كانت قد طبعت في مصر وانتشرت في البلاد العربية في زمن لم يكن
ولا واحد من هؤلاء الثلاثة قد درس الطب بعد ، بل ان اثنين منهما لم تكن
أقدامها قد وطئت أرض لبنان ، وثالثها حتما لم يكن قد رأى نور الشمس بعينه ^(١) .
وقد يكون من المفيد أن نختم هذا البحث عن التعريب والتصحيح وفضل المعربين

(١) ولد الدكتور فاندريك سنة ١٨١٨ وبعد دراسته الطب في البلاد الاميركية أرسل مبشراً دينياً
الى سورية ، فوصل ميناء بيروت في ٢ نيسان ١٨٤٠ ، والدكتور ورتبات ولد سنة ١٨٢٧
واشتغل مبشراً في سورية ثم غادرها الى انكلترا لدراسة الطب فلما عاد طلياً عين أستاذاً في
الكلية الاميركية وكانت في أوائل عهدها . أما الدكتور بوسط فقد ولد سنة ١٨٨٣ ودرس
الطب واللاهوت في امريكا ثم أرسل الى سورية للتبشير والتطبيب وقد وصلها سنة ١٨٦٣
راجع تراجم هؤلاء في كتاب تراجم مشاهير الشرق لجرجي زيدان ج ٢ : مصر ١٩٣٢ .

والمصححين ، وأثرهم في النهضة العربية ، بنقل خلاصة مقدمة الشيخ محمد عمر التونسي
أحد علماء الأزهر المتوفى سنة ١٨٥٧ للمعجم الذي ألفه تحت اسم « الشذور
الذهبية في الألفاظ الطبية » قال :

« لما كثرت ترجمات الكتب الطبية رأيت أن أؤلف قاموساً جامعاً للمصطلحات ،
وكان كلوت بك قد أتى بكتاب فرنساوي في المصطلحات الطبية والعلمية ،
وأوعز إلى مهرة المعلمين ترجمته وهم : إبراهيم النبراوي معلم الجراحة الكبرى ،
ومحمد علي البقلي معلم الجراحة الصغرى ، ومحمد الشافعي معلم الأمراض الباطنة ،
ومحمد الثبائي معلم التشريح الخاص ، وعيسوي النجراوي معلم التشريح العام ،
والسيد أحمد الرشيد معلم الأقرباذين والمادة الطبية ، ومصطفى السبكي معلم أمراض
العين ، وحسين علي معلم النبات ، فترجم كل منهم الجزء الذي أعطيه . فأوعز
إلي الدكتور يرون ناظر المدرسة أن آخذ من الكتاب كل لفظ يدل على مرض
أو عرض أو نبات أو معدن أو حيوان أو غير ذلك من الاصطلاحات . وإن
استخرج ما في القواميس من التعاريف . وما جاء في تذكرة داود وما في فقه اللغة
وغيره من المعاجم أو كتب اللغة . ففعلت ذلك وأضفت إليه أسماء العقاقير وأسماء
الأطباء المشهورين ورتبته على حروف المعجم ^(١) » .

الصحافة

بأني الأب فاخوري في رده على ذكر الصحافة ويقول : « أما الصحافة العربية
فلم تقم في الحقيقة إلا على أكتاف أبناء لبنان » مستشهداً بالمنشور « هارتمن »
وبما ذكره الاسكندري في « الوسيط » والزيات في « تاريخه » ، وهارتمن قد قال :
« إن من عوامل سرعة انتشار الصحافة في مصر قناطر السوريين إلى وادي النيل
في عهد اسماعيل وما بعده » والاسكندري يقول عن السوريين « أنهم أول من
قام بإنشائها بمصر بعد الوقائع ^(٢) » ولكنهم لم يتفردوا بها أكثر من عشر سنين »

(١) تاريخ آداب اللغة العربية ٢٠٧/٤

(٢) من الغريب المدهش أن الأب فاخوري لم يكن أميناً على هذا النص إذ حذف منه قوله « بعد »

الوقائع ووادي النيل » راجع الوسيط للاسكندري وعناي ص ٣٢٤ مصر ١٩٣٠

والزيات يذكر « ان الفضل في تقدم الصحافة ورفي التحرير انما كان للسوريين » .
ولسنا ندري لم كلف الاب فاخوري نفسه عنا الاستشهاد بمثل هذه الاقوال
الصادقة ، ولم يتعرض الاستاذ الرئيس في مقاله لذكر الصحافة ، ولم ينف احد
اشتغال السوريين بالصحافة المصرية ومشاركتهم المصريين في اعلاء شأنها ، وهم
قد هاجروا من بلادهم طلباً للحرية وقد وجدوها في مصر ، وطلباً للارتزاق وقد
توفر لهم في معاناة الصحافة ، وانه ليؤلمنا أن نشير - وقد أخرجنا الاب فاخوري
بكثرة غلوه - الى ما يتهاوس به المصريون ، على غياب منا معاشر السوريين ،
من أنهم كانوا يفضلون أن تبقى صحافتهم متأخرة عشر سنوات من أن يأنهم
من يرتقي بها على حساب حريتهم واستقلالهم .

نعم لم يكن من معنى للتفاخر بجهود نصارى السوريين في رفع مستوى الصحافة
في مصر ، وموضوع البحث الذي أثاره الكاتب الفرنسي انما يدور حول الأسبقية
الى النهضة او نشر بذورها لا على كيفية نموها وترعرعها ، وهذا المؤرخ جرجي
زبدان يقول : « اما الشرق العربي فالصحافة لم تظهر فيه الا بعد دخول القرن
التاسع عشر ، ومصر سبقت سواها فيها ^(١) » ، وبطرس البستاني يؤكد :
« وكانت مصر مهد الصحافة الأولى ^(٢) » لأنها عرفت الصحافة منذ حملة نابليون
سنة ١٧٩٨ - ١٨١٠ يوم أصدر الفرنسيون صحيفتين باللغة الفرنسية وثالثة باللغة
العربية اسمها « التنبيه » وكان يحررها السيد اسماعيل الخشاب ^(٣) . وحتى الأب
لويس شيخو اليسوعي يحترم هذه الحقيقة ويقول : « أما الصحافة العربية فنشأت
أولاً في مصر ^(٤) » .

ومن الثابت ان اول صحيفة عربية بالمعنى العام كانت « الوقائع المصرية »
التي أنشأها محمد علي سنة ١٨٢٨ ، وابتدأت صدورها باللغة التركية ولم تلبث أن

(١) تاريخ آداب اللغة العربية ج ٤ ص ٦٢ (٢) أدباء العرب بيروت ١٩٣٧

(٣) راجع تاريخ الطباعة والصحافة خلال الحملة الفرنسية لبراهيم عبيد مصر ١٩٤٠

(٤) الآداب العربية ص ٧٣ ج ١ بيروت ١٩٢٤

اصبحت عربية صرفة وكان من محرريها الشيخ حسن العطار الشهير^(١) . على ان الصحافة لم تحتل مكانتها اللائقة قبل عهد اسماعيل اذ بعد انقضاء عهد محمد علي « تحولت مهنة الصحافة في أثناء تلك الفترة الى سوريا ، فأخذت على عاتقها اتمام هذا العمل عن شقيقتها مصر . وقد رأيت أن نهضة سوريا العلمية كان العامل الأكبر فيها جماعة المبشرين الأجانب . ولذلك كانت أقدم الصحف عندم دينية . كما كانت أقدم الصحف المصرية رسمية أميرية لأن الحكومة هي التي قامت بنهضة هذا القطر^(٢) » .

وبذكر زيدان تاريخ الصحافة في مختلف البلاد العربية ، ويتكلم عن الصحف السياسية غير الحكومية ويقول : « ان جريدة مرآة الأحوال التي صدرت في الأستانة سنة ١٨٥٥ كانت أول جريدة عربية سياسية غير رسمية^(٣) » بينما لم يعرف لبنان الصحف قبل « جريدة حديقة الأخبار » التي أصدرها في بيروت خليل الخوري سنة ١٨٥٨ ، ولم تلبث أن أصبحت رسمية تنطق باسم الحكومة . وبعد هذا أخذ المشتغلون بالأدب والسياسة بإصدار الصحف لا في سورية بل في مختلف البلاد العربية ، على أن تاريخ الصحف السياسية والعلمية لا يبدأ في لبنان قبل سنة ١٨٧٠ ، اذ صدرت فيه « الزهرة » و « البشير » و « الجنة » و « النحلة » . ثم « ثمرات الفنون » و « لسان الحال » الخ ...

وما أن تولى اسماعيل الحكم في مصر ، وهو كما يصفه زيدان كان يرى « مارآه جده محمد علي من احياء آداب اللغة العربية والجامعة العربية ، فنشط الصحافة وقرب الأدباء والعلماء في سائر الأمصار العربية . فتقاطر السوريون في أيامه الى مصر ، وأخذوا بإنشاء الصحف في سورية وخارجها فسهل عليهم اسماعيل الاشتغال بها في مصر^(٤) » . ولقد أصدر المصريون في أيامه عدة صحف « كاليعسوب » سنة ١٨٦٥ وهي

(١) راجع تاريخ الوقائع المصرية لابراهيم عبده مصر ١٩٤٢

(٢) تاريخ آداب اللغة العربية ج ١ ص ٦٣ - راجع كتاب تاريخ الصحافة العربية لفيليب دي طرازي

(٣) و (٤) تاريخ آداب اللغة العربية ٦٤/٤ - ٦٦

أول مجلة طيبة صدرت باللغة العربية . ثم صدرت « وادي النيل » سنة ١٨٦٦ وهي صحيفة سياسية أدبية وعلمية . ثم صدرت « ترعة الأفكار » سنة ١٨٦٩ وهي سياسية اقتصادية . ثم مجلة « روضة المدارس » سنة ١٨٧٠ وهي علمية أدبية . ويقول زيدان تعليقاً على تولي اسماعيل الحكم في مصر ان السوريين « يعرفون مصر وخصيها ، وتوفر أسباب الرزق فيها فجاء اليها طائفة من الأدباء والشعراء والكتاب أشهرهم آل تقيلا وأديب اسحاق وسليم تقاش وغيرهم^(١) » فصدرت « الكوكب الشرقي » سنة ١٨٧٣ . ثم « الاهرام » سنة ١٨٧٦ . وصدرت « الغرسة » سنة ١٨٨٠ . ثم جاء زمن كان فيه أكثر ارباب الصحف في مصر من أولئك السوريين الذي تزحوا اليها واتخذوها وطناً ، فلما احتل الانكليز الديار المصرية سنة ١٨٨٢ أخذت الصحافة تدخل في طور جديد من القوة والانتشار ، مرتدية الطابع اليومي الاخباري ، وتزعمت الصحافة جريدتان من أمهات الصحف ، أولاهما « المقطم » اللبنانية النصرانية - على رأي الآب فاخوري - وقد ظهرت سنة ١٨٨٨ ، ثم تبعها صحيفة « المؤيد » الجريدة المصرية المسلحة ، وقد اشتد التنافس بين هاتين الصيغتين حتى انقضت الصحافة في مصر الى معسكرين^(٢) ، يصفها جرجي زيدان بقوله : « صارت أكثر الصحف اما مقطمية او مؤيدية - اما مع الاحتلال أو عليه - الا الاهرام فانها ثبتت على خطتها^(٣) » في التزام جانب فرنسا^(٤) .

الجمعيات

للجمعيات العلمية والأدبية شأن كبير في تاريخ العرب الحديث ، ومما لا شك فيه ان أول نور رآه العالم العربي ، عن طريق الجمعيات كان أياها الفرنسيين في مصر ، اذ أنشأ نابوليون في مصر مجمعاً علمياً مهنياً سنة ١٧٩٨ باسم « انستيتو ديجيت »

(١) تاريخ آداب اللغة العربية ٤/٦٤ - ٦٥

(٢) راجع ما كتبه بطرس البستاني عن الصحافة - أدباء العرب بيروت ١٩٣٧

(٣) و (٤) تاريخ آداب اللغة العربية ٤/٦٩ - ٧٠ راجع أيضاً كتاب بطرس البستاني المذكور

م (٢٠)

وبالرغم من ان لغة المجمع الرسمية كانت الفرنسية فقد نص قانونه على : « انه انما أنشيء خدمة مصر ونشر العلم والمدنية فيها » ولا أدل على صحة هذا القول من الوصف الذي دونه « الجبرتي » مؤرخ مصر عن ذلك المجمع اذ قال : « فيه جملة كبيرة من كتيبه عليها خزان ومباثرون يحفظونها ويحضر منها للطلبة » ومن يريد المراجعة فيراجعون فيها مرادهم . فاجتمع الطلبة منهم كل يوم قبل الظهر بساعتين ويجلسون في فحة المكان المقابلة لخازن المكتب على كرسي منصوبة موازية لتحتات عريضة مستطيلة فيطلب من يريد المراجعة ما يشاء . منها فيحضرها له الخازن فينصفهون ويراجعون ويكتبون حتى أسافلهم من الصاكر » .

ولئن كان خروج الفرنسيين من مصر قد أوقف هذا المجمع فان اعمال محمد علي في نشر الثقافة فاقت عمل مئات من الجامعات العلمية - فضلاً عن الجمعيات الادبية الفردية - على ان المصريين أحبوا هذا المجمع سنة ١٨٥٩ تحت اسم « مجلس المعارف المصري » وهذا طبعاً غير مجلس شوري المدارس الذي عهد اليه محمد علي سنة ١٨٣٦ بالإشراف على شؤون العلم في مصر والذي أصبح فيما بعد « المجلس العام لاعادة تنظيم المدارس » .

أسست في مصر جمعيات كثيرة ، كما كانت سورية موطناً لها ، ولكن ليس من يستطيع ان يقول كما قال الاب فاخوري من ان « لبنان سبق مصر الى الجمعيات - وان الجمعيات لم تظهر بمصر الا في النصف الثاني من القرن الماضي » من أجل الاستدلال على أن لبنان هو أبو النهضة العربية ؛ ولقد أتى الأب فاخوري على ذكر « الجمعية السورية » التي أنشأها المرسلون الاميركيون سنة ١٨٤٧ وادعى ان أول جمعية عربية في مصر انما كانت سنة ١٨٦٨ ، وقد يكون هذا صحيحاً ولنا شكر على الجمعية السورية خدمتها وشهرة أعضائها ، ولكن ما نظن أحداً يدعي بأنهم كانوا - آباء النهضة - وهم لم يكونوا إلا من رجالها الذين أندفعوا بقوة التيار الذي سرى في الجسم العربي منذ ايام محمد علي .

الجامع الأزهر

لا بد لنا اتماماً للبحث من حديث مقتضب عن «الجامع الأزهر» وأثره في النهضة العربية ، لأن الاب فاخوري قد أثار هذا الموضوع واستشهد بكلام نشرته مجلة الهلال سنة ١٩٠١ في وصف المدارس قبل عصر محمد علي جاء فيه : «وفي ما خلا مدرسة الأزهر كانت المدارس المصرية عبارة عن كتاتيب صغيرة أو نحوها لتعليم القراءة البسيطة ومبادئ النحو» وهو قد ذكر هذه الفقرة تمهيداً ليقول : «ولا احد يجهد ما كانت عليه مدرسة الأزهر في ذلك الوقت ، اذ كان التلميذ يذيب دماغه فيها وراء (زيد وعمرو) ليقف على محلها من الاعراب ...» وأتى بعد هذا بكلام للاستاذ انيس النعولي ثم اورد قطعة من كتاب «الايام» للدكتور طه حسين يصور فيها الأزهر وطريقة التدريس فيه ، ليخلص بعدئذ الى قوله : «ولم يكن من البيئة ما يساعد على النهوض ، فكان لا بد من نور غريب ينير الأذهان ويرفعها الى مستوى العصر» فجاء اللبنانيون - على رأيه - بالنور الذي هدى الامة العربية سبيل التقدم والنهوض .

ان كل نقد بوجه للأزهر وطرق التدريس فيه يقبل عندما يصدر عن مخلصين للأزهر يهتمون ان يروه قائماً بتأدية الرسالة التي أوثمن عليها من الف سنة على وجهها الأكمل ، أما قد الأزهر للوصول الى الخط من قيمته ونقي فضله على العرب والمسلمين . حتى في أحلك الأدوار التي مرت بهم ، فهو أمر لا يرضي المؤرخ المنصف ولا العالم الذي ينشد الحقائق الواقعة .

لقد مر على الأمة العربية حين من الدهر تكالب عليها المغيرون ، واستبد بالحكم فيها الأعاجم ، حتى تقهقرت فيها الحياة العلمية والثقافية ، تبعاً للأحوال السياسية ، تقهقراً مريعاً ، أفلت من يدها مشعل الثقافة والعلم ، وقد أوثمت عليه وأدت رسالتها على خير وجه ، ولكن هذا التأخر العلمي لا يعني ان الأمة العربية عثمت من الأفاذا ، فقد كانت بفضل الأزهر ، وغيره من المدارس الدينية ،

تجيب أعلاماً عاملين جامدوا، جهاد الأبطال في سبيل إعادة مجد العرب الغابر وإحياء عزهم التليد^(١). ولقد أصبح الأزهر خلال تلك العصور المظلمة الملاذ الأخير لعلوم الشرع والدين، كما أصبح بنوع خاص العقل الحصين للغة العربية، «تحتفظ في أروقته بكثير من قوتها وحيويتها، وبدرأ عنها عاديات التدهور النهائي، ويمكنها من مغالبة لغة الفاتحين، مقاومتها، يردّها عن التفلّط في المجتمع المصري^(٢)...» وربما كانت هذه المهمة السامية التي ألقى القدر زمامها إلى الجامع الأزهر، في تلك الأوقات العصيبة من حياة الأمة المصرية، والعالم الإسلامي بأمره، هي أعظم ما أدى الأزهر من رسالته، وأعظم ما وفق لاسدائه لعلوم الدين واللغة خلال تاريخه الطويل الخافل^(٣)».

إن فضل الأزهر على العروبة والإسلام بصورة عامة، وعلى النهضة العربية الحديثة بصورة خاصة، أمر لا يشك فيه إلا جاهل أو جاحد، ونحن نعيد الأب فاخوري أن ينزل بنفسه إلى هذه المنزلة من أجل تأييد فكرة معينة، لأنه من الثابت أن محمد علي اعتمد على الأزهر في انتقاء رجال النهضة التي ابتغاها، وعلى أبنائه اعتمد في نقل كتب العلم وصياغتها في قالب عربي مبين، وجميل قول الاستاذ محمود مصطفى: «وليس منكرور أن الأزهر كان ذلك القبس الذي اشعل منه محمد علي مصباحه، فكشف غياهب الجهالة عن مصر، وكانت ظلمات بعضها فوق بعض، فمن الأزهر أخذ طلبة البعث، ومنه استمدت مدرسة الطب في أول نشأتها، ومن شيوخه كان نظار المدارس الابتدائية ومعلموها ومحروروا كتب العلم المترجمة^(٤)».

إن التاريخ لم يعدم منصفين من النصاري كجرجي زيدان إذ قال في وصف الأزهر: «وله فضل خاص على آداب اللغة العربية، لأنه احتفظ بها في أثناء الأجيال المظلمة^(٥)» وكبطر من البستاني إذ قال: «وللأزهر يد على النهضة

(١) راجع غة في تاريخ الأزهر على عبد الواحد وافي مصر ١٩٣٦

(٢) راجع عجائب الآثار للجبتي لتقرأ تراجم الرجال الذين أنجهم الأزهر خلال تلك العصور المظلمة.

(٣) تاريخ الجامع الأزهر محمد عبد الله شتان مصر ١٩٠٢

(٤) الأدب العربي وتاريخه ج ٣/٣٢٣ مصر ١٩٣٧

(٥) تاريخ آداب اللغة العربية ٢٢/٤

فإن طلابه هم الذين كانوا يرسلون في البعثات العلمية الى أوروبا^(١) « حتى الاب لويس شيخو اليسوعي اعترف بفضل الازهر قائلاً : « وما ساعد أهل مصر على صيانة الآداب العربية بين ظهرائهم مدرسة زاهرة كان يعلم فيها نخبة من العلماء المسلمين » نريد بها المدرسة الازهرية ، التي مر في المشرق وصفها (١٩٠١) وكان متولي تدبيرها في ذلك الوقت الشيخ عبد الله بن حجازي الشهير بالشرقاوي مولده في شرقية بلبس سنة ١١٥٠ (١٧٣٧ م) درس في الازهر وانتقلت اليه مشيخته سنة ١٢٠٨ بقي عليها الى سنة وفاته ١٢٢٧ (١٨١٢ م) وله عدة تصانيف^(٢) « أما الاب فاخوري ، فانه أنكر كل فضل للازهر على النهضة العربية » وادعى بان المدرسة التي فتحها البابا غريغوريوس الثالث عشر في رومة لموارنة لبنان في أواخر القرن السادس عشر قد خدمت لبنان أجل خدمة بما أخرجت له من بطاركة ومطارنة وكهنة ، وكان الاب فاخوري ، عندما قال عن مدرسة رومة « انها خدمت لبنان أجل خدمة » قد نخجل من أن يقول « خدمت العربية والاسلام » فقصر ادعائه على لبنان فقط ، ثم جعل لبنان صاحب الفضل الاول على النهضة العربية ، وهو بهذا كأنه قد قال ان العرب مدينون بنهضتهم لمدرسة « رومة ! » ونحن لا يسعنا ، بعد هذا الادعاء ، إلا أن نقول له : ان جميع الكهنة الذين خرجتهم مدارس الباباوات في رومة وباريس^(٣) ، وجميع تلاميذ الارساليات الاجنبية والبعثات التبشيرية في لبنان لن نقدر جهودهم في سبيل العروبة بذرة واحدة اذا بنحس الازهر فضلده على الامة العربية ، وبكفي تلك العصور المظلمة ،

(١) أدباء العرب .

(٢) الآداب العربية في القرن التاسع عشر من ٨ ج ١ بيروت ١٩٢٤ وفي هذا الكتاب كثير من الحقائق التي فيها الرد الكافي على بعض انتعاءات الاب فاخوري .

(٣) راجع كتاب بطرس البستاني عن عصر الانعاش لتعرف قيمة تلك المدارس ، فقد أشاد المؤلف بأهميتها ولكنه غاضى النلو الذي وقع فيه الأب فاخوري : كما انه علق على كلامه عن نهضة لبنان بقوله : « على ان النهضة الحقيقية لم تلمس الا بعد نصف القرن التاسع عشر حين ظهرت المدارس الراقية وانتشرت الطباعة والصحافة » اهـ ... فأمل !! ...

في التاريخ العربي ، فخرآ ان وجد فيها من تلامذة الازهر من يترك للعربية
«تاج العروس»^(١) وأنعم به من تاج !

انصاف غير مقصود

كما استشهد به الاب فاخوري في مقاله ، كلام للاستاذ الرئيس من كتابه
« خطط الشام » فيه وصف لحالة بلاد الشام بعد عصر ابن تيمية (القرن الرابع عشر)
والانحطاط العلمي فيها ، والتأخر الذي أصاب المسلمين بعد حضارة زاهرة ،
ثم استشهد بكلام آخر من « خطط الشام » في المقارنة بين مدارس المسلمين
التي شاخت وبلت طرق التدريس فيها ، وبين المدارس الحديثة التي كان النصارى
والمبشرون بدأوا بتأسيسها في القرن التاسع عشر ، وقد علق الاب فاخوري على
ذلك قوله : « ان هذه المدارس - يقصد مدارس النصارى والمبشرين - نشأت
وترعرعت قبل نهضة مصر ... فتأمل ! »

ان تعليق الاب على كلام الاستاذ الرئيس ضعيف لا يفيد تأييداً لرأى أثبتت
الوقائع خطئه ، وليس في استشاده بفقرات من « خطط الشام » الا ردأ على نفسه
عندما حاول ان ينال من الاستاذ الرئيس وقال عنه « ديدنه التحرش بلبنان واللبنانيين »
وهو لو أنصف نفسه لما استشهد بكلام ينصف فيه الرئيس النصارى لأنه بذلك
أعطى قارئه الدليل الصريح على أن ديدن الاستاذ الرئيس قول الحقيقة ، ولا يهمه
بمدها أرضي الناس أم غضبوا ، ولن ترضي الحقيقة الا المنصفين ، وانه ليسرنا
لو رأينا الاب الفاخوري بينهم .

* * *

(٢) تأليف الزبيدي مرتضى المتوفى سنة ١٢٠٥ (١٧٩١ م) . وفي هذه الفترة المظلة من
التاريخ العربي نبع مئات من المؤلفين المسلمين في مختلف البلاد العربية وقد تركوا التأليف
الهامة في اللغة والادب والتاريخ ، والمجال أضيق من أن نوسع البحث عنها فنزيف ادعاءات
الاب فاخوري ، وتكفي المستريد مراجعة تاريخ زيدان ليقف على كثير من الحقائق التي
ينكرها الاب فاخوري .

المبحث الثالث

محمد علي والفكرة العربية

نتم هذا الموضوع بلمحة موجزة عن تاريخ ظهور الحركة العربية في العصر الحديث ، لأن البحث كله إنما دار حول هذه النقطة ، وما كان رد الاستاذ الرئيس على الكاتب الفرنسي إلا لأنه ادعى فيما ادعاه أن نصارى لبنان وسورية هم الذين بعثوها ، وجاء الاب فاخوري بدافع عن الفرنسي ليثبت أن « لبنان قد استفاد من ثقافة الغرب قبل أن تستفيد مصر » ثم ليثبت انه ليس من « الجمل » الادعاء « بأن نصارى لبنان وسورية هم الذين بعثوا النهضة العربية » .

نقد أصبح من الثابت اليوم أن أول من بعث الفكرة العربية في النفوس بعد أن ركبت عصوراً طويلة أيام الحكم العثماني ، هو محمد علي الذي أقام صرح النهضة بثاقب تفكيره وبدافع طموحه وأسس دولة على كل ما ينبغي أن تؤسس ، وقد كانت الحملة الفرنسية الى مصر قد أيقظت النفوس الى فوائد الاقتباس من الغرب وخصوصاً تنظيمه وعلومه العصرية ومفاهيم الحكم لدى شعوبه ، وما كاد محمد علي يتولى الامر بعد ان عاد الفرنسيون الى بلادهم حتى اخذ بتنظيم شؤون الدولة على أحدث الاساليب ففتح المدارس وبعث البعث وامر بنقل العلوم المختلفة فلم تنقض بضعة سنوات على حكمه حتى كانت بذور النهضة قد نبتت ، ولقد رآها محمد علي فأيقن بنجاحه واجاب الامير بوكسر موسكو الالماني قائلاً : « إن سيرتي لا تبدأ الا من اليوم الذي استطعت فيه ان انهض بهذه البلاد من ميات الأجيال التي تعاقبت عليها ، وان آخذ بيدها نحو حياة جديدة »^(١) .

ما كادت مصر تلقي مقاليدها الى محمد علي حتى وجد ان واجب النهوض بها يدعوه لنشر العلم والعمل على رفع المستوى الثقافي للأمة ، وكان من أفضل الطرق للوصول الى هذه الغاية ايفاد الشباب الى اوروبة لتلقي العلوم المختلفة ، حتى اذا ما عادوا ساهموا في خلق دولة حديثة قوية وعملوا على ادارتها ، واول بعثة

(١) راجع كتابه المتنون (مصر تحت حكم محمد علي)

ارسلها محمد علي كانت الى ايطاليا سنة ١٨١٣ من أجل تعلم فن الطباعة وسبك الحروف ، ثم توالى البعثات على الشكل التالي ^(١) :

- ٢ - بعثة بحرية حربية الى فرنسا سنة ١٨٤٨
- ٣ - بعثة للعلوم المختلفة الى فرنسا سنة ١٨٢٦ وهي مؤلفة من اربعين عضواً
- ٤ - بعثات عديدة الى فرنسا من اجل العلوم الرياضية والصناعات المختلفة من سنة ١٨٢٦ - ١٨٣٣ بمجموع افرادها سبعون طالباً
- ٥ - بعثات صناعية الى النمسا وفرنسا وانكلترا سنة ١٨٢٩ وعدد افرادها ثمانية وخمسون طالباً
- ٦ - بعثة بحرية الى انكلترا سنة ١٨٢٩ وفيها اربعة طلاب
- ٧ - بعثة الاحباش الى فرنسا سنة ١٨٣٢ وعدد افرادها سبعة
- ٨ - بعثة طبية الى فرنسا سنة ١٨٣٢ وفيها اثنا عشر عضواً
- ٩ - بعثة عسكرية والعلوم المختلفة سنة ١٨٤٤ وفيها سبعون طالباً
- ١٠ - بعثة طبية الى النمسا وفرنسا سنة ١٨٤٥ وافرادها ثمانية
- ١١ - بعثة طبية الى فرنسا سنة ١٨٤٧ وفيها طبيبان
- ١٢ - بعثة الحمامة الى فرنسا سنة ١٨٤٧ واعضاؤها خمسة من تلامذة الأزهر
- ١٣ - بعثة الميكانيك والعلوم السياسية الى انكلترا سنة ١٨٤٧ وهي مؤلفة من ستة وعشرين طالباً

- ١٤ - بعثة طبية الى فرنسا سنة ١٨٤٨ وفيها طبيبان
 - ١٥ - بعثة التجارة الى انكلترا سنة ١٨٤٨ وفيها احد وعشرون نجاراً
- ولقد عاد هؤلاء المبعوثون فأحدثوا انقلاباً مهماً في الحياة الفكرية والاجتماعية ، وفي جهاز الدولة ، وهم كما قال جرجي زيدان : « اول من قال بانشاء دولة عربية » وبشوا هذه الروح في العناصر العربية ، ووافق ذلك غرض محمد علي السامي فأخذ به ^(٢) » كما امر بفتح المدارس والمصانع وتعريب الكتب ، وبذل جهوده

(١) راجع كتاب الامير عمر طوطون عن البعثات أيام محمد علي

(٢) تاريخ آداب اللغة العربية ص ٧٦/٤

في مختلف نواحي الإصلاح الاجتماعي والسياسي لأنه « أراد ان ينشئ دولة عربية وقد علم ان الوسيلة الوحيدة لنجاح الامة انما هي العلم والصناعة وحسن الادارة^(١) » وهكذا ابتداء محمد علي بتطبيق برنامج واسع من اجل انشاء دولة عربية يكون هو رأسها ومصدر قاعدتها ، وكان يبعث للسلطان بالأموال الوفيرة من اجل الا يعكر عليه عمله ، وقد كتب « ميمو » القنصل الفرنسي في مصر بتاريخ ١٠ آب ١٨٣١ الى وزير خارجية فرنسا مذكرة جاء فيها ذكر الاموال التي كان يدفعها محمد علي للسلطان ، وردفه بقوله : « وهو يأمل ان يزيد هذا المال اذا سمع له بأن يؤسس المرح العربي ، وقد اخبرتمكم قبلا بما يعنيه بالمرح العربي^(٢) » ، وقد عاد القنصل المذكور الى الحديث عن اهداف محمد علي في المذكرة التي بعثها بتاريخ ٣٠ نيسان ١٨٣٢ وفيها يقول لوزير خارجيته بأن « محمد علي بدأ يتحدث رجاله واصدقائه وبعض القناصل الأجانب عن مشروع انشاء دولة عربية كبيرة تكون مصر على رأسها^(٣) » . ومن رأي « باترو ودافيزيه ده بونشار » ان « الصراع الذي دام بين محمد علي والدولة العثمانية أمداً ليس بقليل ، انما كان صراعاً قومياً ، وان محمد علي كان يدافع عن الذين عزموا عزماً قاطعاً على ازالة نير الاتراك عن كواهلهم كما فعل اليونانيون والصربيون من قبلهم^(٤) » .

هذا ويؤكد الأستاذ أسد رستم ان الحملة التي جهزها محمد علي الى سورية بقيادة ابنه ابراهيم كانت مطبوعة بالطابع القومي حتى ان ابراهيم كان يفخر في جميع منشوراته « بمصنوبته وبعد باحياء مجد العرب والعروبة^(٥) » وقد قال « البارون بوالا كونت » معتمد فرنسا السياسي لدى محمد علي سنة ١٨٣٣ خلال حديث له عن ابراهيم والحملة السورية ما خلاصته « يريد ابراهيم باشا ان يجي

(١) تراجم مشاهير الشرق جرجي زيدان ج ١ ص ٨ مصر ١٩٢٢

(٢) و (٣) كريم ثابت في محمد علي

(٤) واجه القضية العربية احمد عزت الاعظمي ص ٣٣ بغداد ١٩٣١

(٥) كريم ثابت

مجد الأمة العربية وان يعطى العرب حقهم في حكومة البلاد وفي الجيش أيضا ، وقد ذكر عساكره في أثناء حربه الأخير في سورية بماضي الأمة العربية المجيد وهو يقول يجب ان تكون كل البلدان العربية تحت حكم والده . ولذا فانه يود ان يسيطر على بغداد والعراق العربي^(١) .

ومن الرجوع الى حالة البلاد السورية قبل ان يدخلها ابن محمد علي نجد أنها كانت تنحبط في ظلام دامس من فوضى الادارة ومن جهل السكان ، وتعصب ذوي الأديان ، ولم تكن بوجه عام قد فتحت «عينها للنور» بعد ، فما كان من ابراهيم الا أن امرع الى ايجاد حكم قوي عادل وعمل جهده لرفع مستوى البلاد اجتماعياً ، ومن أعماله ذات الأثر الباهر تأليفه مجلساً من أعيان البلاد عهد اليه بالنظر في مصالح العباد ، وهذا نص البلاغ الذي أذاعه بتاريخ ١٤ تموز ١٨٣٦ بمناسبة انتخابه لعشرين عيناً من أبناء دمشق ، قال ابراهيم :

« يجب على الراعي ان يعني بامر رعيته ، ولذلك رسمت اخطط لاصلاح حال السكان الذين اؤتمنت على مصالحهم ، ولا يمكن الوصول الى ذلك إلا بنشر العدالة بينهم والعمل بخيرهم .

وتنفيذاً لهذا العزم الفت مجلساً من أعيان البلاد وتجارها وعهدت اليه النظر في شؤون الأهالي ، وستكون جلساته علنية ، ويدخل في اختصاصه جميع المسائل المدنية العادية ، اما المسائل القانونية فيرجع فيها الى رأي علماء القانون^(٢) » وهكذا كان حكم ابراهيم بن محمد علي في سورية اول باعث على النهوض في هذه البلاد ، وأول منشط للتصاري بعد أجيال كانوا فيها بسبب الجهل والتعصب على أصوأ حال حتى كتب «باتون» قنصل فرنسا في سورية الى حكومته يقول وان الحكم المصري كان العهد الذهبي للمسيحيين في سورية^(٣) .

(١) القضية العربية للأعظمي

(٢) مجموعة رسائل محمد علي المطبعة الاهلية بصر ١٩٣١ الوثيقة ٤٢٤ ..

(٣) كريم ثابت

فلما اتقضى الحكم المصري عادت البلاد السورية الى فوضى الحكم الذي اشتهر به العثمانيون ، وعاد الأهالي الى تعصيم القيم ، تذكية الأهواء الاجنبية بعامل تضارب المصالح الدولية ، كما فصل ذلك الأستاذ الرئيس في «خطط الشام» حتى هاجر من نصارى سورية من هاجر الى مصر طلباً للحرية في كنف أحفاد محمد علي ، وبقي فيها من بقي يعمل على خدمة بلاده واللغة العربية خدمة مشكورة مذكورة .

وجميل ختم هذا البحث بقول جرجي زيدان «ان محمد علي خدم آداب اللغة العربية ، باحياء الجامعة العربية واللغة العربية ، حتى الأزياء العربية ، فانه كان يكره من يدخل في خدمته من الافرنج أن يتزبوا بالزي العربي ويتكلموا اللغة العربية ، ويؤاخذوا فيها او ينقلوا كتبهم اليها^(١)» .

* * *

خاتمة

الاعتراف بالجميل

لقد أنهى الأب فاخوري رده على الأستاذ الرئيس بإيراد خطاب ألقاه الدكتور طه حسين في حفلة تكريم أقيمت له في لبنان ، أشاد فيها بالصلوات بين مصر ولبنان وكان مما قاله : «ومن زعم من الأدباء المحدثين انه يمكن ان يتصل بالأدب العربي القديم دون أن تكون عليه يد لأعلام اللبنانيين في القرن الماضي فهو جاحد للمعروف منكر للجميل» وهذا كلام جميل وأجمل منه ان يكون صادراً عن مثل طه حسين المصري المسلم وعميد الادب العربي المعاصر ؛ ولكن الاستشهاد به غير جميل اذا صدر عن مثل الأب فاخوري لا من أجل اثبات جهود اللبنانيين ، غير المجعولة ، في خدمة اللغة العربية وآدابها ،

(١) تاريخ آداب اللغة العربية ٣٣/٤

بل من اجل الادعاء بان اللبنانيين هم باعثر النهضة العربية ورجال فجرها الثاني .
 لقد اعترف الدكتور طه حسين بالجميل لأبناء لبنان وذكر منهم اليازجي
 والبستاني وهما من أركان نهضة الآداب العربية في الشطر الأخير من القرن
 التاسع عشر ولا شك ، ولكنها ما كنا - رغم فضلها - أكثر من أداة لتسهيل
 الاتصال بالثقافة العربية للمحدثين على حد تعبير الدكتور طه حسين نفسه .
 اننا كتبنا بعض ما يمكن ان يكتب في مثل هذا الموضوع وانه لما يسوءنا
 أن الأب فاخوري قد اضطرنا اليه اضطراراً ، وهو يدعي أننا في « زمن نحن
 أحوج الناس فيه الى التفاهم والتآخي » وهذا حق ، ولكن ليس بالحق ولا بالعدل
 ان يبيع الأب فاخوري وأمثاله من اللبنانيين المتعصبين لأنفسهم الكلام والادعاء
 و « تمويه الحقائق » ثم يطلبون من أصحاب « الحق » ألا يدافعوا عن « حقهم »
 ومن أصحاب « العلم » ان يتجاهلوا « معنوياتهم » وكل هذا في سبيل « التفاهم
 والتآخي » .

هذا كلام نوجهه الى الأب بوعنا فاخوري فانت اقتنع به فهو حبه ،
 وان أغضبه فحسبنا قول الحق للعلم والتاريخ .

الدكتور محمد نافع الخطيب

الفهرس العام لمواد المجلد الرابع والعشرين منسوقاً على حروف الهجاء

آراء وأنباء ١٣٢ و ٣١٠ و ٤٥٨ و ٦٠٨	توضيح وتصحيح ١٥٠
ابن جني (ابو الفتح) ٥٣٧	ثلاث رسائل من منشوراتنا العربية ٤٦٢
أثر الهند في الثقافة العربية ٤٢	الثورة الكويونيكية (كتاب) ٥٩٨
الاجتهاد في الشريعة الاسلامية (كتاب) ٢٩٧	جزء من رواية ابي عمر الزاهد غلام ثعلب ٢٣٤ و ٣٧٢
اسندراك ٣١٩	حب العرب والاسلام ١٥٩
اسماء النبات والحيوان في المعجمات العربية ٥١٥	خزائن الكتب القديمة في العراق (كتاب) ٢٨٨
أعضاء المجمع العلمي العربي في سنة ١٢٦٨ هـ	الدارس في تاريخ المدارس (كتاب) ١١٣ و ٣١٢
١٩٤٩ م ص ١٣٢	دراسات لما قبل التاريخ في سوريا ٣٨٥
أعضاء المجمع العلمي العربي الراحلون ١٣٤	الدرر المباهة في الحظرو الاباحة (كتاب) ١٢٥
أقسام ضائعة من كتاب تحفة الأمراء في	دعوة المجد (ديوان) ٦٠٦
تاريخ الوزراء (كتاب) ٢٩٣	ديوان التميمي (ديوان) ٣٠٦
الألفاظ السريانية في المعاجم العربية ٣	الدين القيم (كتاب) ٦٠٤
و ١٦١ و ٣٢١ و ٤٨١	رحلتا مرا كشين عظيمين (كتاب) ٢٩٩
انتخاب أعضاء مراسلين ٣١٠	السياسة (كتاب) ٤٥٠
البرهان في وجوه البيان (كتاب) ٢٣	شعر ابن ابي حصينة ٥٢٦
البلاغة بين اللفظ والمعنى ٤٣٣ و ٥٨٣	الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث (كتاب) ٣٠٨
بيان من الادارة الثقافية في جامعة الدول	شروح سقط الزند (كتاب) ١٢٧
العربية ١٥٩	
تحقيقات معجمية ٤٧ و ٢٠٧ و ٣٥٥	
التعريف والنقد ١٠٣ و ٢٨٨ و ٤٥٠ و ٥٩٦	

مذكرات خالدة (كتاب) ١١٥	طه الراوي ١٣٦
المصطلحات السياسية ٦١٠	ظلال الأيام (ديوان) ٤٥٤
معجم الدكتور : أ - فيشر ٥٠٠	عائشة والسياسة (كتاب) ١٠٨
معنى التكب (كتاب) ٢٩٥	عبقرية الاسلام في أصول الحكم (كتاب) ١٠٣
ملاحظات لغوية على الفاظ زراعية ٢٤٤	فن القصص (كتاب) ٥٩٦
من تراث النبوة (كتاب) ١٣١	فهرس الأعلام ٦٣٩
من عيون الأخبار (كتاب) ٥٩٩	الفهرس العام لمواد المجلد الرابع والعشرين ٦٣٧
منهاج الانقلاب الاسلامي (كتاب) ٦٠٢	القول التاجع في الغلط الشائع ٣٩٥
الموفي في النحو الكوفي ٤١٧ و ٥٦٤	كتاب وقف (كتاب) ٥٩٦
موقفنا من الفلسفة ١٩٧	كنز من كنوز الجاحظ ٨٢ و ٢٥٠
نبات سوريا (كتاب) ٥٩٩	كنوز الأجداد ٢٣ و ١٨٢ و ٣٤٣
نص حكاه ثعلب بين اللغة والدين ٤٥٨	المآصر في بلاد الروم والاسلام (كتاب) ٢٩٠
نظرات في ذيل الروضتين ١٥٣	مؤتمر اليونسكو الثالث ١٣٩
نظرة عامة في فكرة الحق والالتزام (كتاب) ٤٥١	ما هي العربية ١٤٥
نظرية الاسلام السياسية (كتاب) ٦٠١	مجموع خطي ٢٧٩
النظرية العامة للموجبات والعقود (كتاب) ١١٨ و ٣١٠	محاضرات نقابة المحامين في حلب (كتاب) ٢٩٥
نقائس المخطوطات العربية في المشهد الرضوي ٨٢ و ٢٧٦	مخطوطة رسالة المآخذ ٣٩١
النهضة العربية في العصر الحديث ٤٧٠ و ٦٠٢	المدخل الى الحقوق الرومانية (كتاب) ٢٩٨
ولاية دمشق في العهد السلجوقي ٥٤٢	المدرسون تحت قبة النسر ٥٩ و ٢٢٢

فهرس الأعلام

لكتاب مقالات المجلد الرابع والعشرين

منسوقاً على حروف الهجاء

كوز كيرس عواد ٢٧٩	أ. ج. ٠ ازيري ٢٣٤ و ٢٧٢
مأمون الجموي ٦١٠	اسعد طلس ٩٠ و ٢٦٧ و ٥٣٧
مار اغناطيوس افرام الأول ٣ و ١٦١	الفرد غلبوم ١٤٥
٤٨١ و ٣٢١	جميل صليبا ١٣٩ و ١٩٧
محمد بيبة البيطار ٥٩ و ١١٨ و ١٢٥	حمد الجاسر ٥٢٦
٢٢٢ و ٤١٧ و ٤٥١ و ٥٦٠ و ٦٠١	خليل مردم بك ٤٢
٦٠٣ و ٦٠٤ و ٦٠٦	سالم الكرنكوي ٣١٢
محمد بيبة الأثري ١٣٦	سامي الدهان ٣٠٨ و ٤٥٥
محمد كرد علي ٢٢ و ١١٣ و ١٨٢ و ٣٤٣	صبيح الغمصاني ٣١٠
٥٩٦ و ٤٥٠	صلاح الدين المتجد ٥٤٧
مرمرجي الذومنيكي ٤٧ و ٢٠٧ و ٣٥٥	عارف النكدي ١٠٣ و ١٠٨ و ٢٨٨
مسعود الندوي ٤٦٢	٢٩٠ و ٢٩٣ و ٢٩٥ و ٢٩٧ و ٢٩٨
مصطفى جواد ١٥٣ و ٣٩٥	عبد القادر المغربي ٨٢ و ١٢٧ و ١٣١ و ١٥٠
مصطفى الشهابي ٢٤٤ و ٣١٩ و ٥١٥ و ٥٩٩	٢٥٠ و ٢٩٩ و ٣٠٦ و ٣٩١ و ٤٥٨
نعم الحمصي ٤٣٣ و ٥٨٣ و ٥٩٩	٥٠٠ و ٥٩٦ و ٥٩٨ و ٥٩٩
وداد سكا كيني ١١٥	عدنان الخطيب ٤٧٠ و ٦١٢
يوسف نصر الله ٣٨٥	علي حسن عبد القادر ٧٣

فهرس الجزء الرابع من المجلد الرابع والعشرين

الصفحة

٥٨٩	الألفاظ السريانية في المعاجم العربية (٧)	للطبريك ماراغناطيوس افرام الأول
٥٠٠	معجم الدكتور : أ . فيشر	للأستاذ عبد القادر المغربي
٥١٥	اسماء النبات والحيوان في المعجمات العربية	للأمير مصطفى الشهابي
٥٢٦	شعر ابن أبي حصينة	للأستاذ حمد الجاسر
٥٣٧	أبو القتح بن جني	للدكتور أسعد طلس
٥٤٧	ولادة دمشق في العهد السلجوقي	للأستاذ صلاح الدين المنجد
٥٦٠	الموفي في النحو الكوفي	« محمد سبعة البيطار
٥٨٣	البلاغة بين التلفظ والمعنى (٢)	« نعيم الحامي

التعريف والنقد

٥٩٦	كتاب وقف	للأستاذ محمد كرد علي
٥٩٦	فن القصص	« عبد القادر المغربي
٥٩٨	الثورة الكوبرنيكية	« « « «
٥٩٩	من عيون الأخبار	« « « «
٥٩٩	نبات سورية	للأمير مصطفى الشهابي
٦٠١	نظرية الاسلام السياسية	للأستاذ محمد سبعة البيطار
٦٠٣	منهاج الانقلاب الاسلامي	« « « «
٦٠٤	الدين القيم	« « « «
٦٠٦	دعوة المجد	« « « «

آراء وأبناء

٦٠٨	مخطوطات جديدة	
٦١٠	المصطلحات السياسية	للدكتور مأمون الجموي
٦١٢	النهضة العربية في العصر الحديث (٢)	« عدنان الخطيب
٦٢٧	الفهرس العام لمواد المجلد الرابع والعشرين	
٦٢٩	فهرس الأعلام	



Bibliotheca Alexandrina



0652744